رواية
جويس كارول أوتس
زومبي
ترجمها عن الإنكليزية: أحمد م. أحمد
المتوسط

جويس كارول أوتس

زومبي

ترجمها عن الإنكليزية: أحمد م. أحمد

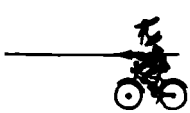

المتوسط

زومبي

حقوق النسخ والتأليف © ٢٠١٨ منشورات المتوسط - إيطاليا.

جميع الحقوق محفوظة. لا يُسمح بنسخ أو استعمال أو إعادة إصدار أي جزء من هذا الكتاب سواء ورقياً أو إلكترونياً أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي من الناشر. ويجوز استخدامه لأغراض تعليمية أو لإصدار كتب موجهًة إلى ضعيفي البصر أو فاقديه شريطة إعلام الدار. تستثنى أيضاً الاقتباسات القصيرة المستخدمة في عرض الكتاب.

Zombie *by* "Joyce Carol Oates"
Copyright © 1995 Ontario Review Inc.
by arrangement with John Hawkins & Associates, Inc., New York
Arabic translation copyright © 2018 by **Almutawassit Books.**

المؤلف: جويس كارول أوتس / المترجم: أحمد م. أحمد / عنوان الكتاب: زومبي
الطبعة الأولى: ٢٠١٨.
تصميم الغلاف والإخراج الفني: الناصري

ISBN: 978-88-85771-57-4

منشورات المتوسط

ميلانو / إيطاليا / العنوان البريدي:
Alzaia Naviglio Pavese. 120/ 20142 Milano / Italia
العراق / بغداد / شارع المتنبي / محلة جديد حسن باشا / ص.ب 55204.
www.almutawassit.org / info@almutawassit.org

تقديم وجيز لا بدّ منه

يتّضح للقارئ أن جويس كارول أوتس، المؤلّفة لما يزيد عن ١٥٥ كتاباً، وصاحبة السرد الروائي المذهل في تنوّعه وثرائه، والمرشّحة لنوبل منذ ٣٠ عاماً، قد اعتمدت على أن يكون سردها الروائي في (زومبي) على لسان، أو بقلم، بطلها **كيو - بي** -، أو كوينتين، بدءاً من الكلمة الأولى في الرواية، "اسمي"، وانتهاءً بالأخيرة "الميلاد".

سرد يوميّ، تتعمّد خلاله جويس كارول أوتس الركاكة، وتمتزج فيه العامّيّة اليومية الأميركية مع الشتائم الشارعية - السرد الذي يكتبه **كيو - بي** الشخصية الأولى في الرواية، ذو الـ ٣١ عاماً، بتحصيله العلمي والثقافي المتواضع، والذي لا يخلو من الأخطاء القواعدية، وسوء استخدام علامات الترقيم، كالنقاط والفواصل والأقواس وسواها.

وعبر هذا السرد (الذي يبدو ناشزاً في اللغة الروائية، رغم أنه في أحد وجوهه يُعدّ تحدّياً من حيث مقدرة الروائية على إكمال رواية من ١٥٠ صفحة، باستخدام لغةٍ وذهنية وعصابية الشخصية الأولى في الرواية) استطاعت جويس كارول أوتس تصوير المجتمع الأميركي، وتعرية أمراضه وطبقاته الاجتماعية العريضة، أفقياً وعمودياً، عبر الشخصيات/ الرموز: كوينتين، ووالده، ووالدته، وأخته جوني. بالإضافة إلى النفاذ إلى سايكولوجية

كلّ شخصية من شخصيات العمل، وهذا ما لن يخفى على القارئ الملمّ بمبادئ علم النَّفْس.

أحمد م. أحمد

مع وقف التنضيد

1

اسمي **كيو - بي** - عمري واحد وثلاثون عاماً، وثلاثة أشهر.

الطول خمس أقدام وعشر بوصات، الوزن مائة وسبعة وأربعون رطلاً.

العينان بنّيّتان، الشَّعْر بنّيّ. متوسّط القامة. مع بعض النّمش المنتشر على السّاعدَيْن، والظَّهْر. علّة اللابؤرية في كلتا العينَيْن، عدسات التصحيح مطلوبة للسّياقة.

علامات فارقة: لا يوجد.

باستثناء هذه النّدوب الضئيلة دوديّة الشكل على ركبَتَيّ ربمّا. يقولون إنها آثار حادث درّاجة، كنتُ صبياً صغيراً حينها. لا أُنكر، لكنني لا أتذكّر.

لا أُنكر أبداً. أنا في حالة اتّفاق معكَ حين تنبسُ بكلماتكَ الحكيمة. مقلّباً فمكَ الشبيه بالطيز، ثمّ **نعم، سيّدي، لا، سيّدتي**، هو ما أقولُه. عيناي حَيِيّتان. وراء نظّاراتيّ، بإطارهما البلاستيكيّ، ويمكن رؤية الجِلْد من خلال البلاستيك.

بشرتي بيضاء قوقازية. من طرفيّ عائلتي، تعود إلى غابرِ الأيّام على حدّ إدراكي.

محصّلة ذكائي في آخر اختبار: ١١٢. الاختبار الذي قبله: ١٠٧. عندما قيس في الثانوية العامّة: ١٢١.

من مواليد ماونت ڤيرنون، متشيغان. ١١ كانون الثاني، ١٩٦٣. مدارس دايل سبرينغز العامّة. ثانوية عامّة من مدرسة دايل سبرينغز، دفعة ١٩٨١. تخرجَ **كيو - بي** - بترتيب الرابع والأربعين من صفٍّ مؤلَّف من مائة وثمانية عشر طالباً. لم يفزْ بمنحة لأيّ كُلّيّة جامعية. لم ينتسب إلى أيّ فريق رياضيّ، لم يشارك في صحيفة مدرسية، أو كتاب سنويّ، أو ما شابه. نلتُ أعلى الدرجات في الرياضيات إلا في محصّلة الفصل الدراسي الأخير، حيث تخوزقتُ.

ألتقي بضابط مراقبة السّلوك السّيّد تي - يومَي الخميس الأوّل والثالث من كلّ شهر الساعة ١٠:٠٠، مركز مدينة ماونت ڤيرنون. الأخصائي الذي يعالجني الدكتور إي - الاثنين ٤ بعد الظهر. مركز الجامعة الطّبّيّ. العلاج الجماعيّ مع الدكتور بي - يوم الثلاثاء، السابعة مساءً.

لا أُحرز تقدّماً، فيما أظنّ. أو ربّما لا بأس. أعرف أنهم يكتبون التقارير. لكنْ، لا يُصرَّح لي برؤيتها. أشعر أنه لو كان أحد هؤلاء امرأة، لأبليتُ أفضل من ذلك. هم يصدّقونكَ، ولا يراقبونكَ على الدّوام. **الاتّصال البصريّ كان مقتلي.**

يُلقي السّيّد تي - الأسئلة كَمَنْ يكرّ الشريط. نعم، سيّدي، أجيبه، لا، سيّدي. أنا موظّف. الآن بشكل نظاميّ. الدكتور إي- هو مَنْ يكتب وصفات الأدوية. يطرح عليّ الأسئلة، ليحرّضني على الكلام. يتعثّر لساني ممّا يحول دون إكمال الكلام. الدكتور بي - يلقي بالسؤال كما يقول، لكي ينخرط الفتيةُ في الحديث. إنهم سادةُ الخراء. أقدّرهم. أقبعُ في ملابسي محدّقاً في حذائي. سائر جسدي لسانٌ فاقد الحسّ.

أجولُ بسيّارتي/ ڤان الفورد. طراز سنة ١٩٨٧، لونها بلون الرمل الرطب. لم تعد لائقة، لكنها تُلبّي الحاجة. تعبر من أمام ناظرَيْكَ بسرعة خاطفة، وكأنكَ تعبر بمحاذاة جدار صلد. عَلَمي الأميركيّ اللاصق كبير، بحجم عَلَم حقيقيّ، يغطّي النافذة الخلفية.

اللصاقة على واقي الصدمات الخلفيّ تقول أدوسُ المكابح لعبور الحيوانات. حسبتُ أنها قد تكون فكرة صائبة أن يكون لديّ لصاقة واقٍ.

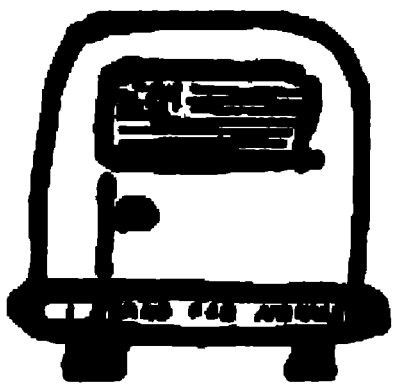

2

هل الزمن خارجي أنا؟ بدأتُ التساؤلَ في الثانوية العامّة. عندما أخذتِ الأشياءُ في المضيّ مسرعةً. أو هل الزمن في داخلي؟

إن كان في الخارج، فعليكَ أن تحافظ على تسارُع مع الساعات والتقاويم المنيوكة(*). لا توانِ. **إن كان في الداخل**، افعلْ ما أنتَ تريده. ليكنْ. اختلقْ زمنكَ الخاصّ. كتحطيم عقارب الساعة، كما فعلتُ مرّةً، بذلك لا يبقى سوى وجه الساعة ينظر إليكَ.

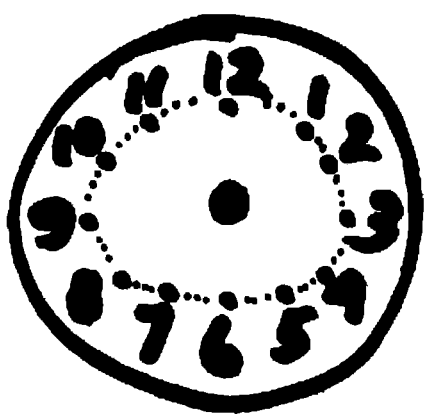

*) Fucking Calendars: أنقل كلمات الشتائم كلّها باللهجة العامّيّة السورية. (المترجم).

3

أنا طالبُ دوامٍ جزئيّ مسجَّل في معهد مقاطعة دايل التكنولوجيّ، حيثُ أُدرجتُ في صفَّيْن، كل منهما من ثلاث دورات ضمن الفصل الدراسيّ الربيعيّ. **المدخل إلى الهندسة والمدخل إلى برمجة الكمبيوتر.**

كان قد تقرّر أن يصبح **كيو - بي - مهندساً**. هناك أنواع عديدة من **الهندسة**. **الهندسة** الكيميائية، **الهندسة** المَدَنية، **الهندسة** الكهربائية، **الهندسة** الميكانيكية والفضائية. يُدرِجُ دليلُ الجامعةِ الشروطَ للاختصاصات. قد ينال **كيو - بي** - شهادةً في غضونِ السنوات التي احتسبها الأب.

في مركز احتجاز المدينة، حيث أوقفوني بانتظار أن يأتي أبي لدفع الكفالة، شوهدتُ وأنا أُجري عملياتٍ حسابيةً سريعة باستخدام القلم. صعوداً ونزولاً على هوامش المجلات القديمة الملقاة حولي. عجيب: تتحرّك يدي وكأن لها غايتها الخاصّة. كما في الصّفّ الثامن. معادلات الجبر. معضلات الهندسة مع فَرْق أنه لم يكن بحوزتي بوصلة أو مسطرة، لكنني رسمتُ الأشكال، على أيّة حال. أعمدة طويلة من الأرقام، تشبه النمل، لكي أقوم بجَمْعها لمجرّد اللهو، كما أظنّ. لا أدري ما الغاية. درجتُ على ذلك لفترة طويلة. على مدى ساعات. كنتُ أتصبّب عَرَقاً فوق صفحات المجلّة، أرقبُ تَنَقُّلَ رأس القلم. حتّى بعد أن يبهتَ رأس القلم، وتغدو الخطوطُ لامرئيةً. حتّى عندما كان الحارسُ يتحدّث إليّ، ولم أسمعه.

عمدوا إلى وضعي في الحجز، كما أسموه. واحد وتسعون بالمئة من النزلاء من السّود وذويّ الأصول الإسبانية، الفتيان البيض أُودِعوا سويّةً في زنازين التوقيف. كنتُ مع اثنَيْن من البيض، ضُبطا بتهمة حيازة المخدّرات. وُسِمْتُ تحت **جنحة عنصرية**. لكنها لم تكن **عنصرية**. لا أعرف ما هي **العنصرية**.

لستُ **عنصرياً**. لا أعرف ماذا يعني **العنصري** المنيوك.

أتصبّب عَرَقاً ويدي تمسك قلم الرصاص، أتحرّك، ولكنْ، لم أكن أتكلّم. لا **اتّصال بصريّ** مع أحد. كان جديراً بالانتباه كم كان **كيو - بي** - خلال فترة الاحتجاز صموتاً، ولم يُنشِئْ أيّ **اتّصال بصريّ** مع أيّ كان.

بتلك الطريقة، يتسلّلُ المنايكُ إلى روحكَ.

لستُ أدري كيف علمَ أبي بحسابات الرياضيات هذه. ربّما سمحوا له بمراقبتي عبر الزجاج الذي يُتيح الرؤية من جهة واحدة. كاميرا مراقَبة. وربّما تمّ جمعُ المجلات، وتسليمها له، بهدف التمحيص. إنه البروفيسور بي - وهم ينادونه كذلك. قال إنّ الفكرة خطرتْ له منذ ذلك الحين. أن يقرضني لتمويل دراستي في كُلّيّة تكنولوجية، حيث سأدرس لأصبح **مهندساً**. وسننسى جميعاً أمرَ جامعة ماونت ڤيرنون الحكومية، إذ لم تُجْدِ نفعاً. ذلك كان لسنواتٍ خلتْ.

منذ زمن أبعد عندما كنتُ في الثانية عشرة، خطرت لنا جامعة شرقي ميتشيغان الحكومية في إيبسيلانتي. غير أننا أهملنا الفكرة جميعاً منذ أمد طويل.

لدى كوينتين شَغَف فطريّ بالأرقام، كما أفضى أبي لأمّي. سمعتُ ما قال. كان صوته خشناً، كأنما كان يحاول أن يقشعَ عن حَنْجَرَته شيئاً ما، تخثّرَ عليها. *موهبة الأرقام. أُورِثتْ منّي. كان يجب أن أدرك ذلك.*

لهذا السبب، أنا طالبُ دوامٍ جزئيّ في معهد دايل التِّقْنِيّ. أدرسُ باجتهاد. يبعد معهد دايل سبعة أميال عن مكان إقامتي الحاليّ، لكنْ، لا مشكلة لديّ، أقود فانْ الفورد الذي أقوده أينما شئتُ، قلتُ لضابطِ مراقبة السلوك السّيّد تي -: مسافة سبعمائة ميلٍ لا تعني شيئاً، لكنني لم أقلْ ذلك للسّيّد تي -.

4

اعتباراً من الاثنين الماضي، أصبح عنوان إقامتي في ١١٨ شارع نورث تشرش، ماونت ڤيرنون. يونيڤيرسيتي هايتس هو ما تُدعى به المنطقة التي يقع قربها حرمُ جامعة الولاية، حيثُ يُدرِّسُ البروفيسور بي -. (رغم أن أمّي وأبي يسكنان في ضواحي دايل سبرينغز، الطرف الآخر من البلدة.)

أنا **ناظر الأملاك** في ١١٨ شارع نورث تشرش لهذا المسكن الذي كان في الماضي بيتَ جديَّ. لا أحد من النزلاء يعرف هذه الحقيقة التي أُصِرّ ألا أبوح لهم بها.

لا يزال العقارُ مملوكاً لجدّتي بي - التي تقيم في دايل سبرينغز. لكنه يُدار من قِبَل أبي آر - بي - كَسَكَنٍ جماعيّ مُقسّمٍ إلى تسع وحداتِ إيجارٍ، كما وافقتْ عليه لجنة الفَرْز العقاريّ.

إنها لَفْتةُ ثقةٍ بكَ، يا كوينتين. قال أبي.

آه، لكن كوينتين سيقوم بعمل رائع! نحن على ثقة من ذلك. قالت أمّي.

منزل جدّتي ذو طراز ڤيكتوريّ مَبني من طوبٍ أحمر شاحب، كما يقولون عنه. مع مسحة لطخٍ على الواجهة الأمامية، وكأنّ أحدهم قد مرّر إبهامَه على

امتدادها. ثلاث طبقات، بالإضافة إلى السقيفة. ثمّة إضافة في الخلفية تُستعمل للتخزين. مطبخ كبير حيث للمقيمين "حقّ الانتفاع بالمطبخ" كما يسمّونه. قبو عميق **محظور** استعمالُه من قِبَل المقيمين. أساس حجريّ راسخ للغاية. وعندما كنتُ أزيل بعض الشجيرات الواطئة، عثرتُ عند الزاوية الأمامية اليمينية على تاريخ ١٨٩٢ منقوشاً على الحجر.

يستأجر طلابُ الجامعة الغرفَ. كان العقار قد قُسِّم لهذا الغرض منذ ١٩٧٢ كما كان الأب يقول. لا أتذكّر إن كنتُ أُطلِعتُ على هذه الحقيقة من قبلُ أم لا.

كناظر أملاكٍ لهذه الملْكية، أقيم في الشطر الخلفي من الطابق الأرضيّ في الغرفة المُعَدّة **لناظر الأملاك**. إنها غرفة تحتوي على حمّامها الخاصّ بها، مقصورة الدوش والتواليت. كان هناك **ناظرو أملاك** سابقون، يعملون لصالح أبي، لكنني لستُ أعلم عنهم أيّ شيء.

تفضي الأدراج الخلفية إلى الطابق العلويّ، أمّا الأدراج المفضية إلى القبو، فقريبة من غرفة **ناظر الأملاك**، وهذا مُلبٍّ للغرض. ليس بوسع أحد استعمال هذه الأدراج إلا إذا عبر ببابي. عدّةُ **ناظر الأملاك** وأدواته، وطاولته، إلخ، في القبو.

لديّ حقّ الوصول إلى طوابق البيت كافّة. لأنني **ناظر أملاك**. عهدَ أبي آر - بي - إليّ بهذه المسؤولية، وأنا ممتنّ لفرصة تَرْك الأشياء مرهونة به وبأمّي. مفتاحي العموميّ سيفتح باب غرف المنزل كافّة.

معظم الطَّلَبَة الذين يستأجرون لدينا من الأجانب. من الهند، والصين، وباكستان، وأفريقيا. عادة ما يواجهون مشاكل مع أبوابهم بادئ الأمر،

وسأُستدعى لكي أحلّ المشكلة. ينادونني *السّيّد بي* -. ودائماً ألبّي النداء مكتفياً بالتّحدّث بالضروريات. ودونما اتّصال بصريّ.

شكراً لكَ، سيّد بي - سيقولون، أو *شكراً لكَ سيّدي*.

بشرتهم داكنة، وأعينهم غسقية برّاقة، وشَعْرهم أسود، وكأنه مُسِحَ بالزيت. رائحتهم مثل رائحة الخوخ المُعتّق. إنّهم خجولون وأكثر تأدّباً من الطَّلَبَة الأميركيّيْن، ويدفعون إيجاراتهم في مواعيدها، ولا يلاحظون الأشياء التي قد يلاحظها الطَّلَبَة الأميركيون، ولايُزيّلون غرفهم مثلما يفعل الطَّلَبَة الأميركيون، ما حدا بأبي للقول إنهم النزلاء المفضّلون. هادئون في فترات المساء. يدرسون وراء طاولاتهم. لديهم جميعاً عقود مع مطعم السَّكَن الجامعي لتناوُل وجبات الطعام، بذلك يتقلّص استعمال المطبخ إلى الحدّ الأدنى، أنا المستخدم الرئيس للمطبخ، لكنني لا أتناول الطعام هناك، بل في غرفتي وأنا أشاهد التلفاز. هذا إذا لم أكن في الخارج.

البيوت كلّها التي على شارع نورث تشرش كبيرة من القرميد القديم أو الخشب، ومَبنية على الطراز الفيكتوريّ. تتوسّط مساحاتِ أراضٍ كبيرة. في زمن جدّتي وجدّي عندما كان أبي هنا في طور الشباب، كانت هذه البيوت كافية لعائلة واحدة بالتأكيد. كانت ضاحية أنيقة. يونيڤيرسيتي هايتس. تقول جدّتي إن التغيير قد بدأ بعد الحرب العالمية الثانية. في أرجاء ماونت ڤيرنون كلها. أما الآن، فإن ملكيات شارع نورث ستريت تحوّلت إلى بيوت إسكان مأجور كحال بيتنا، أو أبنية مكاتب، أو احتُلَّتْ من قِبَل الجامعة مثل البيت المجاور الذي يُدعَى الآن بـ **مركز اللغات الشرق آسيوية.** عند زاوية نورث تشرش والشارع الثالث والسبعين، على بُعد عدّة كتل بناءٍ، يقع منزل رئيس الجامعة الذي كان فيما مضى قطعة

أرض مُسحَتْ لإقامة مرآبٍ شاهق الارتفاع. *بشع للغاية!* تقول جدّتي. أبعد بقليل ثمّة البرغر كينغ الذي افتُتح مؤخّراً، والذي لم ترَه جدّتي بعد، وحيث أحصل على الهامبرغر والبطاطا المقلية التي أعود بها إلى غرفتي، لأتناولها وأشاهد التلفاز، أو أنجز وظائفي الدراسية.

هذه بطاقة بيضاء صغيرة ثُبّتتْ على بابي. طبعتُها بنفسي مستعيناً بقلم تخطيط أسود.

5

بعد ظهيرات الاثنَيْن بين الساعة ٤:٠٠ ب.ظ والساعة ٤:٥٠ ب.ظ في المركز الطِّبّيّ في ماونت ڤيرنون. يسأل الدكتور إي - *ماهي أحلامكَ، يا كوينتين؟ ماهي تخيّلاتكَ؟* أجلس مطرقاً إلى الأرض، أو مستغرقاً في يَدَيّ وأنا أفركهما. هناك ساعة على مكتب الدكتور إي - يمكنه رؤيتها، أما أنا، فلا. لكنْ، لديّ ساعة معصمي *ماركة ويزينايز*، وهي ساعة رَقْمية غالية الثمن. بوجهها الأبنوسيّ الذي أُبقيه إلى جهة رسغي، حيث لا يمكنني أن أرى إلا البرونز اللامع للأرقام الدقيقة التي تشير إلى ٤:٥٠ بعد الظهر.

أجهد لكي أتذكّر حلماً، أقصّه على الدكتور إي -. لأُفضي به إلى الدكتور إي . شيئاً ما قد يكون ضرباً من حلم. حلم عاشه شخصٌ مثلي. كأن أكون طائراً؟ محلّقاً في السّماء؟ سابحاً؟ في - بحيرة متشيغان؟ في أحد الأنهار العميقة سريعة الجريان التي لا اسم لها في مَحميّةِ مانيستي الوطنية؟ لو أنّ الدكتور إي - لا يتفرّس فيّ. مستمدّاً سلطته من كونه الدكتور إي - عضو طاقم الأطبّاء النَّفْسانيّيْن في المركز الطِّبّيّ. (الذي يتبع جامعة الولاية.) الدكتور إي - هو معالِجي المُكلَّف من قِبَل أبي، لكنه يقدّم التقارير إلى قسم ميتشيغان لمراقبة السلوك، وتبقى طيَّ الكتمان عنّي. أتمنّى لو لم تغدُ رأسي مثقلة في مكتب الدكتور إي -. تحوّلتْ إلى مادّة شبيهة بفطائر العجين، ثخينة، لكنها ليّنة، فجّة وباهتة.

ذات مرّة في مكتب الدكتور إي - عندما مضتْ فترة، لم ينبس أحد بكلمة، خلالها شعرتُ بأنّ فكّي قد تدلّى كَفَكِّ رجل ميّت، وانثال اللُّعاب على ذقني. تهالكتُ إلى الأمام في الكرسيّ الخشبي ذي القعدةِ الصلبة الملساء المجهّزة بانحناءَيْن، يناسبان قياس فردَتيَ طيزٍ عريضة. الرّأس مُطرقة، والكتفان متكوِّرتان، والأبُ ماضٍ في تأنيبه هامساً باشمئزاز: *بالله عليكَ، يا كوينتين: عليكَ أن تنظر في حالتكَ النَّفْسية*. بصوتٍ أجشّ، يشبه صوت دبّورٍ في حالة طنين.

كان الأمر محرجاً. أن تغطّ في النوم في مكتب الدكتور إي -. إن كان ذلك قد حدث بالفعل. يُلقي الدكتور إي - نظرة إلى الساعة على مكتبه. بعض الأوراق على مكتبه.

يمحِّص أفكاره التي سيُدوّنها على حاسوبه بعد أن يغادر **كيو - بي** -.

هل الدكتور إي - صديقٌ لوالدي من النوع الذي يمكنني أن أسألَه. لديّ من الأسباب مايجعلني أعتقد ذلك (كلا الرجلَيْن *أستاذ جامعيّ* ذو أقدمية في الهيئة التدريسية لجامعة الولاية)، لكن كلا الرجلَيْن قد يُنكر ذلك لو سألتُ. لم أسأل.

بعد أن أُغادر مكتبه، سيتناول الدكتور إي - الهاتف، ويتصل بمكتب الدكتور بي - في الجامعة. *ابنكَ كوينتين لا يُحرز تقدّماً يُذكَر، كما أخشى. هل دريتَ أنه لا يحلم؟ وحالته النَّفْسية مزرية للغاية.*

في تلك الظهيرة منذ أسابيع قليلة خَلَتْ، كان الدكتور إي - أكثر دماثةً من أن يلاحظَ بأنني استغرقتُ في النوم على كرسيّ المواجه لطاولة مكتبه. ربمّا كان ذلك بسبب مفعول الدواء. قد يظنّ ذلك. أو لعلّ الدكتور إي- لم

يلاحظ. بما أنه يكون في حالة نعاس أحياناً، هو الآخر. أجفان عينَيْه ثقيلة كأجفان السلحفاة. كانت تمطر والماء جرى تحت النافذة وراء رأسه في جداول دقيقة مثل البول.

كتب لي وصفة مكرَّرة، وناولني إيّاها، الجرعة كما هو مبيّن. تأمين أبي الصّحّيّ سيغطّي الوصفة. معلناً أنه يمكن أن يُنهي الجلسة معي قبل موعد نهايتها ببضع دقائق هذا الأسبوع (إنها الرابعة وستّ وثلاثون دقيقة بتوقيت ساعتي) إذا لم أمانع. كان مرتبطاً باجتماع. لم أمانع.

6

كنتُ أعمل الليلة الفائتة حتّى وقت متأخّر في القبو. في إصلاح **ضرر** طارئ، نتج عن **تسرّب** في الخزّان القديم. أنا عامل نشيط، إذا كان ما أعمله ذا جدوى. لم أحتج إلى النوم (لم أتناول دوائي الليليّ)، ولذلك صعدتُ في الساعة الثالثة فجراً إلى السقيفة، وهناك نافذة نجمية الشكل في واجهة المنزل. ليست قمّة السقف عالية ما يكفي، لأن أقف منتصباً، وبكل الأحوال، كان عليّ أن أجثم متطلّعاً إلى سماء الليل، حيث كان ثمّة قمر شديد السّطوع، بهر عينَيّ! كيف أدركتُ أن **القمر** كان هناك، من القبو في الأسفل، لا أعرف. مِزَقُ غيوم كانت تعبر من أمام **القمر** متلبّدة ومتشابكة مثل أفكارٍ تسعى محمومةً نحوكَ، لكي تسمعها.

كوينتين الزريّ والغارق في البؤس.

لكننا نوشك على قلب صفحة جديدة، أليس كذلك، يا بنيّ؟

يمكنكَ بلوغ السقيفة بواسطة درَجٍ ضيّق حادّ في نهاية رواق الطابق

الثالث. السقيفة موصدة، واستخدامها **محظور** من قِبَل النزلاء مثل القبو. اتّخذتُ طريقي بصمت مرتدياً جواربي الصوفية آملاً أن لا أوقظَ الطالب الباكستانيّ الذي تكاد غرفته تقع تحت الدّرَج.

لن يكون "رامد" عَيّنة موثوقة. ولا أحد ممّنْ يسكنون تحت هذا السقف. أبداً لن أفكّر في ذلك.

كان هناك في السقيفة رائحة غبار قوية نفّاذة، وتلك الرائحة الحامضة الحلوة التي تنبعث من الفئران الميّتة. أخذتُ شهيقاً عميقاً، ثمّ آخرَ، ثمّ آخر - رئتاي منتفختان بالهواء مثل **البالون**. ما يدلّ أنني لا أحتاج ذلك الدواء اللعين. أأنا مريض؟ مَنْ يقول ذلك؟ وأنا أُسلّط مصباحي اليدوي إلى أركان السقيفة.

هذه قد تحقّق المَرجوَّ بالفعل. إبراز المشكلة على الملأ. جلاء النهار.

أكنتُ هنا من قبل؟ منذ زمن طويل، صعدَ صبيٌّ إلى هنا خائفاً، وعلى عجلٍ، ثمّ أخفى شيئاً مبهرجاً وبلاستيكياً على سطح إحدى العوارض الخشبية في الخلفية بين الظلال، لكنني لا أعرف إن كان يُفتَرَض أن أكون ذلك الصبي أم الصبي الآخر النازف والمحشرج. لكنني لم أكن أضع النظّارات حينها، فهل أنا الذي كان؟ (لم أبدأ استعمال العدسات الطّبّيّة حتّى بلغتُ الثانية عشرة.) بذلك لا يمكن أن يكون **كيو - بي -**. أو لعلّ الأمر اختلط عليّ مرّتَيْن.

أير في **الماضي**، إنه **ليس الآن**. كلّ ما **ليس الآن** ليس حقيقياً.

هادئاً ومتسمّراً لدقائقَ عديدة. قد درَّبتُ نفسي على فعل ذلك، وعوَّدتُ عينَيَّ على أن تخترقا العتمة.

أُضيء مصباح اليد، وهو مصباح يد **ناظر الأملاك** باتّجاه زوايا السقيفة، حيث تتواثب الظلال كالخفافيش. أبتسم حين أرى كيف يحدث ذلك، إذ يجولُ الضّوء، الضوء الذي تحمله في يدكَ، ساطعاً مثل ضوء النجوم، كيف تتواثب الظلال. تنتشر الظلال في الأرجاء. **لكنكَ أنتَ مَنْ يجعلها تتواثب.**

جاثماً هناك إزاء النافذة ترقب **القمر**، ينتقل إلى خارج الرؤية. الطريقة التي سينتقل بها الحلم، ولن يسعكَ أن تُوقِفَه. يخفق القلب بسرعة وقوّة. ويبدأ إحساسي بالشَّبَق. الإثارة، والدم يتسرّب إلى أيري. لستُ في مأمن في السقيفة، وكذلك الحال في القبو، حيث توجدُ طاولة الشغل. لقد نقلتُ أشيائي، وأقفلتُ عليها درجَ طاولة الشغل الكبير التي تعود **لناظر الأملاك.**

فضاء السقيفة هذا شبيه بأحلام محدَّدة، اعتدتُ رؤيتها، حيث أُعِدّت الأشكال لأن تكونَ صلبةً في طريقها إلى الانحلال. ليس ثمّة ما يُحتمَى به. ولا سيطرة. على عكس القبو الذي يتّصف بكونه آمناً **تحت الأرض**، السقيفة **فوق الأرض** إلى حدّ بعيد. كثافة **الأشعّة الكونية** عند المستويات الأعلى في كوكب الأرض أعلى منها عند المستويات الأكثر انخفاضاً.

كان الاقتراح بأن أنظّف السقيفة قد بدر من أبي، بهدف تقليص *مخاطر الحريق*، وأجبتُ نعم. سأبدأ تلك المهمّة بأسرع وقت. السقيفة الآن هي الرَّقْم واحد على سلّم أولوياتي.

الآن نوشك على قلبِ صفحة جديدة، أليس كذلك، يا بنيّ؟ وأجبتُ *نعم، يا أبي.*

7

من بين الجميع، أمّي وجدّتي وأختي جوني، كان الأمر أصعب على أبي كما أعلم. بالنسبة للمرأة، من طبيعتها أن تغفر. بالنسبة إلى الرجال، الأمر أكثر صعوبة.

إنه لمزعج بالنسبة إلى البروفيسور آر - بي - أن يعلم أموراً معيّنةً بشأن ابنه الأوحد، وهذه الأمور تتعلّق بالرأي العامّ. *بماذا يقرّ موكّلكَ؟* سأل القاضي، أجاب المحامي الذي أوكَلَه لأجلي أبي، *سيادة القاضي، موكّلي يقرّ بالذنب.*

في داخلي، لم أقرّ **بالذنب**، لأنني **لم أكن مذنباً**، وحتّى اللحظة لستُ مذنباً. لكن الأمر كان **قضية عِرْقِيّة**، أيضاً. كان الصبيّ أسود، **وكيو - بي** - أبيض، والمحامي أخطرَ أبي أن الأمر يُعَدّ مسألة دقيقة في ماونت ڤيرنون في هذه الآونة، وأن المحاكمَ تحت المراقبة على نحو دقيق، فقط اشكر الأقدار التي لم تضع في طريقنا قاضياً أسود.

لكنني الآن أعيش ظروفاً طيّبة مع العائلة من جديد. وهذا ما شرح صدر كلّ مَنْ شابهم القلق. كنت أُقِلُّ أمّي وجدّتي إلى الكنيسة، وقد حضرتُ أربعة آحادٍ على التوالي. وكنتُ أُوْصِلُ جدّتي إلى قسم شؤون العجزة ولزيارة

الأصدقاء. بحتُ لهم كم أشعر بالأسف، لأنني آذيتهم. وكم غالية بالنسبة إليّ ثقتهم بي. *سأكون جديراً بثقتكم من الآن فصاعداً، كما قلتُ لهم.*

كان الشُّربُ سبب ذلك، ولسوف يتوقّف ذلك من الآن فصاعداً.

إنه ليصعب عليّ معانقتهم! خصوصاً أبي. ثمّة تصلّب في سائر عظامنا. لكنني أفعلها، وأعتقد بأنه لابأس في ذلك. أمّي وجدّتي وأختي الكبيرة جوني كنّ يبكينَ، وكانت ثمّة دموع تتسرّب من عينَيّ دون أن أقومَ بمسحها.

حين نطقَ القاضي آل - بحُكم **السَّنَتَيْن**، كان هناك وهلة طويلة، لم ينبس أحد خلالها بشيء، أو حتّى يتنفّس قبل أن يضيف **وقف التنفيذ**. عكستْ عينا القاضي آل - اللتان لم يكن لي إلا أن أنظرَ إليهما (كما نَصَحَني محاميّ) ليس حدّةً وحسب، بل نوعاً من الطيبة.

القاضي آل - رجل عادل، وليس ذا طبع انتقاميّ، وليس ممّنْ يذعنون لإملاءات جماعاتٍ ذات مصالح خاصّة كما قيل. هو معروفٌ من قِبَل أبي، وأبي معروف من قِبَل القاضي آل -. لم أستفسرْ، لكن ماونت ڤيرنون مكانٌ، حيث يعرف الرجالُ أصحاب المِهَن أحدهم الآخر، وربّما ينتسبون إلى النادي نفسه أو النوادي نفسها. لدى أبي عضوية في نادي مركز مدينة ماونت ڤيرنون الرياضيّ غير البعيد عن مبنى المحكمة.

بعد ذلك، صافحني أبي بقوّة حتّى إن يَدي آلمتْني، ثمّ عانقني، وكانت ثمّة دموع في عينَيْه من وراء النظّارات، وكأن عينَيْه ارتختا في محجرَيْهما مثل الجيلي، وعلى وشك أن تُفلتا نحو الخارج. ناولني مفاتيح سيّارته، لكي أقلَّ العائلة إلى البيت.

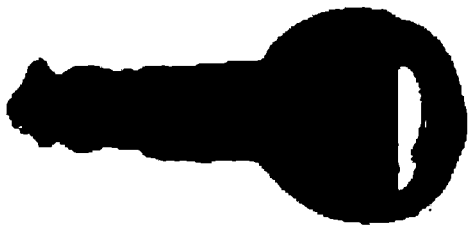

صورة مفتاح سيارة أبي

(الحجم الحقيقي)

8

كان الأمر قاسياً للغاية على أبي، لأن آر - بي - اسمٌ معروف للناس. في ماونت ڤيرنون، حيث يسكن هو وأمّي لثلاثين عاماً، وفي مكان عمله، ويُنظَرُ إليه كرجل متميّز.

لا أعني أن والدي مشهور مثل شهرة إينشتاين، أو أوبنهايمر، أو أستاذ أبي في معهد واشنطن الدكتور آم - كي -، أو أنه فطحل في حقله، لكنه معروف ومحَطٌ إعجاب، والعديد من الطَّلَبَة يتمنّون أن يدرسوا على يَدَيْه. شهادة الدكتوراه خاصّته في الفيزياء والفلسفة، ولربّما كان لديه شهادتا Ph.D. وكلاهما من هارفارد، ما لم تكن إحداهما من مكان آخر، زار أبي العديد من الجامعات، وعلى معرفة بالكثير من الناس.

قبل أن أُولدَ عندما كان آر - بي - حاملَ دكتوراه جديداً، نال منحة جامعية من معهد واشنطن في D.C. وهناك ارتبط بأواصر صداقة مع عالم الأبحاث الدكتور أم - كي - الذي حاز جائزة نوبل عام ١٩٥٨. في شيءٍ ما مثل البيولوجيا العصبية، أو بيولوجيا الخلية. فوق رفّ الموقد في منزل دايل سبرينغز، حيث ترعرعتُ، هناك صورة لرجال في برّات السهرة، وأحدهم كان الدكتور كي - وأحدهم كان أبي الذي بدا شابّاً، لدرجة يصعب أن تميّزه، وهذان الاثنان يتصافحان، ويبتسمان للكاميرا. ثمّة لطخات ضوئية

حمراء على أعينهما، بسبب فلاش الكاميرا. الدكتور كي - عجوز يميل إلى الصلع مع بعض الشَّعْر الآخذ بالبياض بلحية مثل لحية التيس، تشعّبتْ شُعيراتها، وقد يكون آر - بي - ابنَه، كما يمكن أن تظنّ. جادٌ ولمّاح، وفي الثانية والعشرين من العمر، لكنه كان آنذاك قد نشر بعض الأوراق، كما يسمّيها هو. وتزوّج من أمّي (وهي ليست في الصورة).

توجد صورةُ الدكتور أم - كي - و آر - بي - هذه في أماكن ثلاثة: في مكتب أبي، قاعة إيراسموس في الجامعة، وفي منزل دايل سبرينغز، وفي منزل جدّتي على حائط غرفة الجلوس، إلى جانب معظم صور العائلة. يُحملق فيها الزّوّار، ويتساءلون *آه! أهو؟* - ليجيب أبي: *نعم، إنه هو*. وقد تورّد خجلاً مثل ولد. في الواقع، *لم أعرفه معرفة عميقة - لكنه كان رجلاً عظيماً، ترك أثراً في حياة الكثيرين، وبالتأكيد، ترك أثراً في حياتي.*

عندما توفي الدكتور كي - منذ سنوات قليلة عن عمر ناهز الثمانين، كان ثمّة الكثير من النعوات على صفحات مجلّة *تايم*، *بيبول*، *نيويورك تايمز*، وحتّى *مانت فيرنون إنكوايرر*. اقتطعها أبي كلها، وغلّفها بغلاف شفّاف، وهي الآن معلّقة على حائط مكتبه في الجامعة. كان هناك نعوة في *ديترويت فري برس*، اطّلعتُ عليها، وكان يجب أن أقتطعَها، وأحتفظ بها لأجل أبي غير أنني نسيتُ، أو أنها ضاعت. كنتُ في ديترويت، حيث أذهب أحياناً، وأبقى في فندق في كاس، حيث كنتُ أُعرفُ بـ **تود كتلر** ذي الشَّعْر المجعّد البنّيّ الضارب إلى الحمرة والشاربَيْن، ويرتدي ربطة العنق الجِلْدية، ويبدو، إلى حدٍّ ما، ذا مظهر لائق، لكنْ، أيضاً عريض، بخش(*) طيز، يمكنكَ أن تركن إليه إذا حاولتَ. كنتُ برفقة روستر وكلانا كان تحت

*) بخش: ثقب.

تأثير الماريغوانا، ونتضاحك ونحن نتصفّح الجريدة التي طالما دفعتْني إلى الضحك، إذا كنت في مزاج سويّ، وأحدنا أو كلانا كان يقلّب الصفحات بسرعة وخشونة مثل ولد يحاول تمزيقها، ورأيتُ ذلك الوجه على صفحة النعوات **وفاة حامل جائزة نوبل**، ولكزتُ روستر، وقلتُ *إن هذا الرجل واحد من معارف أبي، فقال روستر أكيييد؟ ما تقوله هراء؟*

9

خطرت لي فكرة اختلاق **زومبي** لاستخدامي الخاصّ منذ خمس سنوات في لحظة تألّق عقليّ، بهدف تغيير حياتي.

يا يسوع! في تلك المرّات النادرة بوسعكَ أن تشعر بالخلايا العصبية للفصّ الجبهيّ التي انشحنت كهربائياً، وهي تتكيّف ذاتياً مثل برادة الحديد حين تنجذب إلى مغناطيس.

تُمطِرُ الأرضُ باستمرار بأشعّة كونية هائلة السرعة، يقولُ صوت المحاضر. صوتٌ مُضَخَّم. أكان أبي؟ أم أحد آخر يدّعي أنه البروفيسور بي - بخنّته الأنفية، وعادته بنحنحة الحَنْجَرَة، ووقفاته الوجيزة، لكي يترك لكلماته أن تتناهى.

أشعّة كونية من الفضاء الخارجيّ. بعمر عدّة ملايين من السنين. أشدّ تركيزاً في الطبقات الأعلى ممّا هي في السفلى. كانت محاضرة قاتمة على مدرج الجامعة. لم أدرِ كيف حدث أن كنتُ هناك. لم أتذكّر دخولي المدرج. قد راعى **كيو - بي** - أن يُخبّئ نفسه قصداً لكي يستمع إلى محاضرة البروفيسور بي -، ربّما كان يبحث عن نوع من المعرفة أو السّرّ؟ ككلبٍ يبحث عمّا تبحث عنه الكلاب وهي تتشمّم الأرض، وأعينها متيقّظة. باستثناء أنني لابد رحتُ في إغفاءة في الصّف الأخير، وحين أفقتُ، لم أعِ

بادئَ الأمر أين كنتُ الذي طالما تكرّر في تلك الأيّام عندما لم أكن على قدر وافٍ من التّحكّم في نفسي، كما أنا عليه الآن، وفي طريقي لأن أُكمل ما يقارب الثماني والأربعين ساعة بلا نوم مُهشِّماً بذلك ما أهشّمه. يُصْدِرُ جِلْدي حرارةً تنبض، ولأنفاسي طعم المعدن، ولدى رؤيتي، يحافظ الناس على مسافة منّي متجنّبين الجلوس في أيّ صفٍّ يجاورني. لم أكن أسكن في البيت في ذلك الوقت، بل كان لديّ مأوى في مركز المدينة. كان من الصعب أن أستحمّ هناك، لم يكن هناك ماء ساخن.

كان أبي على المنصّة إلى جهة اليمين. يلتفّ المايكروفون على عنقه. مائتان أو ثلاثمائة طالب في المدرج، يُدوّنون الملاحظات، ولو شاهد أبي ابنَه، لما أبدى ما يدلّ على ذلك. لكنني على يقين بأنه لم يستطع رؤيتي بسبب الظلام.

المادّة القابلة للقياس الكَمّيّ والمادّة غير القابلة للقياس الكمّيّ. ابحثوا في ملامح بدايات الكون. كان هناك محاكاة كمبيوترية على شاشة مضاءة في مقدّمة المدرج، حيث عرّفَها البروفيسور بي - بأنها قطّاع من الكون منذ مائتي مليون سنة. شارحاً كيف تطوّرَ الكون من الانسجام والتّوزّع العادل للمادّة حتّى وصل إلى الوضع الحاليّ من عناقيد المجرّات العملاقة والمادّة السوداء. *فما ينوف عن تسعين بالمائة من كتلة الكون تقع في "ثقوب سوداء" غير قابلة للقياس الكّمّيّ. بذلك يكون معظم الكون عَصيّاً عن الاكتشاف، بواسطة معدّاتنا، وغير "خاضع" لقوانين الفيزياء، كما نعرفها.*

كان هناك همهمة ودمدمة وتواتر في القاعة. ذلك الإحساس الذي ينتابكَ بأن الأرض تميلُ، أو أن الكوكب ينحرف، ويستقرّ تحت قَدَمَيْكَ. كان طَلَبَة البروفيسور بي - منهمكين بتدوين الملاحظات، ورحتُ أرقبُ

رؤوسهم المحنيّة وأكتافهم، وداخلَني أنّ أيّاً منهم على وجه التقريب قد يكون عَيِّنة مناسبة **للزومبي**.

لكنْ: قد تحتاج شخصاً فتيّاً، يتمتع بصحّة لائقة، ذَكَراً. ذا طولٍ معيّن، وزنٍ وجسد مكتمل، إلخ. قد تحتاج امرءاً يتّصف بـ"مقاومة" و"حيوية". ويتمتّع بأير كبير.

لكن طلاب الجامعة كانوا مُحرّمين بالنسبة إليّ. بعد تلك الحادثة التي نمّت عن جهل والتي، لحسن حظّ **كيو - بي** -، انتهت دون عواقب سيّئة. كانت العتمة تلفّ ماوراء الكتلة السَّكَنية، وكان الولد ثملاً، وقد انحنى ليتقيّأ، وليُحرِّض البلعوم على التّقيّؤ، ولمّا رفع رأسه لينظر حين سمعني، خبطتُ أذنه بقوّة بحديد الإطار مُلقياً به إلى الأرض قبل أن يتسنّى له رؤيتي، لذلك مرّ الأمر بسلام، إذ كنتُ أرتدي سترةً بغطاء رأس، ولم يكن هناك شهود، رغم ذلك، ذعرتُ، وركضتُ، كما لن يسعني أبداً أن أفعله الآن بما أمتلكه من التجربة. لكنْ، لابأس. قد تعلّمتُ درساً.

ومنذ وقت بعيد، لدرجة يصعب عليّ تذكّره على وجه التحديد، في إيبسيلانتي، وصلتُ إلى الخلاصة نفسها، كما أظنّ. لحقيقة مفادها: أن أيّ طالب جامعيّ (باستثناء الطَّلَبَة الأجانب الذين هم بعيدون عن أوطانهم) سيُعْلَمُ بأمر غيابه على الفور. فعائلاتهم تهتمّ لأمرهم. ولديهم عائلات.

العَيِّنة الأكثر أماناً من أجل **الزومبي** ستكون شخصاً من خارج البلدة. راكباً متطفِّلاً، أوجوّالاً، أوبائع مخدّرات متسوِّلاً (في حالة حسنة، وليس هزيلاً، أو مَن أذهبَ به الإدمان، أو مريضاً بالإيدز). أو من ضواحي سَكَن

السّود في مركز المدينة. شخصٌ لا يعيره أحدٌ الاهتمام. شخص لم يكن يجب أن يُولَد.

سرتُ خارجاً من المدرّج وسطَ دمدمة الأصوات، وقصدتُ مكتبة علم النَّفْس، لكي أُلقي نظرة على **كتاب الجراحة الفَصِّيَّة الدماغية**.

10

لهذا السبب: لدى رؤية الكون على هذا الشكل (وهذا الشكل نسخة طبق الأصل عن شيء بائد منذ مليارات السنين!) سترى كم من العقم اللعين أن تُصدِّق أن أيّ مجرَّة تُشكِّلُ فَرقاً ناهيكَ عن نجمٍ يتبع أيّ مجرّة أو أيّ كوكبٍ بحجم لا يكاد يتجاوز حبّة رمل في ذلك الفراغ الفاحم. ناهيكَ عن أيٍّ من القارّات، أو أيٍّ من الأمم، أو أيّ من الدول، أو أيّ من المُدُن، أو أيّ من الأفراد.

خطرتْ لي الفكرة في ذلك الوقت لسبب إضافي، لأنني كنتُ أكابدُ الأَمَرَّيْن في إبقاء أيري منتصباً مع **الأعين المتيقّظة** للذُّكُور التي ترقب أماكني الحميمة.

11

كنتُ أسكن شقّة من غرفَتَيْن على الشارع الثاني عشر في ريردون، لأعود إلى ماونت ڤيرنون بعد قضاء بعض الوقت في ديترويت، وكان هذا المكان معروفاً من قِبَل أبي وأمّي، وكنتُ أعمل في شركة Ace Quality Box. (كموظّف كما كان يظنّ أبي، وفي الحقيقة، كنتُ أقوم بتحميل الشاحنات وتفريغها)، أو ربمّا تركتُ العمل، أو طُرِدتُ عندما زارني أبي. بعد المحاضرة في المدرّج بعدّة أيّام، كما أظنّ. كان الأمر قد اختلط في ذهني، إن كان أبي قد لمحني هناك في الظلام، **فعيناه تخترقان الظلام**، ولكنْ، ربمّا لم يكن الأمر كذلك.

قد بلغتُ السابعة والعشرين، وحان الوقت، **لكي أتحمّل مسؤولية نفسي بنفسي**، كما قلتُ لهم. وقد عنيتُ ما أقول.

(لكنْ: أعطتْني أمّي بعض المال عندما احتجتُ، ليس عن طريق الشيكات، بل نقود حقيقية. بذلك لن يدري أبي.).

في الأسبوع الذي تلا عيد الشُّكْر، ١٩٨٨. كان قد انقضى على اختفاء **بوني غلوڤز** اثنا عشر يوماً، لكنْ، لم يكن هناك من ذِكْرٍ لذلك في صحيفة *ماونت ڤيرنون إنكوايرر*، أو في التلفزيون المحلّيّ، ولماذا ينبغي أن يكون؟ انطلِقْ من ديترويت إلى مونتانا، ولن يكون هناك ثمّة أثر.

كم من المئات، الآلاف في السنة الواحدة. مثل عصافير الدّوري في الهواء، تعلو بأجنحتها، وتُحلّق، وتترنّح، وتهوي، وتختفي، ولا يبقى لها أثر. ويبتلعها الله ذاتُه الذي هو **الهيولى المظلمة**.

أطراف دايل سبرينغز. رَقْم ٨٠٠ هو المكان حيث يعيش آل بي - وحيث نشأ ابنهم كيو -. ضاحية من ضواحي ماونت ڤيرنون قرب بحيرة ميتشيغان، حيث الكثير من الأشجار والأفق اللامتناهي من الاخضرار المزروع بأزهار إبرة الراعي صيفاً عندما تقود السّيّارة عابراً الحدّ (اللامرئي) لمدينة ماونت ڤيرنون. على بُعد ستّة أميال شمالي غرب الجامعة الذي هو الآن الحَرَم الجامعيّ المترامي الأطراف. مركز مدينة ماونت ڤيرنون، هذه المنطقة الخرائية، حيث كنتُ أستأجر مسكني على بُعد خمسة أميال إلى الجنوب. قال أبي إنه **مرّ بالجوار** بقصد زيارتي.

طَرْقٌ على الباب. فتحتُ عينيّ بسرعة مُرغِماً الأجفان الدّبقةَ على الانفصال بعضها عن الآخر، وتسارعت دقّات قلبي بذعرٍ شديد، لأن **الآن ليس الوقت المناسب**.

متلعثماً سألتُ مَن الطارق، وأنا أنهض عن السرير متعثّراً، بينما ألبس بنطالي. رافعاً السّحّاب. ساحباً البطانية الخاكي على الفرشة. للشراشف الوسخة رائحة الحلوى العفنة. كنتُ آنذاك قد اعتدتُها، وكان يُستحسَن لو جرَّبتُ فتحَ النافذة، لكنني لم أفعل.

"حسناً،" قلتُ "سأفتح. مهلاً."

وكان الأب. أبي. قد **مرَّ بالجوار** ليسأل عن أحوالي.

كانت سلسلة القفل محكَمة. كان البروفيسور آر - بي - يبتسم، وقد تقلّدَ وجهه الرّماديّ اللون شبيه القماش المخمليّ، وإستَه التّويديّ على فمه، ونظّارته السوداء البلاستيكية البروفيسورية تركبُ جسر أنفه. تردّدتُ في فَتْح الباب. حاولتُ أن أقول إنّ الباب استعصى عن الفَتْح، وإنّ السلسلة قد علقتْ. لكن **عينيّ أبي** على بُعْدِ بوصاتٍ قليلة من الشّقّ.

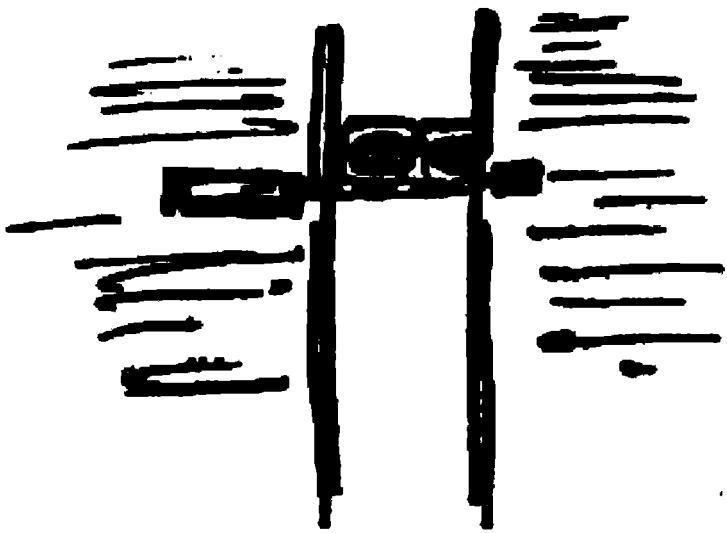

خارجاً من حلم مداعبةٍ شبقةٍ مع **بوني غلوفْز**، صوته بالغ الصفاء في رأسي، كما لو كان قبل التّبدّل الذي طرأ فيه. وعيناه البنّيّتان داكنتان كأن **المعرفة** قد تجذّرت فيهما، والبؤبؤان انكمشا إلى حجم ثقوب الدبابيس.

"مرحباً، كوينتين! هذا أنا! هل أزعجك؟"

مددتُ يدي، وفككتُ سلسلة القفل. واحتلّ أبي العتبة، وهو يتفحّص المكان، وحابساً الأنفاس من على الدرج. عندما تحوّلت لحية ذقن

البروفيسور آر - بي - من بنّيّة برّاقة إلى رمادية، غزاها الشيب، قام بحلاقتها دون وَجَل، لكن آثار اللحية لاتزال بادية على وجهه. تلك الحدّة في صوته.

"يا بُنَيّ؟"

يبدو كلانا بالطول نفسه، إذا وقفتُ مشدوداً، ورفعتُ رأسي في مواجهته. كالعادة سألني كيف أحوالي، وأجبتُه. وسألتُه كيف أحواله؟ وكيف الأمور في البيت؟ وتُبلغكَ أمّكَ وجدّتكَ محبّتهما. نعم. وجوني. الكل يتساءل لماذا لم أتّصل، ولم أمرّ بهنّ؟ ويعتورهنّ القلق (تعرفُ النساء كيف يُفكّرن!) ربمّا أنا مريض. **وعينا أبي** ترشقان المكان بنظراتهما، ويملؤني يقين بأنهما ستتوقّفان عند شيء واحد. صمتٌ، ومن ثمّ، يسأل، "هذه الخزانة، هي جديدة أليس كذلك؟" صمتٌ. و"ماذا فيها ما يستدعي القفل، يا بنيّ؟"

ألتفتُ لأنظر إلى الخزانة المعدنية التي يبلغ ارتفاعها خمس أقدام. في الرُّكن بين السرير والحمّام. كأنني لم أرَها من قبل، وكأنني نفسي فوجئتُ بها.

"مجرّد أشياء النادي، يا أبي،" أجبتُ. أجبتُ بسرعة. "أحذية العَدْوِ، جرابات. مناشف وأشياء مشابهة."

سألَ الأب، وهذا منطقيّ للغاية، "لكنْ، لماذا تحتاج إلى قفل؟"

كان قفلَ أرقامٍ كالذي يُستخدَم على خزانة المدرسة الثانوية. لقد حفظتُ تركيبة الأرقام، وتخلّصتُ من مِزقة الورق.

كنتُ أقول، "القفلُ جاء معها، يا أبي. من هيئة المعونة. كانت صفقة

رابحة فقط ١٢ دولاراً. إنه جزء منها. إنها طريقتي في الاستفادة القصوى من الخزانة، كما أفترض."

"مع ذلك، لن تحتاج إلى استعماله. فلماذا ستستعمله؟"

البروفيسور المتميّز، جامعة الولاية، ماونت ڤيرنون. درجتان في الفيزياء والفلسفة. زميل ذو أقدمية في معهد ولاية متشيغان للأبحاث المتقدّمة.

عينا أبي وراء نظّارته اللامعة. تنظران إليّ عندما كان عمري سَنَتَيْن وأنا أقعي خارياً على أرضية الحمّام، وعندما كنتُ في الخامسة من عمري، أداعب أيري الصغير، وعندما كنتُ في السابعة وتي - شيرتي ملطّخ بدمٍ من أنفِ ولد آخر، وعندما كنتُ في الحادية عشرة عائداً إلى البيت من المسبح، حيث غرق صديقي باري، وأكثر ما أبدتْ **عينا أبي** من ضراوة عندما كنتُ في الثانية عشرة حين اقتحم أبي الطابقَ العلويَّ ومجلات *بناء الأجسام* تهتزّ في يده. "*بُنَيّ؟ يا بنيّ؟*"

"م م ماذا؟" تأتأتُ. "أنا مصغٍ."

كان أبي مقطّباً. في السابعة والخمسين بفتحَتَي أنفٍ، غزاهما الشعر الأسود، تتّسعان وتنقبضان. "لماذا تتطلّب 'أشياء النادي' قفلاً خاصّاً، يا بنيّ؟ لماذا تنبعثُ من 'أشياء النادي' *رائحةٌ كهذه*؟"

خطر لي: يظنّ أبي أني رجعتُ إلى عادة الشّرب من جديد وتعاطي المخدّرات من جديد، هل الأمر كذلك؟ انغماسي في العادات القذرة مرّة أخرى سيهدّد صحّتي؟

أما بشأن **بوني غلوڤر**، فماذا يسع لأبي أن يعلم؟ هل يتسنّى له أن يعلم؟

بين نوابض السرير والفرشة الرقيقة كنتُ أُخبِّئ سكّين تنظيف الأسماك ومثقاب الثلج ومسدّس سميث وِسّون المنكّل من عيار٣٨ غير أني كنتُ مشلولاً، ولم يُتَحْ لي أن أقوم بأدنى حركة، لأدافع عن نفسي. مُحدِّقاً في يَدَيّ اللتَيْن كانتا ترتعشان بعض الشيء، وكأن البناء كان يتواتر من أساسه. قد تساءلتُ، هل باستطاعتي أن أخنق والدي؟ لكنه سيقاوم، سيستميت في المقاومة، وهو قويّ. وفي المقاومة، سيكون كلانا **متساوِيَيْن**. كنتُ أحدِّق في يَدَيّ، كأنني لم أرهما من قبل، كأنني أتعلّم أن اسمي هو **كيو - بي** - والذي هو أنا، ولن يكون هناك شخص آخر لكي أكونَه، كانت الأصابع قصيرة وبدينة كأصابع الأطفال، وقد تقشّرت ثنياتها والأظافر بلونها الحليبيّ العليل كأنصاف أقمارٍ غير مستوية ومتقصّفة، وملأ السخام ما تحتَها. كم من المرّات فركتُ يَدَيّ بالصابون الرماديّ الذي ابتعتُه من Ace ونظّفتُ ما تحت الأظافر بنصل السّكّين، ورغم ذلك، عاد كلّ شيء كما كان.

ثمّ خطر لي الجواب.

قلتُ، " - أراهنُ بأني أعلم ما تكون، يا أبي. إنها رائحة جرذ ميّت."

"جرذ ميّت؟"

"أو فأر. ربمّا فئران."

"أهناك **فئران** ميّتة هنا؟"

أكان يظنّها طعاماً، طعاماً فاسداً. أو خراء.

ناقراً على الخزانة بمفاصل أصابعه. كانت الخزانة مَطليّة باللون الأخضر

العسكريّ ومخدوشة على نحو سيّئ، وقد صدرت عنها طقطقة حين لَطَمَهَا. تغضَّن وجه أبي بخطوطه التي تُشبه المخملَ بالاشمئزاز.

قلتُ، "أعـ عرفُ بأنها ليست الحال التي رُبّيتُ عليها، يا أبي، أنا أو جوني، آسف لذلك."

"كوينتين، منذ متى والأمرُ هكذا في هذه الغرفة؟"

"ليس منذ أمد بعيد، يا أبي. منذ يوم أويومَيْن."

"أنتَ نفسكَ، ألستَ مستاءً من الرائحة؟"

"أنا بصدد إجراء بعض التنظيفات في نهاية الأسبوع، يا أبي."

"كنتَ تنام بالضبط هنا قرب هذه الخزانة، هذه الرائحة، ولستَ مستاءً منها؟"

"أنا مستاء، يا أبي. الأمر أنها لا تثير عصبيتي."

"إنه لمن بالغ الإزعاج بالنسبة لي، يا بنيّ، بأن يكون ما تقوله كذباً."

"حسناً، لا أقصد أن أكذب، يا أبي. قد لا يعدو الأمر أنني لا أعرف ماذا كنتَ تسأل."

"أسألُ لماذا تُحكِمُ إغلاق الخزانة بقفلٍ، ولماذا تصدر عنها رائحة. أنتَ تعرفُ عمَّ أسألُ."

"باستثناء الفئران، يا أبي،" قلتُ، " - لستُ أدري ما هو سؤالكَ."

"والدتكَ قلقة عليكَ، وأنا قلق عليكَ،" قال أبي، " - ليس فقط مستقبلكَ، بل اللحظة الراهنة. ما هي حياتكَ هذه اللحظة، يا كوينتين؟ كيف لكَ أن تصفَها؟"

"حياتي في 'هذه اللحظة' -؟"

"ألا تزال تعمل في تلك الشركة؟"

"بالتأكيد. اليوم فقط هو يوم عطلتي."

"ما الذي كنتَ **تفعلُه** هنا عندما قرعتُ الباب؟"

"كنتُ في قيلولة."

"قيلولة؟ في هذه الساعة من النهار؟ مع هذه - الرائحة؟ يابنيّ، ماذا دهاك؟"

هززتُ رأسي. كنتُ ساهماً في الأرضية، لكنني لم أكن أراها.

لو نظرَ في الحمّام، أظنّ، لأكلتُ خراء. المغطس الذي لم أمتلك الوقت الكافي لكي أفركه. ستارة الدوش ملطّخة ومبقّعة. ملابس **بوني غلوڤر** الداخلية ملفوفة ومنقوعة بالدم وشَعْر العانة الذي كشطتُه مبعثرٌ على الأرض.

"يا بنيّ، أنا أتوجّه بحديثي إليكَ. كيف تفسّر نفسَكَ؟"

"حسناً،" قلتُ، " - فيما عدا الفئران، لستُ أدري ما المشكلة."

ومضى الأمرُ على هذا المنوال. صاغ **فمُ أبي** كلماتٍ محدّدةً، تخرج

مثل البالونات، وصاغ فمي كلمات محدّدة، وكانت مألوفة لديّ، وكان في ذلك بعض الراحة. في النهاية، يستسلمُ أبي، *لأنه لايريد أن يعرفَ*، ويمسح وجهه بمنديل ويقول، "كوينتين، السبب الرئيس لمجيئي هو - لمعرفة إن كنتَ تودّ الذهاب معي إلى البيت للعشاء الليلةَ؟ أعدّتْ والدتكَ فطيرة الكسترد بالموز،" وقلتُ، "شكراً، يا أبي، لكنْ، لا أظنّ أني جائع. لقد أكلتُ قبل مجيئكَ."

12

في الثانية عشرة من العمر، وفي الصّفّ السابع وأنا أضع نظّارات وذراعاي طويلتان ونحيل، والشَّعْر يطلع تحت إبطَيّ، وعلى حوافّ عانتي، وأعينهم وأعين المدرِّسين تنزلق عليّ، وفي حصّة الرياضة، رفضتُ الاستحمام، رفضتُ أن أمشي عارياً بينهم وأيورهم تلمع وتحكّ صدورهم وبطونهم، وبعضهم مفتولو العضلات، فيهم الوسامة، ويتضاحكون كالقِرَدة غير عابئين إلا لدى رؤيتي وعينَيّ اللتَيْن لم أستطع أن أبقيهما ساكنَتَيْن دون أن ترشقا وتسبحا بينهم كأسماك المنوةِ، وكلّما لمحوني، فهموا، وستنقبض وجوههم بالاشمئزاز، **لوطيّ لوطيّ، كوينتين لوطيّ**، وفي ذلك الحين، اقتحم أبي الطابق الثاني، ليعاقبني، حيث كنتُ أنجز وظيفتي في غرفتي، ولينتزعني من ذراعي، وإلى الطابق السفليّ، ومن ثمّ، الكراج، وليريني مجلات *بناء الأجسام*، ودمية كين الذَّكَر عاريةً التي أتيتُ بها من الملعب، وخبّأتُها خلف أكداس من الجرائد القديمة، لأجد وجهه ممتقعاً وغاضباً، وفي ذلك الحين، كان لأبي لحية مثل لحية الدكتور أم - كي - وهذه بدورها استشاطتْ غضباً. لاوياً المجلات بين يَدَيْه كَمَنْ يلوي عنق الدجاج،ليتجنّب رؤية الأغلفة والرسومات التي رسمها أحدهم عليها، بقلم ذي حبرٍ أحمر مضيء. ولكي لايرى ما بداخلها من رسوم شبيهة لموديلات أجساد الذُّكُور المفتولة في صفحة المنتصف، والشّابّ الذي كان يشبه

ما سيكونه باري خلال سنوات، ويزيده وزناً بعدّة أرطال، وموزة وردية لمّاعة تنتصب عند عانته، وأجزاء من الصور قد اقتُطعتْ بمقصّ. هذا عتْهٌ، يا كوينتين، نبسَ فمُ أبي، لاهثاً، *هذا مُغثٍ، لا، ثمّ، لا، لا أريد رؤية شيء كهذا مرّة أخرى في حياتي. لن نُخبرَ والدتكَ*، أوشك أن يقول المزيد، لكن صوته خانَه.

قمنا معاً بحَرْق الدليل. خلف الكراج، حيث لا يمكن أن ترى أمّي.

13

خزع الدّماغ الجبهي، المعروف أيضاً بـ Leucotomy خَزْع مقدّمة الفصّ الجبهي(*) (من كلمة leuco، التي تعني "أبيض" باليونانية). أكثر أنواع الجراحات العصبية صرامةً واستحالة، إذا أُرِيْدَ التراجع عنها. هذا الإجْراء يُتلِف المادّة البيضاء في كلا الفَصَّيْن الجبهيَّيْن اليساري واليميني من الدماغ البشريّ. فالنواقل العصبية التي تصلُ الفصَّيْن الجبهيَّيْن بالجهاز الحُوفيّ(**) والأجزاء الأخرى من الدماغ بالغة الاستعصاء. النتائج المَرجوَّة: "تسطيح" الأثر لتقليص الانفعالات، الهيجان، الإدراك العقلي القهريّ والسلوك النَّفْسيّ في الفصاميّيْن والمرضى العقليّيْن الآخرين. الأولاد حتّى سنّ الخامسة قد يقيّض لهم الشفاء.

هذه الصفحة، اقتطعتُها بمشرطٍ من كتاب مَدرسيّ. وراء أكداس في خلفية المكتبة النَّفْسية، حيث لا يستطيع أحد أن يراني. **أستطيع أن ألمح تجسُّدَ *الزومبي* خاصّتي قاب قوسَيْن أو أدنى منّي.**

(*) Leucotomy

(**) limbic system يعدّه العلماء بمثابة فصّ خامس، أو الفصّ الانفعالي في المخّ، بسبب أهمّيّته؛ فهو المسؤول عن الانفعالات، كالشهوة والغضب والوَلَه في الحبّ والتراجع خوفاً والإحباط والحسد والغيرة.

ثمّة كتاب آخر ربمّا أفضل، *الجراحة النَّفْسية* (١٩٤٢) من تأليف الدكتور وولتر فريمان والدكتور جيمس و. واطس من جامعة واشنطن -

عندما يغيب المريض عن الوعي، أقبضُ الجفنَ الأعلى بين إبهامي وسبّابتي، وأُبعدُه ما يكفي عن مقلة العين. ثمّ أقومُ بإيلاجِ رأس المسبار عبرِ المحجريّ إلى كيس الملتحمة، محاذراً ألا أُلامس الجِلْد أو الأجفان، ثمّ أُحرِّكُ الرّأسَ حول البؤرة التي يتموضع فيها حتّى يستقرَّ إلى قبّةِ المحجر. ثمّ أعتمدُ على ركبةٍ واحدة، إلى جانب الطاولة، لكي يتسنّى لي تسديد الأداةِ بموازاة نتوءِ عَظْمِ الأنف، وبرفق باتّجاه خطّ الوسط. عندما يتمّ بلوغ مؤشّر الـ ٥ سنتيمترات، أشدّ مقبضَ الأداة مراعياً ما أمكن السير أفقيّاً إلى الحدّ الذي تسمح به حافّة المحجر بغية قَطعِ الألياف عند قاعدة الفصّ الجبهيّ. ثمّ أُعيدُ سحب الأداةَ جزئياً إلى الوضعية السابقة، وأُرسلها أبعدَ حتّى عمق ٧ سنتيمترات. انطلاقاً من حافّة الجفن الأعلى. مرّة أخرى، أصوّبُ الأداة بأقصى ما يمكنني من انتباه، وألتقط صورة جانبية لها بهذه الوضعية. إنها الطريقة الأقرب إلى الإحكام الذي يمكن أن يتوخّاه هذا الأسلوب. ثمّ يلي الجزءُ الحسّاس. الشرايين في المتناول. مُبقِياً الأداة في المستوى الأمامي، أحرّكها بمقدار ١٥ إلى ٢٠ درجة وسطيّاً و٣٠ درجة أفقياً، أُعيدها إلى الوضعية الوسطى، وأسحبها بحركة ملتوية، مُبدياً في الوقت نفسه ضغطاً كبيراً على الجفنِ، لكي أحول دون حدوث نزيف. ثمّ إلى الاتّجاه المعاكس، مستعيناً بأداةٍ مماثلة، عُقِّمتْ للتّوّ.

كنتُ مهتاجاً حتّى **الانتصاب** لدى اقتطاع هذه الصفحات، أدركتُ أنها **نقطة تحوّل** في حياتي. كم من آلاف عمليات *خزع الدماغ* عبر المحجريّ أجرى هؤلاء الناس بين عامَي ١٩٤٠ و ١٩٥٠ وكم يسيرٌ إجراؤها، أعلن مؤلّف *مبادئ علم النَّفْس* أنه أجرى أحياناً ما يقارب الثلاثين منها في اليوم الواحد مُستخدِماً فقط مثقابَ ثلجٍ "متواضعاً" كما وصفه!

كان أبي وأمّي يأملان أن أصبح عالِماً مثل أبي، أو طبيباً. لكن الرياح لم تسرْ، كما اشتهتِ السّفنُ. غير أني أدركتُ إمكانيّتي بأن أجريَ *خزع دماغ* عبر محجريّ حتّى لو في السّرّ. كلّ ما أحتاجه هو مثقاب الثلج. والشخص العَيِّنة.

14

في اللقاء الجماعيّ يوم الثلاثاء، حثّنا الدكتور بي - على أن نتحدّث من *القلب*. كان هناك أحد عشر منّا. العيون تفادَتْ بعضها. حسناً، *يا رجال، دعونا نُدحرج الكُرَة، مَن يريد البدء؟* كان ثمّة طنين غريب في قحف رأسي. واصلتُ النظر إلى الوراء من فوق كتفي وزحزحة قفاي على مقعد الكرسيّ، لكنْ لم يكن هناك أحد ورائي، أو ربّما كان هناك أحد ما، لم أستطع رؤيته. *تذكّروا أنْ ليس لأحدٍ أن يُحاكِم أحداً آخَر. تلك هي الخلاصة، يا شباب.*

بعض أضواء النيون يومض. جدار إسمنتيّ مصمتٌ مَطليّ بلون الخردل الأصفر والملصقات الدعائية والنشرات الإعلانية وأوراق التواقيع وصورة ماجِك جونسون عليها رسالة، ولا نوافذ، باستثناء التي على الباب بزجاجها الثخين المقوّى بالأسلاك الشبيهة بدارات الدماغ، وأنا أتساءل إن كان زُجاجاً أحاديّ الرؤية، وإذا كنّا تحت المراقبة مثلما يتمّ تصوير جرذان الاختبار؟ مع أن ذلك الباب الذي دخلناه هو، أقسم على ذلك، الباب نفسه الذي نمرّ عبره كلّ أسبوع.

حسناً، يا رجال، دعونا نُدحرج الكرَة، تحدّثوا بصفاء ومن القلب. مَن يريدُ البدء؟

يبدأ بيم، بيم هو فتى أبيض في مثل عمري ذو وجه يشبه الجبن المفتّت وارتعاشات الهالدول(*) وأنف دائم السيلان، لذلك هناك التماعة مخاطٍ في فتحَتَي أنفه، تشبه قطرات الدموع، حين يبدأ الحديث والضحك والكلام بسرعة لا يستطيع التّوقّف، وأنا أحدّق في الأرض، أفكّر فيما يمكن أن يقوله **كيو - بي** -، لثلاثة أسابيع على التوالي، أجلس هنا محدِّقاً في الأرض، أبكم - و - أصمّ مثل الأبله. إذا لم تتعاون/تتواصل، **ستكون منتاكاً**. التالي هو الشخص الأبيض الآخر بيرش الأربعينيّ الذي يرتدي دائماً معطفاً منقّشاً، وربطة عنق، يكشر عن ابتسامة، ويحاول مصافحة الجميع، رآني في الخارج في الطريق ذات يوم، ونادى **كوينـتين!** وكأننا أصدقاء، ووقفتُ هناك أحدِّق فيه دون تواصل بصريّ، بل لم أعلُ بنظراتي فوق الصدر، ثمّ يحدّق بي، ويدنو منّي ويده ممدودة للمصافحة، وأنا بقيتُ جامداً ضمن حيّزي الشخصيّ، وحابساً الأنفاس، وأخيراً يتراجع قائلاً *اعذرني، ظننتُكَ شخصاً آخر، أعرفه*. والتالي هو ذلك الفتى السمين، ولدٌ أصغر منّي بكرشٍ بيرةٍ، تهدّلتْ على حزام رعاة البقر، واندفعت نحو ذقنه مثل ضفدع منفوخ. بوز الضفدع هو الاسم الذي أطلقتُه عليه، ويتكلّم بسرعة أيضاً، ويتعرّق، ويلهث، ورغم أنني لستُ مصغياً إلا أنني لم أستطع أن أتوقّف عن سماعه، بعض ما يختصّ به من هراء يتعلّق بأنه "*مسكون بذكرى، لا أستطيع الكفّ عن التفكير، أشعر ببالغ الأسف لسفالةِ*" إحراق أولاد أخته في حادثة دلقِ البنزين حول البيت، وإشعاله بقصد الانتقام دون أن يعلم أن هناك أحداً في داخل البيت، وهذا يستغرق وقتاً طويلاً. هناك الفتية السّود الذين كان من بينهم اثنان، لابأس بهما، أطلقتُ عليهما ڤلڤيت تونغ/ اللسان المخمليّ وزا تيز، هذان الشخصان فنّانان خرائيان بمعنى الكلمة، وكلاهما

*) الارتعاش من آثار دواء Haldol الجانبية.

أُخلي سبيلُه بشكل مشروط من جاكسون، وقد تمكّن **كيو - بي** - من أن يتعلّم منهما، ولكنْ، **لم يُنشئا اتّصالاً بصرياً**. كذلك لم أفعل.

نسيتُ أدويتي الصباحية وموعد الغداء، ولذلك في طريقي إلى هنا، ازدردتُ حبَّتَي لودز(*). وتناولتُ شطيرَتيَ تشيزبرغر وبطاطا مقليّة مع بعض البيرة في القان، اشتريتُ عبوة السّتّ زجاجات من متجر الـ سفن - إلِفن، وشربتُ أربعاً منها مباشرة، الحَنْجَرة الشرموطة جافّة جدّاً. أطوف الطريق السريعة والنهر، وهناك قرب سَكَن السّود. **محظور** ارتيادُها منذ حُكم عليّ. مجازفاً في أن يوقفَني شرطيّ وأنا متلبّس في حالة شُرب، لكنْ، لا شرطيّ سيوقفني، شاب أبيض بتسريحة شعر أنيقة، يقود ڤاناً بأضواء أمامية وخلفية مقبولة، ضمن حدود السرعة المسموحة، وعلى الخطّ اليميني. نال **كيو - بي** - رخصة القيادة عندما كان في السادسة عشرة، وهو على الدوام سائق حذر.

إذاً، أنا على مايرام، وفي حالة ابتهاج، وأصغي إلى الفتية الآخرين، أو أبدو كَمَنْ يصغي، والدكتور بي - مقطّب ورأسه تهتزّ كالآخرين، أيضاً كما يصغون ويتقبّلون الأمر كلّه. وأنا لن أجفلَ لأن دوري يأتي بعد الشخص التالي. وأعرف بأنني أزيد من تعقيد كوني لستُ *مساهماً في النقاش*، كما يسمّيه الدكتور بي -. أعلم بأنه ماضٍ في إعطائي العلامات الدّنيا أو؟؟؟ (علامات الاستفهام) في تقاريره. *لا أحد بصدد إطلاق الأحكام عليكم، يا رجال. فقط تحدّثوا من القلب. لن يخرج شيء خارج هذه الغرفة، مفهوم؟*

تقوّست كتفاي كعاتقَيّ النَّسر وأنا أحدّق في حذائي، وهو حذاء جزْيٍ ملطّخ، بما يشبه الصدأ. *كوين. تين؟ ماذا بشأنكَ؟* وأفتح فمي لأقول

(*) Methaqualude : نوع من الأدوية.

شيئاً، ويخرج ذلك الصوت، إنه صوت **كيو - بي** - لكنه صوت شخص آخر أيضاً، شخص في التلفاز ربمّا، أو أنني أقوم بتقليد بيم، بيرش، بوز الضفدع، متلجلجاً أقول كم كنتُ مسربلاً بالعار إذ خنتُ الثقة الغالية التي أولاني إيّاها أمّي وأبي، وذلك كان الشطر الأسوأ ممّا حدث لي، ليس مرّة واحدة وحسب، بل حدث مراراً منذ كنتُ في التاسعة عشرة، رغم أنني لم أُعتقَل قبلها، ولم أفعل ما هو *خارج عن القانون*، باستثناء بعض صغائر الأمور. (لا أعرف لماذا قلتُ *التاسعة عشرة*، بدتْ مجرّد سنٍّ ملائمة. في الحقيقة، كانت *الثامنة عشرة* هي العمر حين وقعت حادثة بيسيلانتي، وَلَكَمْ كانت كبيرة درجة انزعاج أبي وأمّي.) قلتُ إني تمنّيتُ لو أُرجِعَ الساعة إلى الوراء إلى سنّ الطفولة! وأبدأ العمر من جديد. عندما كنتُ بريئاً وطيّباً. عندما كنتُ مع الله. قلتُ إني آمنتُ بالله، لكنني لم أظنّ أنه آمن بي، لأنني لم أكن أستحقّ ذلك. ثمّة تلك الطريقة التي يتغضّن بها وجهُ أمّي، وينطوي عندما تبكي، بما أنها تكبر في العمر، ووجهي انطوى بالطريقة نفسها، وكان الفتيةُ مرتبكين، وأشاحوا بأنظارهم بعيداً، ما عدا بيرش الذي سلّم بالأمر لاعقاً شَفَتَيْه كَمَنْ يلعق المنيّ، والدكتور بي - مقطّب ورأسه تهتزّ. أحد الفتيان السود "اللسان المخمليّ" ناولني منديلاً، لكنْ، دون أن ينظر إليّ، وكان صوتي يتسارع الآن كمقطورة سيّارة أفلتتْ جارية عن طريق جبلية. قلتُ كم أسفتُ على الصبيّ ذي الاثنَتَي عشرة سنة الذي اتُّهمتُ "بالتّحرّش" به (لكنْ، دون أن أسوقَ التفاصيل عن أنه كان *أسود ومتخلّفاً عقلياً وزومبياً طبيعيّاً* - كما كنتُ أظنّ!) - قلتُ إني لم أعِ ما حدث بالتحديد، إذا كنتُ قد دنوتُ من الصبيّ بنفسي في الزقاق الخلفيّ وراء حاوية الزبالة، حيث رُكِنَ ڤاني، أو أن الصبيّ قد تبعني إلى هناك، *ونال* منّي دون علْمي. لأنه يحصل أحياناً أن تقع أمورٌ، لا أستطيع إدراكها. أسرع

وأكثر إرباكاً من أن أدركَها. هذا الصبي الذي يبدو أكبر من اثنَتَي عشرة سنة ذو عينَيْن حادَّتَيْن كالنّصال، يطلب منّي نقوداً، وإلا سيُبلّغ عنّي، طلب عشرة دولارات، وحين أعطيتُه عشرة دولارات، طلب عشرين دولاراً، وحين أعطيتُه عشرين دولاراً، طلب خمسين دولاراً، وحين أعطيتُه خمسين دولاراً، طلب مائة دولار، وحينها لم أستطع ضبط نفسي، وصرختُ فيه، وهززتُه، **لكنني أقسم بأنني لم أُلحق به الأذى.**

إلى هنا كنتُ أتلجلج، وكان وجهي مُبلّلاً بالدمع! لم أكن أعلم أن ثمّة دمعاً داخل محجرَيّ عينَيّ قريباً من موضع الانسراب، وإذ يبدأ الدمع طفيفاً، يصبح البكاء سهلاً ونصف الفتية كانوا يشيحون بأنظارهم عنّي، والآخرون الذين في معظمهم فتيةٌ بيضٌ كانوا يوجّهون أنظارهم إليّ، والدكتور بي - كان متوهّج الوجه، كَمَنْ قذفَ في بنطاله، يطرح أسئلة عن الصبيّ، وكأن هذا كان ولداً ممّنْ عرفتُهم في الجوار، وليس غريباً بشكل كُلّيّ وأسئلةً غريبة مثل هل *شعرتُ بمَيْلٍ* تجاه الصبيّ؟ وهل *أحسستَ بأن هذا الشعور بالميل كان ذا أثرٍ* ؟وهذا ما يفسّر *عدم قدرتي على ضبط النَّفْس*، كانت *المسألة ضبط انفعالاتٍ خاصّة*، لم أستطع التعامل معها، أليس كذلك؟ وخفتُ؟ وكنتُ الآن أرتعدُ مُحاكياً بيم بعض الشيء، ارتعاش الأنامل والفم المتهدّج، ووجهي يلتمع من أثر الدموع، ورفعتُ ناظرَيّ إلى الدكتور بي - للمرّة الأولى مُقْدِماً على اتّصال بصريّ، لأن الدموعَ حالتْ بيننا، وقلتُ بصوتٍ جهوري واضح، وكأنها كانت مفاجأة بالنسبة لي وأعجوبة – *نعم، يا دكتور. شعرتُ بميلٍ، وهذا ما يفسّر عدم قدرتي على ضبط النَّفْس.*

بعد كلّ جلسة من جلساتنا، يكتب الدكتور بي - هذا التقرير لصالح مكتب مراقبة السّلوك، على حدّ علمي. ليس متاحاً لنا الاطّلاع على هذه

التقارير التي تبقى سرّيّة، لكنْ، في ذلك المساء، أُبلغتُ شيئاً ما، لكي يبعث فيَّ الأمل، الدكتور بي - وهو يمسّد لحيته وكأنها أيره، ويبتسم بلطف بطريقة مَن يقدّم إليكَ هديةً من خرائكَ الخاصّ. *كوينـ.تين ها أنتَ أخيراً تُحرزُ تقدّماً ملحوظاً، اختراقاً، في ملامستكَ انفعالاتكَ، يا كوينـ.تين!*

15

الزومبي الحقيقيّ سيكون لي للأبد. سيمتثل لكلّ أمرٍ، ولكلِّ نزوة. قائلاً "نعم، أيّها المعلّم"، و"لا، أيّها المعلّم." سيركع أمامي رافعاً عينَيْه إليّ قائلاً، "أحبّكَ، أيّها المعلّم. وليس مِن أحد سواكَ، أيّها المعلّم."

وكذلك سيتحقّق الأمر، وكذلك سيكون. إذ إن **الزومبي** الحقيقيّ لا يستطيع أن يقولَ شيئاً *لم يحدثْ*، فقط الشيء الذي حدث. ستكون عيناه مفتوحَتَيْن وصافيَتَيْن، ولكنْ، لن يكون في داخلهما ما يَرى. ولن يكون خلفهما ما *يفكّرُ*. لاشيء *يُطلِقُ الأحكام*.

مثلكَ أنتَ الذي تراقبني (أتظنُّ أني لا أعرف بأنكَ تراقب **كيو - بي**-؟ تصوغ التقارير عن **كيو - بي**-؟ تتداول مع مَن هبّ ودبَّ بشأن **كيو - بي**؟) ولتقلِّبْ أفكاركَ السّرّيّة - **دائماً وأبداً تُطلِقُ الأحكام**.

لن يُطلق **الزومبي** الأحكام. سيقول **الزومبي**، "بارك الله بكَ، أيّها المعلّم." سيقول، "أنتَ معطاء، أيّها المعلّم. أنتَ لطيفٌ ورحيم." سيقولُ، "نِكْني في الإست، أيّها المعلّم، حتّى أنزف أمعاءً زرقاء." سيتذلّلُ كي يحظى بطعامِه، وسيتذلّل من أجل أوكسجينٍ يتنفّسه. سيتذلّل، لكي يستعمل التواليت حتّى لا يُدنِّسَ ملابسَه. سيكون بمنتهى الاحترام في

كلّ الأوقات. لن يضحك أو يبتسم أو يُجعِّدَ أنفَه علامةَ الاشمئزاز. سيلعقُ ولسانُه راضخ. سيرضع وفمه راضخ. سيفرشُ فردَتيَ طيزه وهما راضختان. سيضمُّ كما الدُّبُّ الدميةُ راضخاً. سيريحُ رأسَه على كتفي مثل رضيع. أو سأُريح رأسي على كتفه مثل رضيع. سنأكل شرائح البيتزا من أصابع بعضنا. سنستلقي تحت أغطية سريري في غرفة **ناظر الأملاك**، نُصغي إلى ريحِ آذار وأجراسِ برجِ مدرسة الموسيقى وهي تدقّ، **وسنعدّ الدّقّات إلى أن يداعبَ الكَرَى أجفاننا تماماً في اللحظة نفسها**.

16

اشتريتُ مثقاب الثلج الأوّل خاصّتي، في آذار ١٩٨٨. أقود ڤاني على الطريق ٣١ خارجاً من شاطئ بحيرة متشيغان، وعبر البلدات الواطئة ستوني ليك، سيبل بوينت، لودينغتون، بورتاج وأركاديا. بسترتي الطويلة، غطاء الرأس الصوفيّ، نظّارَتيّ وقد زلقتُ فوقهما عَدَسَتَيْن شمسيَّتَيْن ببلاستيك داكن، ذقنٌ لم تُحلَق منذ أسبوع تاركاً لصوتي أن يبقى خفيضاً أجشّ، وأنا أتوقّف في متجرٍ عند تقاطع طُرُقٍ، يبيع لوازم البقالة والخردوات، ولم يكن في عملية الشراء مشكلة، ولم يكن هناك ما يبعث على الارتياب. عجوزٌ يشاهد التلفاز قرب موقد حطب، وينقر سعر السلعة على صندوق محاسبة عتيق الطراز، ووجهه ذاوٍ مثل الخوخ المجفّف، وأقولُ، على سبيل الدّعابة، *رجلٌ يحتاج مثقابَ ثلجٍ لعين في هذا الوقت من السنة، هه؟ - الشتاء اللعين*، يختلس العجوزُ نظرة إليّ، وكأنه لايعرف اللغة الإنكليزية، لذلك أقول، بابتسامة وجاعلاً منها نكتة، *هذه العواصف الثلجية، هه؟ - شتاء متشيغان اللعين*، وهذه المرّة يبدو أن العجوز الضّرطة يسمع، أو على الأقلّ، ينخرُ بشَفَتَيْه، ويوافق. وأنا أفكّر لو طُلبَ منه مستَقبَلاً تَعَرُّفَ هوية مشتري مثقاب الثلج إيّاه وعرضِ صورة **كيو - بي** - عليه (حليقاً، بنظّارات عادية، ودون غطاء رأس) لهزَّ رأسه، وقال *لاا، إنها لا تشبهه من قريب أو بعيد*.

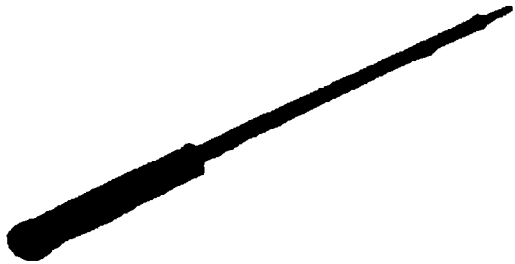

أركنُ الڤان عند نقطة تطلّ على شاطئ الجليد المتراكم والبحيرة والسماء رمادية، وثمّة وهج يمنعكَ من أن ترى أين ينتهي أحدها، وأين يبدأ الآخر، لكي ترتقيَ من الدنيا إلى السماوات، إذا كنتَ ممّنْ يؤمنون بهذا الخراء **الذي لا يؤمن به كيو - بي -!** لديّ في يدي مثقاب الثلج في طريقه لأن ينغرز وينخسَ ويطعنَ هدفه، وفي حالة **اهتياج** مباغتة دون سابق إنذار، **أقذفُ في بنطالي** قبل أن أُنزلَ السّحّابَ اللعين، آه، يا يسوع، **أهو نذير لما هو آت؟**

17

صباحا الاثنَيْن والخميس هما موعد جمع القمامة في شارع نورث تشرش. لذلك أجرّ البراميل البلاستيكية الصفراء باتّجاه زاوية الرصيف عند الساعة السابعة والنصف صباحاً، ولا أتذمّر من ذلك، لأنني ممّنْ يستيقظون باكراً، ولستُ أحتاج النوم الطويل مثل ضعاف الناس. مرتدياً بلوزتي، وقبّعة عليها شعار فريق تايغر للبيسبول، وناظراً أمامي بالضبط، حيث أمشي، وكأنني امرؤٌ يتدبّر شؤونه الخاصّة، وهناك هذا الصوت من السماء المنيوكة! - هناك صوت ذلك الطنين! - وكدتُ لا أسمعه، ثمّ سمعتُه، وطاف في الأرجاء، وكأن المكانَ ڤييتنام، وأنا كائن أثب ناخراً كما في السينما، وكان أحد المقيمين! - واحد من المقيمين هو رامِد المهذّب في طريقه إلى الجامعة، وقد اعتمر غطاء رأس كولد صغير بوجهٍ كوجه ولد صغير، وعيناه مثل تمرَتَيْن ليِّنَتَيْن، وهو يسألني إذا كنتُ في حاجة لأيّ عون؟ أحدِّق فيه، هناك **اتّصال بصريّ**، لكنْ، لوهلة خاطفة، ثمّ أعود إلى رشدي، أجيبه قائلاً *شكراً، لا، إنه واجبي. لكنْ، أشكرك.*

18

يسأل الدكتور إي - *ما هي طبيعة خيالاتكَ، يا كوينتين؟* وأنا خالٍ من التعبير وصامتٌ محمرّ الوجنَتَيْن، كما حين كنتُ في المدرسة أعجز عن إجابة سؤالِ مُدرِّسٍ، ولا حتّى (وأنظار الجميع تعلّقتْ بي) فَهْم معناه، لأقولَ في نهاية الأمر، بصوت شديد الخفوت ما حدا بـ الدكتور إي - أن يُكوِّر راحتَه حول أذنه، ليسمع، *أظنّ بأنه ليس لديّ شيء منها - تلك التي تسمّيها "خيالات"، يا دكتور. لا أدري.*

19

في فترة **بوني غلوڤز**، **رايزن آيز**، **وبيغ غاي** لم يكن لي وسيلة للدخول إلى مأوى **ناظر الأملاك**، وبالتأكيد إلى القبو في ١١٨ نورث تشرش. فقط القان خاصّتي والشّقّة ذات الحجرَتَيْن في الشارع الثاني عشر. مغطس الحمّام.

كانت إجراءاتي بسيطة، وباستمرار كان هناك ثمّة مايعوقُ اختباراتي. ينبغي أن يُشَغَّلَ مذياعٌ بصوتٍ مرتفع، موسيقى الميتال الحادّة على إذاعة **WMWM** من مدينة مسكِغون، وأحياناً ستردُ بعض الإعلانات اللعينة، شيء من صوتٍ غريبٍ متطفّل في لحظةٍ دقيقةٍ. ولو ارتعشتْ يداي، أو إذا لم أكن قد أخذتُ جرعة الميثاكوالود، ولم أستطع أن أؤدّي كما نذرتُ ليديّ أن تقوما به كما في حلم حين تخطو في الغراء. إذا حدث وأصابني **اهتياجٌ فوريٌّ عاتٍ**. فيا للخراء حينها.

بوني غلوڤز مَن تركتُ هذا التّوق له، كونه الأوّل، تشنّج كمجنون حينما دفعتُ بمثقاب الثلج إلى الزاوية في الرسم التخطيطي عبر "المحجرِ العظميّ" أعلى مقلة العين (أو لا يهمّ ما كانت، فهي عَظْم متكسِّر)، وصرخ من خلال الإسفنجة التي حشرتُها وربطتُها في فمه قاطعاً أسلاك الرّبط التي تُقيِّد كاحلَيْه غير أنه لم يستعِدْ وعيَه وهو يحتضر في غضون

اثنَتَي عشرة دقيقة، أجريتُ خلالها ماءً بارداً على وجهه، لكي أغسل آثار الدم، وأُعيده إلى الوعي. **زومبيَّ** الأوّل - استحقَّ درجة الـ F المنيوكة.

عاش **رايزن آيز** سبع ساعاتٍ في المغطس مستعيداً الوعي أحياناً، وشاخراً أو محشرجةً أنفاسه، لذلك حسبتُ أن العملية **آتت ثمارها! آتت ثمارها! ها هو زومبيَّ**! لكنْ، كان عليّ أن أرفعَ جفنَ عينه المتبقِّية ("أنجزتُ" واحدةً فقط)؛ وأثبّتها بلاصقٍ، فلم تبقَ أبداً مفتوحةً بشكل تلقائيّ. حرّكتُ ذراعَيْه وساقَيْه، لكي أحرّضَ الدورة الدموية. قبضتُ واعتصرتُ أيره (الذي بقي رخواً ورطباً بارداً مثل أحشاء الدجاج)، لكن **شيئاً لم يحدث**. وهكذا انتهى الأمر، يا للخراء! **ويا لكَ من مخفقٍ!**.

كان **بيغ غاي** في ذلك الحين أكثرهم وعداً، إذ ظننتُ أنني تعلّمتُ كيف أستخدم مثقاب الثلج بإتقان، إنها مهارة، يمكنكَ أن تكتسبها بالمران، باستخدام مطرقة، كما قال الدكتور فريمان بدلاً من، ما درجتُ على استخدامه، مجرّد الطَّرق براحة كفّيَ اليسرى، لإيلاجِ مثقاب الثلج في "الفصّ الجبهيّ." كذلك، كان **بيغ غاي** نصف - زنجيّ(*) نصف هنديّ أميركيّ، ترك الجامعة، ولاعب كرة السلة - تاجر مخدّرات من لانسينغ كان أمره غريباً، كان يتمتّع *بصحّة كاملة*، أقصد أنه بدا *صحيح البدن*، شَعْره أسود كثيف لامع، أطرافه رشيقة قوية، عضلاته، بطنه المستوية، وشَعْر الصدر، وعضوه التناسليّ بطول قطعة السجق، بشرته سمراء خوخية جذّابة، جعلتني مَهووساً بلَعقها بلساني وبأسناني، لدرجة القَضْم. حتّى أصابع قَدَمَيْه، أصابع قَدَمَيْه الكبيرة! - **أنا مأخوذٌ به**. رغم أن **بيغ غاي** خذلني كالآخرين، لأنه لم يستعِدْ ما يسمّونه *الوعي* بعد الجراحة، ومثل **رايزن آيز**

---

*) استخدمت الكاتبة كلمة Nigger.

كان يتنفّس بهذه الانقباضات الراعشة عميقةِ الغطيط بعد أن انتزعتُ الإسفنجة، لظنيّ أنه كان يختنق بها. *هاي؟ هاي، كفاكَ تدلُّعاً؟ أنتَ على مايرام، افتحْ عينَيْكَ؟* لكن العين اليسرى التي أولجتُ مثقاب الثلج فيها كانت تالفة، والعين اليمنى لم تكن أفضل بكثير، تدحرجتْ إلى عمق الرأس، كأنما لم تكن عيناً، بل شيئاً آخر. عاش **بيغ غاي** خمس عشرة ساعة، كما أظنّ، وهو يحتضر، بينما أنيكه في الطيز (ليس في المغطس، بل في فراشي)، لكي أُهيّئه **كزومبي**، وتبيّنتُ أنه كان ميّتاً عندما استيقظتُ في أثناء الليل للتّبوّل، شعرتُ كم كان بارداً، الذراعان والساقان اللتان أدليتُهما فوقي، ورأسه على كتفي، لكي أحتويه، لكن **بيغ غاي** كان يتصلّب، بسبب التّيبّس المواتي، لذلك أصبتُ بالذعر، لفكرة أنني قد أعلقُ في تطويقه لي!

الزومبي الثلاثة الأوائل - جميعهم نالوا درجة الـ F.

وأنتَ، يا **كيو - بي** - لا تفقدنّ الأمل. ولم أفقده حتّى هذا اليوم.

20

كيف لحَدَثٍ سخيف أن يُغيِّرَ مجرى حياتكَ.

كان من المفترض أن ألتقي أحد الأشخاص، ولد من جامعة واين، عند نافورة في منتزه غراند سيركُس، وسط مدينة ديترويت، كانت ليلة صيف رطبٍ وحارٍّ منذ سبعة أو ثمانية أعوام، وكان **كيو - بي** - في المدينة في عطلة نهاية الأسبوع وحيداً بوجه متألّق وسط مدمني الخمر في كل مكان حول نافورة من زرَقُ الحمَام على طائر الرّعد والهيروبين، بعضهم قد غاب حتّى لتُخطئ الشَّابَّ من العجوز، الأبيضَ من الأسود، عيون محتقنة بالدم، أو غشَتْها مادّة مخاطية، وبشرة رمادية، أصابها البلى كرفاتٍ للتّوٍّ نُبش. كان الوقت آنذاك فيما أذكر عندما كنتُ أتلقّى دورةً، لأصبح وكيلاً عقارياً في ماونت ڤيرنون، فكرة أختي الكبرى جوني، وكانت فكرة منطقية، لكنها لم تُثمر. ربمّا لأنني كنتُ أشرب أكثر ممّا ينبغي، لكنني لم أكن سكّيراً، بالتأكيد، لم أكن ما يُسمّى **سكّيراً**، بل كنتُ راسخاً في مشيتي، ومُركِّزاً في رؤيتي، صلباً كالفولاذ. وكنتُ أبدو أنيقاً للغاية في بنطال الجينز الضّيّق وسترة الجِلْد الضّيّقة التي ارتديتُها لأسباب تتعلّق بالأناقة، على الرغم من من حرارة التسعين درجة، شَعْري مفروقٌ ومُزيَّت ومُمَشَّط من جبهتي باتّجاه الوراء، ليلتفّ بالضبط تحت أذنيّ. للتّوّ نهضتُ من النوم دائخاً

غير مدرك أين أنا بادئ الأمر، ثمّ في شرفة إحدى دور السينما الفخمة القديمة على شارع وودوورد **وحُبّ الصبيّ المتّقد والنشوات المحرَّمة**. والساعة الآن الثانية منتصف الليل، ومنسلاً من أضواء الكهرباء رغم أن شارعَي وودوورد وغاريوت كانا، بالفعل، مهجورَيْن. وانتظرتُ صديقي، وانتظرتُ، ولم يأتِ، وكنتُ منزعجاً لتبديد ليل السبت، فمضيتُ إلى ما يُشبه حانة على شارع غراند ريفر، ولابدّ أنني قد ثملتُ. وبعد ذلك، وبينما أسير على الرصيف، أُمسِكْتُ من الخلف من قِبَل اثنَيْن أو ثلاثة مهاجمين مجهولين، ربّما كان أكثر منهم مَن يقف ويراقب، أعصابة زنوج(*)؟ - مجرّد مراهقين، لكنهم ضخام وأقوياء، ويضحكون ببهجة، مُخَدّرين حتّى مُقَل العيون يُلقون بي أرضاً كأنّما برفسة كرة قَدَم إلى الرصيف الوسخ **وركلٌ ركلٌ مزيد من الركل**، هادرين *أين محفظة نقودكَ، يا رجل؟ أين تلك المحفظة؟* للتّوّ رأيتُ عربة شرطة تعبر التّقاطعَ، لكنْ، لم يأتِ أحدٌ لنجدتي، حتّى لو كان هناك شهود في الشارع، لما كانوا ألقوا بالاً، بل لمضوا في طريقهم، أو وقفوا يتضاحكون على أبيض، يُضربُ بكل ضراوة، وقد تكسّرتْ نظّارتاه، وأُدمي أنفُه، وكلّما تلوّى أكثر كسمكة على صنّارة، ضحك الفتية أكثر، وصاحوا ممزِّقين سترتي الجِلْدية، وخطفوا محفظتي في ثوانٍ، لكنهم لايزالون يضحكون، وهم يترنّمون بـ *أين محفظة نقودكَ، يا رجل؟ أين تلك المحفظة؟* كأنها كلمات نوعٍ من موسيقا زنجيّة، والتي يرجَّح أنها كانت كذلك. وأنا أنشج وأحاول أن أقول *لا! لا تؤذني! آه، أنتَ أرجوكَ! لا، لا!* ليس كولَدٍ، بل كطفل، ربّما كرضيع، أبولُ في بنطالي وحين ينقضي الأمر ويلوذون بالفرار لن أعرف إذا كنتُ لا أزال أنشجُ، محاولاً أن أخبِّئ وجهي، أتكوّر مثل دودةٍ، تتلوّى جاهداً أن أقيَ باطني بركبَتَيّ، وبعد

(*) nigger gang

ذلك بوقت طويل، يأتي أحدٌ ما ليُحدِّق إليّ، ويسأل، *يا رجل، أأنتَ على قيد الحياة؟ هل تريد الإسعاف أو شيئاً من هذا القبيل؟*

كنتُ كَمَنْ حلّت عليه الرّؤيا عندما رأيتُ وجهي في اليوم التالي.

أنظر مواربةً، وأنحني مقترباً من المرآة، لأني فقدتُ نظّارتي، وكان هناك هذا **الوجه! الوجه** الخياليّ! مليئاً بآثار الضرب والضمادات (ولايزال الدم يرشح بطبيعة الحال)، وتمّ تقطيب الجروح (أكثر من عشرين قُطْبة على ثلاثة جروحٍ بليغة، أُجريتْ لي في مشفى ديترويت العمومي) والكدمات على الشَّفَتَيْن اللتَيْن تورَّمَتا، وكان هناك لطخة الاحمرار والهالة السوداء حول **العينَيْن الغريبَتَيْن عنّي**.

وأيقنتُ حينها أنه يمكنني أن أتعايش مع **وجه غريبٍ عنّي**. غريب في **أيّ مكان في العالم**. أستطيع أن أتنقّل في العالم **بصفة شخص آخر**. يمكنني أن أستثير **الشفقة، الثقة، التعاطف، الاستغراب، وأبعث الرّوعَ** بوجه كهذا. قد **أُلتهمُ قلبَكَ**، ولن تدري بذلك، أنتَ، يا بخش الطيز.

21

رنّ الهاتفُ، وكانت أمّي. سألتْ كيف أحوالي؟ وأجبتُ. سألتْ عن حصصي الدراسية في معهد دايل؟ وأجبتُ. سألتْ عن جيوبي الأنفية؟ وأجبتُ. سألتْ كيف يجري شغل **ناظر الأملاك** (الذي كان اقتراحَ أبي لـ **كيو - بي** -، وليس اقتراح أمّي)؟ وأجبتُ.

هل مضتْ ستّة أشهر منذ زرتُ طبيب الأسنان؟ سألتْ أمّي، وأجبتُ بأنني لا أعرف، وقالت أمّي إنها تخشى أن يكون مضى على الزيارة أكثر من ستّة أشهر، وربّما سنة؟ وهل تذكّرتُ جلسات علاج الأسنان كلها التي كان عليّ الخضوع لها لعشرة أعوام خَلَتْ عندما تجاهلتُ فحوص الأسنان وجلسات تنظيفها بشكل دّوريّ؟ وأجبتُ. وسألتْ إن كان عليها أن ترتّبَ موعداً لي؟ مع الدكتور فيش؟ ووقفتُ هناك ممسكاً سمّاعة الهاتف وعبر مدخل الباب المفتوح وفي الردهة قرب صناديق البريد، كان هناك شخصٌ، يُدعى أخيل يتحدّث مع مع الآخر الذي يُدعى عبد الله، وتساءلتُ ما الذي يقولانه؟ لو استطعتُ أن أسمعهما، لو كانت اللغة التي كانا يتحدّثانها هي لغتي.

22

لم أستطع أن أتذكّر أين أخفيتُها. متحسّساً سطح العوارض الخشبية المتّسخة بشبّاك العناكب وقشور الحشرات الجافّة، لتعود أصابعي خاوية. **نظّارة مدوَّرة العَدَسَتَيْن وإطار بلاستيكي شفّاف**. في المدرسة عبر الممرّ، كان ثمّة شَعْره الحريريّ، ووجهه الذي أطلتُ التحديق فيه، والطَّرْف الطفيف عبر العَدَسَتَيْن، كما لو كان هناك **تواصلٌ خَفيّ** فيما بيننا.

غير أنه لم يكن.

أو ربّما كان هناك نوع من التواصل أنكَرَه. كان يدفعني بعيداً، كلّما وقفتُ لصقَه في طابور الكافيتيريا. بروس وأصدقاؤه، وكنتُ أندسّ خلفهم، وأتظاهر أحياناً بأنني كنتُ أقف معهم حاشراً نفسي فيهم، لصقَ ظهرِ ولدٍ.

بروس بروووس بروووووس! أهمس وقد حشوتُ فمي بأصابعي، وفمي يضغط الوسادة الرطبة، بسبب اللعاب.

في منامي، انفتح بابٌ، وكنتُ أنا **بروس**.

حضر ذووه، ليتحدّثوا إلى أبي وأمّي. تواريتُ بعيداً سامعاً أصواتهم المريبة. أخيراً جاء أبي لينال منّي - *كوينتين! كوينـ تـ ين!* - مربد الوجه،

وقد تندَّتْ نظّارته فوق أنفه ولحيته ترتعش عندما عثر عليّ مختبئاً متكوّراً مثل برّاقة كبيرة خلف سطل الزبالة في خزانة أسفل المغسلة. *ماذا تعني باختبائكَ منّي، يا بنيّ؟ أتظنّ أنكَ تستطيع الاختباء منّي؟* جرَّني من ذراعي إلى غرفة الجلوس، حيث كانت أمّي تجلس بابتسامة جامدة على الصوفا المزركشة الزبديةِ اللون مع غريبَيْن، رجل وامرأة، والدَيّ بروس، وأعينهم مثل الزجاج المبعثر على وجهَيْهما الغاضبَيْن، ووقف أبي وقد أرخى يَدَيْه على كتفَيَّ، وسأل بصوت هادئ مثل شخصٍ على أخبار التلفزيون إذا كنتُ قد آذيتُ بروس عن *سابق قَصد*؟ لاوياً رأسه مع تقلُّبِ تسلسلِ كلمتيّ "*سابق قَصد*؟" وحشرتُ أصابعي في فمي، كنتُ ولداً خجولاً بليداً وذا عينَيْن واسعَتَيْن ووَمْضُ الخوف سرعان ما يلوِّح وجهي. حملقتُ في السّجّادة والأشياء البلاستيكية الصغيرة المدوَّرة التي استندتْ عليها طاولة القهوة، والصوفا والتي صُمِّمَتْ لكي تحمي السّجّادة، وتساءلتُ إن كان لتلك أسماء ومَن هو مصدرُ **التسميات**، لماذا نحنُ ما نحنُ عليه ولماذا جئنا إلى هذا العالم بتلك الطريقة - أحدنا **بروس**، وأحدنا **كوينتين**. شرعت أمّي تتحدّث بصوتها السريع المرتفع، وقاطعها أبي برفق قائلاً إنه تقع على عاتقي مسؤولية الكلام، كنتُ في السابعة من عمري، وهي سنُّ الدّراية. وحينها بدأتُ أبكي. قلتُ لهم كلا، إنّ بروس كان السبب، بروس هو الذي آذاني، أخافني بقوله إنه سيخنقني بالجنازير، لأنني لم أشأ أن ألمسَ "شيئه"، بل ابتعدتُ عنه، وركضتُ إلى البيت، وكنتُ أبكي بحرقة، كوعا يَدَيّ وركبَتَاي كانوا مخدوشين، وثيابي ملطّخة.

وعانقتْني أمّي، وكنتُ في حالة تيبّسٍ، فلم أردْ أن أنشدَّ إلى ثديَيْها أو بطنها أو الموضع الطّريّ بين ساقَيْها.

وقال أبي إن كلّ شيء على مايرام، وإن عذري مقبول. وكان والدا بروس واقفَيْن بلا حراك مغتاظَيْن، لكن قواهما كانت خائرة. توعّدني والد بروس كصبيٍّ يُطلقُ صيحاتٍ عدائيةً، *وماذا فعلتَ بنظّارةِ ابننا؟*

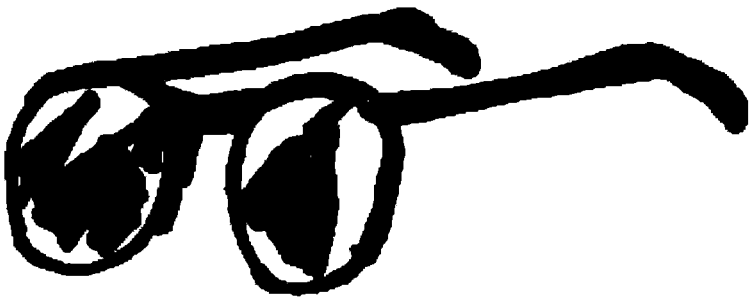

23

اتّصلتْ أمّي. تركتْ رسالة صوتية على شريط التسجيل، تقولُ إنها حدّدتْ موعداً لي مع الدكتور فيش. تسأل أيضاً إن كنتُ أرغبُ بالذهاب لتناوُل العشاء عندهم يوم الأحد.

في الوقت الذي رنّ فيه الهاتف، كنتُ بالطابق الثالث في غرفة أخيل، أحاول أن أفتحَ بمفكّ البراغي منفذَ الموقد الذي تضيّقَ. جاثماً وقد احتقن وجهي بالدم. أخيل من كالكوتا، الهند. ربمّا هو هندوسيّ؟ طالب فيزياء، وربمّا من طَلَبَة أبي، لكنني لن أستفسر عن ذلك أبداً، ولا حتّى أخيل سيخطر في باله أن ثمّة ما يربط بين **ناظر هذه الملْكية** بالجينز والبلوزة وبين **البروفيسور** آر - بي - المتميّز للغاية.

أخيل شخص خجول أغبر البشرة أهيف مثل فتاة. في منتصف العشرينيات على الأقلّ، لكنه يبدو في الخامسة عشرة. دمهم يختلف جدّاً عن دمنا. حضارة موغلة. شبيه قردٍ. يتحدّث الإنكليزية بنعومة بالغة، وبطريقة هامسة حتّى أكاد لا أسمع –*أشكرك، يا سيّدي*. حاذرتُ **ألا يحصل اتّصال بصريّ**، لكنْ، ضمن ارتباكنا المتبادَل، ألقيتُ عليه نظرة خاطفة، وكان ينظر إليّ، كان يبتسم. عيناه بنّيّتان سيَّالتان، كما يمكن لعينَي قرد أن تكونا، فيهما التماعة حميمة.

آه، يا يسوع، لقد انزلقتْ عيناي عليه، طوله المراوَغ. متبدِّدَتَيْن عند نقطة الانفراج. البُرَيْكَة المتلألئة عند قَدَمَيْه.

شُوهدَ **كيو - بي** - ينهض بسرعة. كان عليّ أن أغادر الغرفة. صوتي جهوريّ وأميركيّ، وأخرق النبرات، لكنني أحسب أنّ هذا ما سيقوله أيّ **ناظر أملاك** في أي سَكَنٍ طلابيّ ضمن يونيڤيرسيتي هايتس في مثل هذه الظروف، *لابأس. هذا شغلي.*

24

كان الخميس يومَ **كيو - بي** - الحافل!

الأشغال الروتينية في البيت. اشتريتُ الإفطار من نافذة مطعم ويندي على شارع نيوايغو، وتناولتُه في الڤان. ازدردتُ حَبَّتَي دواء مع قهوة سوداء. معرّجاً باتّجاه الشارع الثالث قاصداً **XXX للڤيديو**، لكي أعيدَ شريط ليلة البارحة، وأستأجرَ شريطاً، نزل حديثاً إلى الأسواق. يملؤني شعور بالارتياح. الساعة العاشرة قبل الظهر لديّ لقاء مع السّيّد تي - في مبنى الخدمات الريفية، الجناح القديم قرب المحكمة، حيث عليكَ أن تمشي عبر آلة كشف المعادن وبين عنصرَيْن من مكتب الشِّريفْ وهما يتفحصّانكَ، ثمّ ترتقي الدرج في قسم مراقبة السلوك. باب السّيّد تي - مغلق، وأنتظر لعدّة دقائق وأنا على مايرام، أعصابي باردة. حلقتُ الليلة الفائتة، وأخذتُ حمّاماً صباح البارحة، أو الذي قبله. أرتدي دائماً ربطة عنق، معطفاً وحزاماً لبنطالي خصّيصاً لمكتب السّيّد تي -. كان هناك شخص أسود، يشبه ڤلڤيت تونغ، ينتظر بدوره ضابط مراقبة السلوك خاصّته، لكنني لا أريد النظر عن كثب، ولا هو يريد. يناديني السّيّد تي - ومصافحة أيدٍ، *و تفضّل بالجلوس، يا كوينتين، كيف أحوالكَ؟ وأجيب. كيف شغلكَ كناظر أملاك؟* وأجيب. *كيف هي دروسكَ في دايل تِكْ؟* وأجيب - جيّد جدّاً، درجة B في

مبادئ الكمبيوتر و B في مبادئ الهندسة، ويهز السّيّد تي - رأسه ويُدوِّن شيئاً ما. وإلا لما كان ليسأل.

يسألني عن جلسات العلاج الجماعيّ، هل أواظب على حضورها؟ وأجيب. كيف هو معالِجي الشخصيّ؟ وأجيب.

وأدويتي؟ ألا تزال تتناول أدويتكَ؟ وأجيب.

يخبرني أن ابن أخته نال شهادة الهندسة الكهربائية من دايل تِكْ، وحظي بفرصة عمل أوّلية لدى جنرال **إلكتريك** في لانسينغ.

يخبرني أنه في لقائنا التالي سيكون في إجازة بعيداً عن هنا، لذلك سنحدّد الموعد بعد أربعة أسابيع بالتوقيت نفسه، والمكان نفسه، اتّفقنا؟

هناك مصافحة في نهاية الجلسة. ولوحظَ كم كان **كيو - بي** - مهذّباً ومحترماً، **نعم، سيّدي. لا، يا سيّدي. إلى اللقاء، يا سيّدي.**

وأنا أغادر مكتب السّيّد تي - ألمحُ الفتى الأسود الذي يشبه ڤيلڤيت تونغ إلى حدّ بعيد مغادراً بدوره ضابط مراقبة السلوك خاصّته، وتلكّأتُ قليلاً، لأفسح له طريقاً إلى المصعد قبلي ويستقلّه من دوني.

لا اتّصال بصريّ في أيّ مكان تحت هذا السقف.

ثمّ أخرج متّجهاً إلى الدكتور فيش في دايل سبرينغز. متّخذاً الطريق السريعة نحو الشمال وخارج المدينة. طرف البحيرة. بلون الصفيح، والسماء كذلك باللون نفسه. الموعد الساعة ١١:٣٠ قبل الظهر، العيادة نفسها، في البناء نفسه الذي امتلكه الدكتور فيش منذ سنوات. موظّفة الاستقبال

جديدة، ولا تعرفني، ولا حتّى الممرّضة، أميركية من أصل آسيوي، بوجه مسطّح، وصوت لاهث، تدعوني، وتلبس كمّامة الشاش والقفّازات المطّاطية، وتُجلسني على الكرسيّ، وتُهيّئني للأشعّة السينية وتنظيف الأسنان، وأنا متيبّس بعض الشيء، وتُخفِضُ الكرسيّ بهسيسِ هوائه، وتهادت معدتي، واتّسعتْ حَدَقَتَا عينَيّ، والفتاة تنظر إليّ *آسفة! كانت سريعة للغاية؟* في تلك الوهلة، كنتُ أنا **بيغ غاي** الذي يغوص، أو **رايزنز آيز**، أو فليكن - **بوني غلوفْز**. ورأيتُ قيلقِت تونغ في مكاني في جسدي أنا في هذا الكرسيّ وكأنّ عينَيّ كانتا عينَيْه! لكن الأمر يمرّ. وأنا على مايرام. تفرش الفتاة مريلةَ الرصاص فوق صدري، لكي تقيني الأشعّة السِّينية، وتُرتّب ألواح التصوير الشعاعيّ الصغيرة في فمي حتّى أكاد أتقيّأ لكنني أقاوم، أنا على ما يرام. تقول الفتاة *اثبتْ من فضلكَ، لا تتحرّكْ*، وبهدوء تغادر الغرفة، وتقوم بتشغيل الآلة التي تُصدر أزيزاً. ربّما كان يتمُّ تصوير **كيو - بي** - الآن و/أو يُسجَّلُ صوته وصورته هنا، ربّما كان دماغ **كيو - بي** - الحالي يصوَّرُ سينياً، وسترسَلُ أصول الأفلام إلى مكاتب الحكومة وإيست لانسينغ، عاصمة ميتشيغان ومكتب التحقيقات الفيدراليّ في واشنطن دي. سي. وإلى أبي ع/ط قسم الفيزياء، جامعة ماونت ڤيرنون الحكومية. لكنني لستُ قلقاً، أنا هادئ، ولا تعتورني الظنون. ليس لديّ ما أخفيه. ما حدث مع الصبيّ الأسود كان جنحة **كيو - بي** - الأولى، وأعقبها وقف تنفيذ من دون حبس خلف قضبان مركز الاحتجاز - **هذا هو السجلّ العامّ**. تعود ذات الوجه المسطّح في كمّامة الشاش، وأنا هادئ، لدرجة أوشك على النوم، وتُخْرِجُ ألواح التصوير الشعاعيّ، وتُثبّتُ أخرى جديدة، وتغادر الغرفة من جديد، وتشغّلُ الآلة ذات الأزيز. ومرّة أخرى. ومرّة أخرى. **عندما يُدرك كيو - بي - أوّل ما يُدرك أن كلّ شيء يحدثُ مرّة أخرى ومرّة أخرى.**

وبعض الناس يدركون، وبعض الناس لا يدركون. في الصّفّ السابع، عندما مات صديقي باري. عندما **نزعتُ عقارب الساعة.** تعود ذات الوجه المسطّح والخطوة التالية هي تنظيف أسناني وما بينها الذي يستغرق وقتاً طويلاً. عميقاً كان ثمّة وخزٌ وقَرْصٌ في فمِ 'أحدهم' لكنني شبه نائم. *تمضمض من فضلكَ*، وأفيقُ لأغسل فمي مراعياً أن أن أغلق عينيّ، لكي لا أرى السائل المخضّب بالدم. لثة 'أحدهم' تؤلم وتنزف. يستمرّ ذلك لبعض الوقت، وأخيراً يأتي إلى نهايته، ويدخل الدكتور فيش بنفسه لابساً قناع الشاش والقفّازات المطّاطية هو الآخر، وأشعر برعشة ضئيلة، إثارة كما لدى إدخال سيخ في القضيب، خلف الكمّامة والنظّارة لن تشي أن الدكتور فيش شخص معمّر في الخمسينيات، على أقلّ تقدير، لايزال شَعْره على ما يرام، ما لم يكن مصبوغاً؟ - وها هو يلقي نظرة على مخطّط الأسنان الذي ناولَتْه إيّاه الممرّضة، وعلى الصور الشعاعية، ويسألني كيف أحوالي؟ كيف العائلة، يا كوينتين؟ المدرسة الثانوية؟ إنه يخلط بيني وبين أختي جوني، لكنْ، لابأس في ذلك. يقوم الدكتور فيش الآن بفحص فمي، وهو سريع في ذلك ومقطّب الحاجبَيْن، وأعلاهما، يمكنكَ أن تلمح أجربةَ السلحفاة حول عينَيْه. إنه الرجل الذي تراه من داخل جوهرِكَ. *تمضمضْ من فضلكَ، يا كوينـ. تين.* يلقي مسباراً فضّياً على صينية فوقها حشوة قطنية، تلتمع قطعة القطن بالدم. ثمّة حسٌّ مريضٌ بالإثارة في أنبوبي الهضميّ، أمضمض فمي، ولا أستطيع منع نفسي من رؤية معاليق الدم في الماء، أنا واهن ومستثار، وأتمنّى لو أستطيع رؤية يَدَيّ الدكتور فيش وذلك المسبار الفضّيّ في فم **كيو - بي** - عن طريق الڤيديو مثلاً! *آسف، إذا سبّب لكَ ذلك الوجع*، يا كوينـ. تين، يقول الدكتور فيش، إنه فمُه الذي ينطقها، مسبار آخر في يده، *لم تخضع للفحص منذ فترة طويلة، آه؟* - *ما*

يقارب ثلاث سنوات. أخشى أن لديكَ العديد من التجاويف، وما يمكن أن يكون بداية التهاب لثّة. ثمّ ينتهي الفحص، ويزيح الدكتور فيش الكمّامة والقفّازات البلاستيكية، ويبتسم وهو يسألني إذا كان لديّ أيّة أسئلة؟ أيّة أسئلة؟ وها هو يستعدّ للانتقال إلى المريض التالي في الغرفة المجاورة، وأنا أرتعش في نهوضي عن الكرسيّ، والدكتور فيش يتطلع إليّ، ولا أستطيع التفكير بأيّ سؤال، أطرحه عليه، وبينما يستدير خارجاً يخطر لي سؤال.

"هل تطفو العظام؟"

"عفواً؟"

"العظام. هل تطفو العظام؟"

يحدّق الدكتور فيش إليّ، ويرمش مرّة، اثنَتَيْن. "أيّ نوع من العظام؟ - البشرية أم الحيوانية؟"

"أهناك فرق؟"

"حسناً، قد يكون هناك فرق." يهزّ الدكتور فيش كتفَيْه، ويقطّب حاجبَيْه وهو يتراجع، خطر لي أنه يماطل، لأنه لا يعرف الجواب. "هذا يعتمد، أيضاً، على العظام إن كانت ثقيلة، أو، كما تعلم، جافّة - جوفاء وخفيفة. إذا كانت كذلك، فستطفو، أنا متأكّد." أُومِئ بطريقة ملتبسة، وها هو عند الباب، تلويحة خاطفة من يده مثل رفرفة زعنفة آدميّ مشوّه بالثاليدوميد(*)، "حسناً، يا كوينـ ـتين. أراكَ الأسبوع القادم؟"

(*) Thalidomide : عقار طبّيّ كان يُباع بين ١٩٥٧ و١٩٦١، نجم عنه تشوّهات خَلْقية في أطراف المواليد الجدد، الذين يُولدون بأطراف، تشبه الزعانف.

تمَّ تدبُّر أمر الفاتورة، لكي تُرسل إلى أمّي. لا حاجة لي للمرور بمكتب السكرتيرة. نادتْني موظّفة الاستقبال بغتةً تسألُ إن كنتُ أريد ترتيب موعد لزيارة قادمة؟ وغمغمتُ قائلاً لا، سأتّصل في وقتٍ لاحق. وبسرعة، أخرج من العيادة، مع تلك الرائحةِ. في الفَان، أتمكّن من التّنفّس، وأنا أقود عائداً إلى شارع تشرش، يخطر لي أن الوجه المنيوك فيش لم يعرف أولى الخواصّ المنيوكة عن العظام. دكاترة الأسنان ليسوا أطبّاء. وليسوا خبراء على أيّ صعيد. ربمّا لم يكن لديه من المعرفة أكثر ممّا كان **كيو - بي** - يعرف.

رغم ذلك، في جيبي **تذكار** من تلك الزيارة.

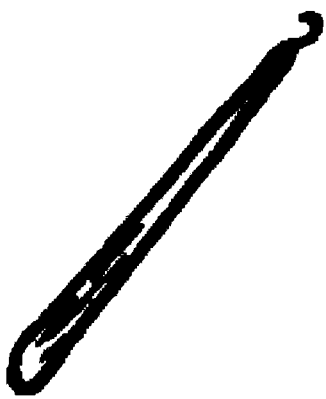

25

أسَفٌ قحبٌ أشعر به لتفويت هذا العدد الكبير من المحاضرات في دايل تِكْ. لا أدري كيف يحدث ذلك. خصوصاً منذ أن حسمتُ *الأمرَ بأن أفتحَ صفحة جديدة* هذه المرّة.

باستثناء المدخل إلى الهندسة، سقطتُ في الاختبار الأوّل، نلتُ معدَّل ٣٤ ("F"). وغبتُ عن الثاني. وعندما دخلتُ مختبر الكمبيوتر لأنجزَ الدّروس التي لم أفلح فيها كما ينبغي، كان هناك رائحة مريبة غريبة مثل رائحة الفورمالديهايد التي ربمّا لم تتعدّ كونها مزحة. (من أجل الجزء الذي حفظتُه من **بيغ غاي**، منذ ثلاث أو أربع سنوات، لزمني الأمرُ ربع غالون من الفورمالديهايد وقد حصلتُ على بعضه من مختبر البيولوجيا في ماونت ڤيرنون مدّعياً أنني طالب، فبلحيتي تحت شَفَتي السفلى ونظّاراتي السميكة وحقيبة الكتف، أستطيع أن أتظاهر بأني طالب جامعيّ في أيّ مكان.) ومسؤول المختبر شابٌّ ينظر من خلالي، كما لو كان هناك فراغٌ، حيث أقف.

دفع أبي تكاليف دراستي، وقد ألححتُ على أنني سأردّ له ما دفعه من دخلي **كناظر أملاك**، حالما تستقرّ الأوضاع. لا أزال مديوناً للڤان خاصّتي، وهناك تكاليف أخرى. تقول أمّي إنني لامبالٍ في صرفي للنقود

على الأصدقاء، وإقراضي لهم مالاً، لن يُردَّ إليّ، *أنا مثلها ذو قلبٍ معطاء*، كما تقول، وليس لديّ تلك الشطارة في *تدبّر الأمور المالية*. منذ المشكلة في السنة الماضية - الاعتقال وجلسة الاستماع ووقف التنفيذ، إلخ. - أحسبُ أن أبي ينظر إليّ بشكل مختلف، لستُ متأكداً ١٠٠٪ لأنني خجلٌ من أن تلتقي عيناي بعينَيْه، لكنني أظنّ الأمر لا يعدو أنه متخوّف منّي رغم أنه في الماضي كان قليل الصبر، ودائماً يجدُ هفوةً ما. مثل رسوب كيو - ابنه الوحيد الطالب في إحدى الموادّ. مع اعتقادي بأنه يظنّنا جميعاً محظوظين للغاية، كما قال محاميَّ. مهما يكن العار الذي أُلْحِق بعائلة بي - لكون كيو - *"مُقرّاً" بجنحته الجنسية*، فعلى الأقلّ، ليس مُحتجزاً في سجن جاكسون التابع للولاية. على الأقلّ، لم يصبْ "ضحيّته" ذا الاثنَتَي عشرة سنةً بأذىً. أو ما هو أسوأ. لا يملّ أبي من ترداد، *فكّر بها كاستثمار في مستقبلنا المشترك، يا بنيّ! يمكنكَ أن تردَّ لي الدَّينَ عندما تسمح لكَ الظروف*. يبدو حَنَكَهُ وكأنه أُصيب بتشنّج الفكّ، لكنه يبتسم بذلك الفم الصغير المتورّد الشبيه بثقب الطيز وعينَيّ البروفيسور المائعَتَيْن خلف نظّارَتَيْه.

تعانقني أمّي، وتقف على رؤوس أصابع قَدَمَيْها، لتقبّل وجنتي. عظامها مثل عيدان جافّة، أستطيع تكسيرَها بيديّ، لذلك أقف بأقصى ما يمكنني من الاستقامة ساكناً دون أن أتنفّسَ، لكي لا أستنشق رائحتها. ما هي رائحتها؟ لا أعرفها، ولا أسمّيها. كانت أمّي فيما مضى ممتلئة الجسم بثدَيَيْن كبيرَيْن رخوَيْن شبيهَيْن ببالونَيْن ممتلئَيْن بسائل دافئ إلا إذا كنتُ أتذكّرها على نحو خاطئ. يقول الدكتور إي - إنّ الأمّهات كلهنّ كبيرات الحجم في ذاكرتنا، لأننا كنّا رضّعاً صغاراً، نرضع من الأثداء. يقول الدكتور إي - إن هناك **الثدي الجيّد والثدي السيّئ**. هناك **الأمّ الجيّدة والأمّ السّيّئة**. أنتَ

تدرك، يا كوينتين، أننا نحبّكَ، تقول أمّي، *كما في شريط حين تضغط الزّرّ في هذه المرّة، ستتّجه الأوضاع نحو الأحسن.*

أقولُ، هذا صحيح، يا أمّي.

أقولُ، أنا متأكّد أنني سأرى ذلك، يا أمّي.

كنتُ أقودُ في الأشهر العشرة المنصرمة أو ما يقاربها إلى دايل سبرينغز، وأقلّ أمّي وجدّتي إلى الكنيسة، وأنا أفوّتُ بعضَ الآحاد هذه الأيّام، لكنني أنوي استئناف البرنامج في القريب. تقول أمّي *هذه المرّة ستتّجه الأوضاع نحو الأحسن. بمشيئة الرّبّ.* وتقول جدّتي، *هذه المرّة ستتّجه الأوضاع نحو الأحسن. بمشيئة الربّ، آمين.*

26

أستثني: المنامات القديمة التي تعاودني على هذا الفراش الجديد في هذا البيت نفسه الذي طالما زرتُه عندما كنتُ صبيّاً صغيراً، جوني وأنا الحفيدان اللذان أحبّهما كلٌّ من جدّتهما وجدّهما. هذه المنامات القديمة التي لم تعد تراودني، بسبب تناوُلي أدويتي الطّبّيّة، أستيقظ **وعضوي** ينتصب كبيراً مثل **الصاروخ** ومحتقناً مندفقاً، يقذف **مثل ذيل المُذنَّب**. سائلي المنويّ كثيف ومتكتّلٌ ولزج حارّ، يُرَشُّ على أغطية السرير، على الستائر، على علب بيتزا ومناديل *إنزيو* التي طويتُها بقوّة، ووضعتُها في طيات فراش أخيل (الذي لم يكن مسوياً بأناقة، وهذا ما لن تتوقّعه) ذات ظهيرة عندما كان البيت خالياً من ساكنيه.

أستيقظ في فراش ناظر الأملاك في آخر الطابق الأرضيّ على ١١٨ شارع نورث تشرش وأنا أهتزّ متأوِّهاً، بينما تجتاحني **الرعشة** كصعقة تيّار كهربائي. حالماً أنني مقيّد بأحزمة على كرسي طبيب الأسنان، وقد أُنزِلتُ فاقد الحيلة والسكاكين والمسابر تعيث في فمي حتّى أختنق بدمي. أشعر بتحسّن حين أنهض، وأدير التلفاز على برنامج "صباح الخير، يا أميركا" وأُعِد بعض القهوة السوداء، وآخذ معي بعض المنشّطات الجنسية التي أتناولها على الطريق عند الحاجة. وأتذكّر أن

صفّ الكمبيوتر كان في اليوم الفائت. أو أقودُ باتّجاه دايل تِكْ، وهو اليوم الخطأ، أو الوقت الخطأ في اليوم الصحيح. لأن الزمن مثل الدودة الشريطية عالقٌ داخلَكَ في الاتّجاهات كلها. لذلك أقود بالأحوال كلها، مادام الڤان قابلاً **للحركة** متّخذاً الوجهة التي سأشعر أنها فأل سيّئ، ولأغيِّر المسار بشكلٍ تلقائيّ.

وإذا حدثَ وكان هناك عابر سبيل على الطريق، غالباً على حافّة الطريق السريعة، ربمّا سأتوقّف، وأقلّه، وأرقبه متحلّلاً إلى عوامله الأوّلية، كما لو كنتُ عالماً، يتأمّلُ أيّ نوعٍ من **الزومبي** يمكن أن يؤول إليه. لكنني لم أنجذب قطّ إلى بلدتي. ودايل تِكْ التي هي هذا المكان التافه لمَنْ هبّ ودبّ من الدرجة الخامسة في الجامعة، بمَنْ فيهم البروفيسور آر - بي - الذي ينظر إلى مؤخّراتهم. هناك سأركنُ ڤاني في المنطقة C من الباحة التي أمتلك لصاقةً، تخوّلني أن أركن فيها وعبر "الحرم الجامعيّ" (مجرّد إسمنت وخطوط عشب قصير ونسق شجيرات نصفها ميّت في هذا الشتاء) مفكّراً حسناً! *سأزور أساتذتي*، لأبرّر أمامهم أن مرضاً حلّ بالعائلة، أمّي تصارع السرطان، أو أبي يعاني مرضاً في القلب، لكنني لا أستطيع أن أجد مكاتبهم، وإذا وجدتُ المكتب، فسيكون في المبنى الخطأ أو الجناح الخطأ من المبنى الصحيح، وفي الوقت الذي أصلُ المكتب الصحيح أجده قد أُغلِق، الباب مُقفل، مصّاصُ الأيرِ قد انصرف لهذا اليوم. أو فلنقلْ إنني انحرفتُ عن غايتي من خلال اقتفاء بعض الفتية من قسم الهندسة إلى مبنى اتحاد الطَّلَبَة، حيث سأتناول أكواب القهوة قبل أن يُدوَّر بؤبؤا عينَيّ مثل دواليب الهواء يتّسعان، ويستكشفان مَن حولي **هل مَن يعرفني؟ هل مَن يودّ الجلوس معي؟** مجيلاً النظر لأرى إن كنتُ أعرف أحداً ما، إن كان لا بأس من الجلوس مع أحدهم، لعلّهم

في قسم الهندسة الذي أنا فيه أو قسم الكمبيوتر أو إذا كنتُ أبدو قريب الشبه من شخصٍ يعرفونه، ولا أجد مشكلة في ذلك. أصطحب معي بعض الكُتُب الدراسية، تبدو كذلك، وتسريحة شَعْري ليست تسريحة ذيل الحصان، أو ليس مَرخياً فوق كتفَيّ منذ اعتقالي، ولو أني أضع قبّعة **ريزينايز** جِلْدية ذات حافّة دائرية وقفّازات **بوني غلوڤز** المصنوعة من فراء الأرنب المخطّطة بالجِلْد في جيب سترتي المصنوعة من جِلْد الخروف التي اشتريتُها بـ ٣٠٠ دولاراً ونظّارتي الطّبّيّة الكهرمانية اللون في إطار نظّارات، كانت تعود لـ **بيغ غاي**. بذلك أبدو في مظهرٍ عاهرٍ جذّاب، بالنسبة إلى شخص أبيض على عتبة الثلاثين، دقيق الذقن، وشَعْره في انحسار. وأنه لغريبٌ كم ودودون هم طَلَبَة الكُلّيّة! وكم واثقون بالآخرين! كأنكَ إذا التحقتَ بكُلّيّتهم كطالبٍ، فإنكَ قد أصبحتَ واحداً منهم، من دون أدنى ريب. كلّهم مسافرون يومياً مثلي، يعيشون في ماونت ڤيرنون أو باقي أجزاء المقاطعة، ومعظمهم يشتغلون دواماً جزئياً أو حتّى دواماً كاملاً، مثلي. بل في بعض الأحيان، قد تسحبُ فتاةٌ كرسياً، لتجلس إلى طاولتي، إن كانت تعرف أحداً ممّنْ يجلس معي. *هاي!* ستقول مثل رئيسة مشجّعين في الثانوية. مثل الفتيات في ثانوية دايل سبرينغز اللواتي نظرنَ (من خلال) **كيو - بي** - في تلك السنوات وكأنه لم يكن موجوداً. *أأنتَ في صفّي لمادّة الكمبيوتر؟ - تبدو مألوفاً لي.*

كان عليّ أن أذكر أنّ بوطَيَّ المصنوعَيْن يدوياً من جِلْد صغيرِ الماعز الكبيرَيْن بعض الشيء على مقاس قَدَمَيّ هما من تقدمة رووستر. الذي شوهد لآخر مرّة يتمشّى على الشارع الرئيس في غريكتاون، ديترويت، نهاية أسبوع عيد الشُّكْر سنة ١٩٩١.

لم أخترْ أيّ عيّنةٍ باستثناء الصبيّ الأسود الذي لا آخذه في الاعتبار، من مساكن(*) روزڤلت، ماونت ڤيرنون وجوارها. لكنها فكرة ماكرة أن أتعلّم طريقة التّحدّثَ معهم. رغم أنني أُكثرُ من الإصغاء. لأكتسب كلماتهم، لهجتَهم العاميّة. مثل قولهم، *cool*, وقولهم that's cool! كلّما نطقوا بضع كلمات. *Gross, fucked - up, weird, wasted, retro, wild, far - out bummed* - هذه الكلمات لا تتغيّر إلى حدّ كبير، وليس هناك الكثير منها. الأدهى هي الطريقة التي يحرّكون بها أيديهم، أفواههم، أعينهم. ناهيكَ عن زمّهم لأعينهم، ما لم أكن ألبس نظّارتيّ الشمسيّتَيْن السوداوَيْن.

في بعض الأحيان، كما تقول أمّي، يبلغ بي السخاء أن أدفعَ ثمن غداء أحدهم أو مشروبَه من البيرة أو ما شابه ذلك. أو حتّى إقراضه المال. وأن أُقلَّ واحداً أو اثنَيْن منهم إلى بيوتهم أحياناً إذا فاتتهم الحافلة لأحيدَ أميالاً عديدة عن طريقي باتّجاه ضواحٍ، ليست معروفة لديّ *ولا إزعاج!* أقول، وفي حالات مثل هذه، ستبقى دماثة **كيو - بي** - في البال، وجهي وڤان الفورد **بالعَلَم الأميركيّ** على النافذة الخلفية. عَلَم كبير يشمل مساحة

(*) Projects: تجمّعات سَكَن الفقراء السود في أميركا.

النافذة الخلفية بأكملها. لو احتجتُ إلى شاهدٍ (في محاكمة على سبيل المثال) فلسوف يتذكّر **كيو - بي** - من معهد دايل تكْ، وحقيقةَ أني كنتُ دمثاً للغاية.

ذات مرّة أعرتُ صبيّاً صينياً هزيلاً سترتي المصنوعة من جِلْد الخروف في ليلةٍ شتائية قارسة، دون أن أطلب منه أيّ شيء. وقد ردَّها إليّ، ربمّا بعد أسبوعَيْن من ذلك، لكنْ، يبقى أنه ردَّها. طالب هندسة اسمه "تشو" أو "تشيه" مع صدى *بينغ!* في الاسم. وعيناه سوداوان لامعتان، ولم يكن يبدو شاباً وشديد البراءة مثلهم جميعاً، لكنه عندما قال *شكراً، أيّها الرجل*، كان كلّ ما تلفّظتُه همهمةَ كلمة *بالتأكيد*.

27

كانت تلك المرّة الأخيرة خلال إقامتي في شارع ريردون. كنتُ أقوم بمجاذفة إحضار **نو نيم** إلى هذا السَّكَن. التقطتُه عن الطريق السريعة ٩٦، مخرج غراند رابيدز، لكنه قال إنه من توليدو، ومتّجه غرباً. مُقاوِماً زوغان العينَيْن الشبيهَتَيْن بكريّات الزجاج في رأسه، بتأثير المخدّرات. *انظرْ، أيّها الرجل، أظنّ بأنني لا أريد فعلَها، اتّفقنا؟* - *دعني أمضي، أيّها الرجل*، وأعربتُ له بأنني وددتُ بقاءه معي، كما لو كنّا صديقَيْن، أخوَيْن، قلتُ له إني سأُجزل له العطاء، وأننا لن نصابَ بخيبة، وكان يتفصّد عَرَقاً وهو يقول أنا هكذا على مايرام، أيّها الرجل، وأُقسم بأنني لن أُخبرَ أحداً، فقط دعني أخرج من هنا، أيّها الرجل، أرجوكَ؟ - اتّفقنا؟ أحكمتُ الحبلَ حتّى جحظتْ عيناه، وآلَ جِلْده شاحباً مثل البرقوق، والشَّفَتَان اللتان لم أستطع أن أزيحَ بصري عنهما كانتا شاحبَتَيْن، وكان ثمّة ما يجتاحني مثل التّيّار الكهربائيّ، **إنه يدرك! إنه يدرك الآن! لا مكان للرجعة!** وهي النقطة التي ينبغي بلوغها. عتبة الثقب الأسود الذي يمتصّكَ عن طريقها. قبل جزء من الثانية لا تزال طليقاً، ولكنْ، بعد جزء من الثانية، وقد امتُصِصْتَ من قِبَل الثقب، ستكون في عداد المفقودين. وها أيري صلبٌ كهراوة. والشَّرَر في عينَيّ. ولم أتلعثم مثلما حصل حين تمايلَ أوّل صعوده إلى القان ذلك الخلّ اللطيف الذي يلوحُ كأبيضَ، وبابتسامته السّمحة، وهو

يقول ها أنذا هنا، *يا رجل، ماذا بوسعكَ أن تفعلَ حيال الأمر؟* في الخلف، كتاب *مبادئ الجيوفيزياء* المدرسيّ البالي يحلّ أحجيّةً خادعة، وشارباي الوبريّان المتناسقان والشَّعْر المفروق بأناقة غير معهودة يعلو على جهة رأسي اليسرى، وفي حانة في غراند رابيدز، حيث احتسينا بضع زجاجات من البيرة، كان هو الذي بادر بالحديث، وجلستُ بهدوء مكتفياً بالإصغاء، ولو رآنا أحدٌ، لكان الذي رأوه هو **نو نيم** وما يلوح كفتى أبيض، لم يكن أبداً هناك.

ثمّ يرافقني إلى البيت موعوداً بحمّام دافئ، مع وجبة مَطهوّة في البيت، وڤودكا، وشراشف نظيفة، إلخ. يفترّ ثغرُ "**نو نيم**" عن ابتسامة ظنّاً منه أنه سيُرضَعُ من قِبَلِ شخصٍ أبيض، وسيُدفَعُ له مقابل تعكير صفوِه، وربمّا سيتخلّصُ من شعوره بهيمنة الأبيض، لكنْ، لم تجرِ الرياحُ بما تشتهي سفنُه، والذعر في عينَيْه أنبأ بذلك. قلتُ، *أنا لستُ سادّيّاً، لستُ ممّنْ يهوون التعذيب، أظنّ أنكَ رائع، أطلبُ إليكَ أن تتعاونَ، ولن يصيبكَ مكروه*، كنتُ مُستثاراً، فكان عليّ أن أُنزِلَ السّحّاب. رآه، وعرفَ. ستعرفُ حتّى عندما لا تريد. كان ذلك تأثير كبسولتَي الباربيتريك اللتَيْن أعطيتُهُما له مطحونتَيْن في الڤودكا. لكن مفعولهما كان بطيئاً، وكان يقاوِم، وقلتُ مرّاتٍ عديدةً، *لن أُؤذيكَ*، قلتُ فقط *إذا استلقيتَ ساكناً*. لكنِ مقاومته انقلبتْ عليه، ولم يتعاون. كان يبكي، رأيتُ أنه كان مجرّد ولدٍ. ربمّا في التاسعة عشرة من عمره، وتصرّف على نحوٍ، يفوق عمره، رائع! حشوتُ فمَه بإسفنجة المطبخ وأنا ألمح التماعة سنٍّ ذهبية. كان على وشك الاختناق، لذلك توجّب عليّ الاحتراس، لم أشأ أن أفقدَه. كان موثَقاً بإحكام لضمان سلامته، كان تحت تأثير المسكِّن، ولابدّ أنه الآن قد تخدّرَ رغم أن المفعول بطيء للغاية. الطريقة التي أجرى بها الأطبّاء جراحات الفصوص الدماغية،، كانت بأن

يصدموا مرضاهم كهربائياً، ليُفقِدوهم الوعيَ، لكنني لم أمتلك الجرأة، وخشيتُ أن أقتلَ **نو نيم** ونفسي معاً بالصدمة الكهربائية. كان في تلك اللحظة عارياً في المغطس والماء يجري، وذلك اللعين **يعرف! يعرف!** رغم أنه لم يستطع رؤية مثقاب الثلج بعد. ولدٌ مرنٌ غدّار بتلك السّنّ الذهبية - حقاً **يحفّز الغريزة**. شَعْر غريب ضارب إلى الحمرة، ولمعان أحمر غامق يلوّح بشرته. مثل ملمّع الأحذية البنيّ، ملمّع أحذية أبي الذي لا أزال أتذكّر وجوده في البيت من سنوات خلتْ. حسن الطّلعة، بل في واقع الأمر **بهيّ الطّلعة**، إنهم على علْمٍ بذلك، لكنهم سيكونون متأخّرين للغاية بعد أن يستولي **كيو - بي** - عليه. قمتُ بتثبيتِ رأسه بالملزمة، وأتيتُ بمثقاب الثلج (الذي كنتُ قد عقّمتُه على صفيحة موقدٍ حارّ) إلى عينه اليمنى، كما هو مبيَّن في رَسْم الدكتور فريمان التوضيحيّ، لكنْ، حينما أدخلتُه في "المحجرِ العظميّ" تملّص **نو نيم** مقاوِماً وزاعقاً من خلال الإسفنجة، وتفجّر الدّمُ، وقذَفْتُ، وفقدتُ السيطرة، وقذفتُ، بعنفٍ استمرّيتُ **بالقذف والقذف، وكأنني في نوبة تشنّج** دون أن أستطيعَ الكفّ، أو حتّى التّنفّس، وأنا أتأوّه، وألهفُ في طلب الهواء، وحين انقضى الأمر، واستعدتُ السيطرة من جديد، رأيتُ مدى ما حلّ من تلفٍ - مثقاب الثلج العاهر انغرز حتّى المقبض في عين **نو نيم**، ليصلَ دماغَه، وكان الصبيّ الأسود في النزعِ الأخير، كان ميّتاً، الدّم يندفق، كما لو أنه رعافُ أحد العمالقة، وفشلٌ قحبٌ جديد، **ولا زومبيّ**.

28

وبعدها، يأتي التّخلّص من الجثّة. ذات الوزن الثقيل.

بالغة الثقل. كأنهم يفعلونها عن قصد، كنوع من **المقاومة**.

لففتُ الجثّة عاريةً بكيس زبالة من النوع الذي يمكن ربطه من الأعلى، وأحكمتُها بحبل، وأحطتُها بقماشة، ثمّ حزمتُها بسلك خاصّ. سحبتُها ليلاً بمنتهى السّرّيّة، وبحذر مطبق. نازلاً الأدراج باتّجاه الثان، مؤخّرة الثان أُعدَّتْ بعناية، لتستوعب حمولتها. **بالغ الثّقل!** حتّى إن **كيو - بي** - تفصَّد عَرَقاً في هذا الطقس البارد. كان يرفع الأثقال، ويتدرّب في نادٍ رياضيّ، كما أفعلُ أنا من حينٍ إلى آخر، وأواظب على ذلك، كما يوصي أيُّ معالجٍ من معالجيَّ دون أن يبنيَ ذلك العضلات التي أحببتُ أن أضخّمها في الجزء العلويّ من جسدي، وفي فخذيّ.

التّخلّص من الجثّة، من الفتيان **ذويّ الطلعة البهيّة**، أمر يدعو **للإحباط**.

العودة إلى نظام الأدوية تتركني كئيباً، إذا لم أُولِ الأمرَ الانتباهَ. وللأدوية القحبة آثار جانبية، لذلك تؤثّر بكَ بطريقَتَيْن مختلفَتَيْن.

يقودُ **كيو - بي** - دائماً ضمن حدود السرعة النظامية، ويراعي ضوابط

المرور كافّة. سواء كان هناك *حمولة محظورة* على متن الثّان، أو لم يكن. في بعض الأحيان، يطلق بعضُ السائقين نافديّ الصبر أبواقهم عليه، كونه يتحرّك ببطء واحتراس (في الطقس الماطر، في الثلج على سبيل المثال) على الخطّ الأيمن من الطريق. لكنْ، لا يستجيب لذلك. لا إنزال نافذة، ليشتم، وليلوّح بالمسدّس الـ .٣٨ مم، ويُطلق النار في وجهِ مذهولٍ، **كما يفعلون في ديترويت، يا للهول!**

مرمى النفايات أو مقلب الزبالة هو الأكثر استراتيجيةً بالتأكيد، إذ إن الأرضَ محفورة بطبيعة الحال. وعلى أساس البُعد عن مكان الإقامة - سبعون، أو مائة، مائتان ميلاً هي قاعدة **كيو - بي** -. يستحقّ الأمرُ الجهدَ الإضافيّ المتمثّل بشراء شاربَيْن جديدَيْن، شعرٍ مستعار، سالفَيْن في كل مرّة. الأراضي المهجورة، المناطق المشجّرة قرب المنتزهات - محفوفةٌ بالمجازفة نظراً لأن الأولاد يلعبون فيها، وكذلك الكلاب. الكلاب عدوّكَ الطبيعيّ، إذا لم تحفر عميقاً. لكن الأرضَ السّبخة الخاوية وراء الطريق السريعة في مكانٍ منعزلٍ ما، حيث لا يصله أحدٌ لَرِهانٌ جيّد مع إضافة ثُقل دولاب حديدي على الجثّة، وحبل تحزيم لتُرمى في المياه العميقة - **نو نيم** قد أُلقيَ في نهرِ منتزه مانيستي الوطني شرقيّ كريستال ڤالي.

ولم يُعكّر صفو الماء، ولم تُقَلْ كلمة. لم يُثَرْ الموضوع ضمن أيّ وسيلة أخبار. لا نعوة. في الحقيقة، كان له اسمٌ، لكن هذا الاسم لم يناسبه.

فقط هذا التذكار الأوحد هو ما أبقيتُه منه في مشغل **ناظر الأملاك**: إحدى أكثر تعويذات **كيو - بي** - القيّمة التي تجلب الطالع الحسن.

السّنّ الذهبية (بالحجم الحقيقي)

كم من المرّات. أحتفظ بتذكارات لكنْ، لا سجلات. ساعتي بلا عقارب **وكيو - بي** - لم يكن أبداً ذلك الشخص الذي يعلّق آمالاً على الشخوص أو الماضي، **الماضي هو ما قد مضى**، وعليكَ أن تمضي قدماً. قد أكون **مبعوثاً مسيحياً**، كما أفكّر أحياناً، وربمّا أنا بانتظار ذاك النداء.

في غضون ذلك، لديّ قبو بيتِ جديَّ القديم الذي عهد أمره إليّ، بصفتي **ناظر أملاك**.

29

شيء من غثيانٍ، يأتي به الهواء من أريجٍ، لا يُحَدّ، ينتشر في كلّ مكان-

أحدهم ترك *أنطولوجيا الشعر الإنكليزي الجديدة*، وقلّبتُ صفحاته في اتّحاد الطَّلَبَة، ليس في المعهد التِّقْنِيّ، بل في الجامعة، حيث آتي أحياناً في أوّل المساء، وهذه الكلمات أعلاه من قصيدة لِ "جيرالد مانلي هوبكينز" قفزتْ إليّ، ورنّتْ مثل جرس معهد الموسيقى.

لأنه الربيع، إنه نيسان/ أبريل، وها هي سنةُ مراقبة سلوك **كيو - بي** - الأولى قد انقضتْ.

30

عارٌ يلفُّ أبي وأمّي والأقارب، لكنْ، **هكذا تكون معالجة الأمور** كما قال محاميَّ، في الحقيقة هو محامي أبي، يشتغل لصالح أبي. **هكذا تكون معالجة الأمور**.

لو كان ابنكَ ظهر أمام قاضٍ أسود، أو قاضية - لربمّا كان الأمر أسوأ، أسوأ بكثير.

بعد مداولات (لم يكن لـ **كيو - بي** - دورٌ فيها) تمّ السماح لـ **كيو - بي** -*أن يقرّ بالذنب في جنحة جنسية بحقّ قاصر*. محاميّ ومحامي الادّعاء تدبّرا الأمر. والقاضي آل - كان متفهّماً. كان الناس يقولون حيث يوجد المال، تتغيّر الأيدي، وإنها كلمة رجلٍ أبيض، تنقصه التجربة، غير متزوّج، في الثلاثين من عمره، في مواجهة تهمة ولدٍ أسود من مساكن السود، وهذا الصبيّ الأسود، في الثانية عشرة، من أسرةِ "أمٍّ تعيش على راتب الإنعاش"، ليس هناك الكثير من خفايا ممّا يمكن التّكهّن بأنها قد حدثت. ولا أيّ نوع من "العدالة" التي استُخلصتْ.

اعترفْ بذنبكَ، تدبّرنا الأمرَ، وستكون على مايرام.

ولكنْ، ماذا لو لم يكن ابني مذنباً؟ - يا للزيف!

كوينتين لن يقوم بشيء كهذا. إنه ابني، ولدي، وأعرفه.

كوينتين، أوكي؟ موافق؟

في الواقع، كان الخجل والتوبة واضحَين على **كيو - بي** - لقد "تعلّم دَرْسَه" - إذا نظر إليه المرء، بهالَتَي جفنَيْه الحمراوَيْن المنمّشَتَيْن وبشَفَتَيْه الجافَّتَيْن، اللتَيْن سبق ذِكْرهما.

عقوبة سَنَتَيْن - مع وقف التنفيذ. علاج نَفْسيّ، جلسات استشارة. تقارير دورية إلى مكتب مراقبة السلوك. موافق؟

مغرورقة عيناي بالدمع أمام القاضي آل - ويداي في جيبيّ، وفي جيب بنطالي الأيمن تلمّستُ **السِّنَّ الذهبية** جالبة الفأل الحسن وهمس أبي إليّ أن أُخرج يَدَيّ من جيوبي، رجاءً. وقد فعلتُ، وشكرتُ القاضي آل - على تفهّمه، وهكذا، كما نصحني محاميّ. ثمّ مغادراً قاعات القضاة وضيْق تنفّس ينتابني وأبي يمسكني من المرفق. ارفعْ معنوياتكَ، *يا ولدي*، تلك كانت كلماته الاعتيادية *كلّ شيء على مايرام الآن، ونحن في طريقنا إلى البيت*. وفي الخارج في ردهة المحكمة الخالية، أمّي وجدّتي وجوني وريفرند هورن الذي هو صديق مقرّب من جدّتي والذي "كفل" **كيو - بي** - لدى القاضي آل - كانوا بالانتظار. كنتُ أرتدي برّة جديدة مزركشة بمربّعات صغيرة بنّيّة وعقدة عنق بيج مخطّطة بخطوط حمراء رفيعة. وكان شَعْري محلوقاً ومُقلَّماً بشكل دقيق عند الأذنين وعند قفا العنق، ولم أكن أضع نظّارتيّ المثيرَتَيْن من طراز إڤياتور، بل اللتَيْن لهما إطار بلاستيكي شفّاف. ولم أكن أبكي في هذه اللحظة إنما كنتُ أبتسم وأعانق عائلتي، كما يفعل المرء في مناسبة

مثل هذه. صافحتُ ريڤرند هورن *شكراً لكَ، شكراً لكَ، أنا في غاية السعادة، في منتهى الامتنان. أشكر لكَ ثقتك بي.*

كنّا حينها في الخارج. مطرٌ ناعم تنقّطَ على وجهي.

بعدها ناولني أبي مفاتيح سيّارته الليكزوس ١٩٩٣. التي لم أقدها من قبل. فهمتُ الأمر على أن أبي أراد أن يُريني كم يثق بي، والعائلة تثق بي، ولن أُخيّب ظنّهم بعد أبداً الآن. ثمّ أقودُ خارجاً من المدينة المتهالكة بمحاذاة البحيرة باتّجاه ديل سبرينغز، حيث البيوت رحبة، تستقرّ على بقاعٍ متّسعة مشجّرة، والشوارع مخطّطة بالأشجار، وحسنة الصيانة، وانتابني إحساس **العودة إلى الوطن، وبأن هناك مَنْ يحبّني،** وحافظتُ على حدود سرعة ٣٥ ميلاً/ ساعة متجاهلاً كيف تراصّت السّيّارات خلفي، وضغط السائقون أبواق سيّاراتهم، وتجاوزوني وقد نفد صبرهم. جوني الـ بيغ سيس (الأخت الكبرى لي) هي الآن في الخامسة والثلاثين مديرة مدرسة ثانوية، رمقتْ أخيها الأصغر بابتسامة حنونة، قالت، *كوينْ كان دائماً الوحيد بيننا مَن استطاع أن يقود سيّارة،* ثمّ لتضيف بسرعة، *-أعنيها. صحيح، يا كوينْ؟* تمتمتُ وأنا أنظرُ في المرآة التي تعكس داخل السّيّارة. *صحيح، يا جوني.*

كان هناك على الدوام شعور خاصّ بين أختي وبيني. من جهتها هي على الأقلّ.

أقود باتّجاه البيت، بيتي القديم الذي رحّب بي فيما مضى، لكنْ، رغم أنني شببتُ يبقى **كيو - بي** - مُرَحّباً به هناك في أيّ وقت، ولعلّ الإرشاد الذي يقوم به الوالدان يُؤتي أُكلَه. أحد أيّام نيسان العاصفة الدافئة المطر. سماء البحيرات العظمى تبدو مثل مادة تلافيف الدماغ البيضاء الملوّحة

بالرمادي. أبي على المقعد المجاور لي في سيّارته الرائعة سلسة القيادة، ويرتدي برّة، خيطت خصيصاً له، ويبدو في مظهر حسنٍ، بالنسبة إلى شخصٍ مسنّ، تلوحُ آثارُ العمرِ على ذقنه، حيث، منذ زمن بعيد، كانت توجدُ لحيتُه. وفي المقعد الخلفيّ، كانت أمّي، جدّتي وجوني، يتبادلنَ الثرثرة، ودموع أمّي وحضور الآخرين يبعث فيها الراحة، وأركن السّيّارة على شارع ليكفيو، وقد أوصلتنا البيت، بالكادِ تذكّرتُ أني كنتُ على هذا القدر من السعادة وأشعر بمنتهى الحُرّيّة أن أتخيّلَ **أيراً أسودَ**، ذَكَرَ صبيٍّ منكمشاً حيّياً، يشبه صغيرَ الأرنب، وقد سُلِخَ. قبضتُه بيدي مداعباً قلفَتَه برأسِ مثقابِ الثلج، لكنّ حبوب الدواء لم تُؤدِّ مفعولها حتّى اللحظة، بسبب كوني نافد الصّبر، ومُبدياً قصوراً في المحاكمة (القصور الذي أسترجعُه في ذاكرتي - كأن أكون في حالة سُكْرٍ) والصبيّ يعتريه الهلع، وقد شرع بالخوار مُنفلِتاً كحيوانٍ مسعور مُقتحماً بابَ قان الفورد الخلفيّ المحكم الإقفال، ولتكن، **يا إلهي، بعوني**، إذ لم أدرِ كيف حصل ذلك. ومن ثمّ، راكضاً عارياً إلا من تي - شيرتِه المتّسخ باتّجاه الشارع، يجأرُ مثل صفّارة الحريق التي تعلو أكثر وأكثر. إنه **زومبيٌّ**!

لم يطلب نكلاً(*) واحداً، كان يوليني ثقته مثل كلب. مع ذلك لم يثق كيو- بي به.

من المقعد الخلفيّ كانوا يسألونني شيئاً ما، ولم أكن أصغي بالطريقة نفسها التي غالباً لا تُصغي فيها إلى الإناث، لكنْ، لابدّ أنني قد أجبتُ أوكي، ربمّا كان شيئاً يتعلّق باضطلاعي بعمل **ناظر الأملاك**، أو أنهن أُعجبنَ بتسريحة شعري. وقد أراح أبي يده على كتفي. إنها المرّة الأولى التي ظننتُ

---

*) Nickel: قطعة نقدية معدنية من فئة خمسة بنسات في العملة الأميركية.

أنه يمكنني أن أشعر فيها بحركة الأرض، بينما أقود في ذلك اليوم. الأرض وهي تشقّ فراغ الفضاء. تدور على محورها، لكنهم يقولون إنكَ لا تشعر بذلك، لا يمكنكَ أن تدرك ذلك. لكنْ، أن تشعر بها يعني أن تكون خائفاً وسعيداً في الآن نفسه، ولتدرك أن لا معنى لشيءٍ إلا أن تفعلَ ما تريدُ أن تفعله، وما تفعلُه إنْ هو إلا ما تكونُه *أنتَ*. وأدركتُ أنني أتقدّم باتّجاه المستقبل. ليس ثمّة **ماضٍ**، يمكن لامرئٍ أن يبلغه، لكي يُغيِّر الأشياء، أو حتّى لمجرّد أن يعرف ماهية تلك الأشياء، باستثناء أن هناك مستقبلاً أكيداً، نحن نعيشه بطبيعة الحال.

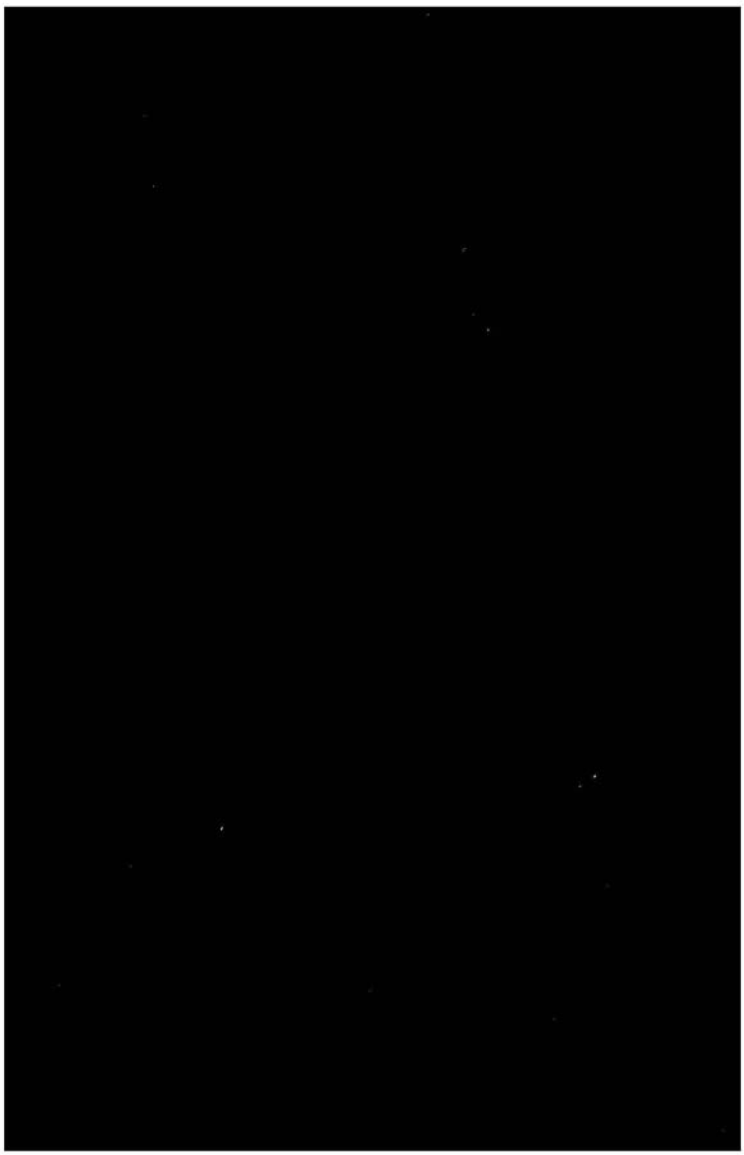

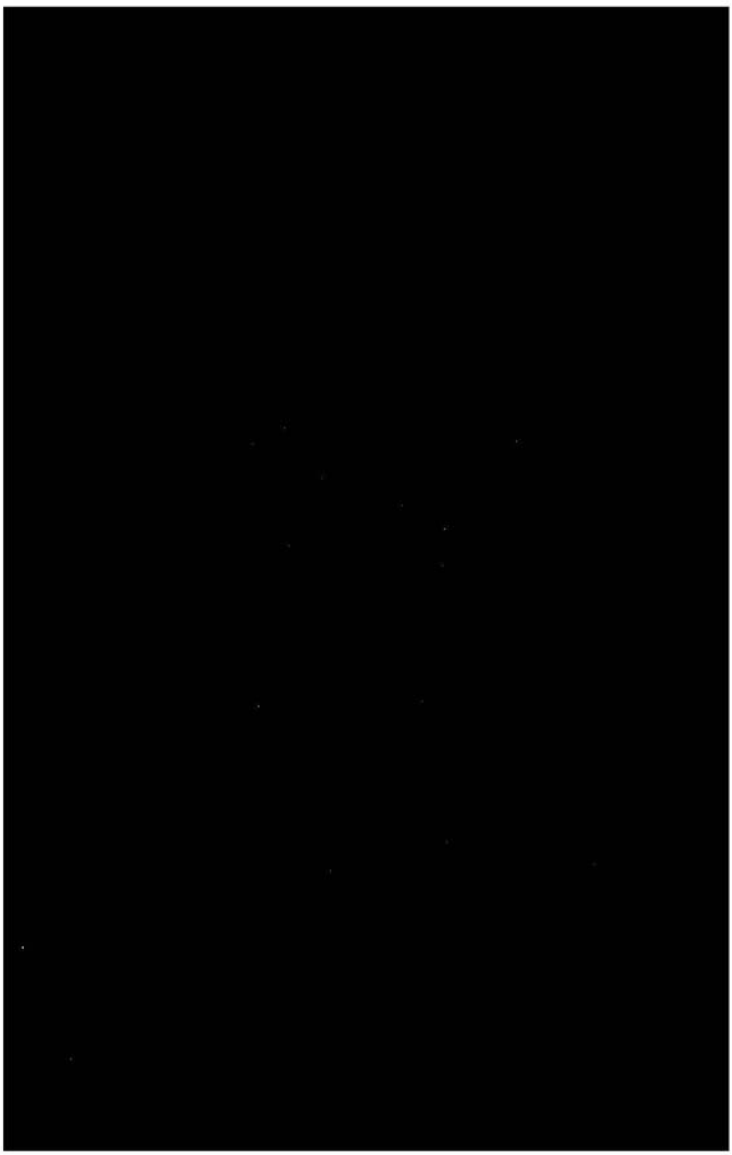

31

الاسم الذي أطلقتُه عليه كان **سكورِلْ**/ سنجاب. كانت تلك تسميتي السّرّيّة، وأما الاسم الحقيقي الذي قد تكون عرفتُهُ به، فأمرٌ آخر.

لم يقصد **كيو - بي** - أن يحدث ما حدث. لم يكن **سكورل** خياراً موفّقاً لأجل العَيِّنة. عرفتُ ذلك، ولطالما كنتُ أعرف. كنتُ حازماً (كم من المرّات أعطيتُ التعليمات لنفسي!) في مسألة أن **شيئاً كهذا لن يحدث**. أيّ امرئٍ له عائلة تهتمّ لأمره، أبيض وابن ضواحٍ، ويعيش في ديل سبرينغز!

ستُلقي جدّتي بجلّ اللوم عليّ. إنها لطعنة لها حين تعلم، لكنّ هذا ما حصل. بالتأكيد، لا **كيو - بي** - حفيدها الوحيد، ولا أيٌّ من الآخرين، سوف يكشف واقعةً مريعةً لامرأة في مثل سنّها.

ربّما كنتُ على خطأ بقولي إنه *لومُ* جدّتي، أميل للظّنّ أنه ليس لوم أحدٍ. أمرٌ خرافيّ ومتخلّف أن تفكّر *باللوم، الخطأ، الإثم*. تيقّنتُ من ذلك في الليلة الفائتة، وأنا أتابع التغطية التلفزيونية للمُذنّب شوميكر - ليڤاي ٩ يصطدم بكوكب المشتري. كان أبي قد دعاني إلى البيت، لأشاهدَ معهم هذا *الحَدَث التاريخي*، لكنني قلتُ أشكركَ يا أبي، لديّ الكثير من الأشغال (*الشغل الذي أقوم به لصالحك، يا أبي* كانت الرسالة)، وبقيتُ

في المأوى الخرائيّ **لناظر الأملاك**، وتناولتُ شطائر الخضار الإيطالية الحارّة من مطعم إنريكو، وسكرتُ على زجاجتَي نبيذ. قالوا إنّ الإنفجارات على سطح المشتري كانت أضخم بملايين المرّات من أيّ انفجار مدمِّر على كوكب الأرض، لكن الانفجار لم يتجاوز نفثاتٍ صغيرة سوداء، تنبثق على الشاشة. وميض وكرات نار وذؤابات لهب. كم من ملايين، بل بلايين الأميال تبعد مسارات النيازك، بينما تصطدم بالغلاف الجويّ للمشتري، وتنفجر. الشظية كيو Q ستصدم الكوكب في ذات اللحظة التي سهوتُ فيها.

كيف يتأتّى أن ينوجد **اللوم** في ذؤابات كرات اللهب. إذا انفجرت على المشتري أو الأرض. إذا قُدِّرَ لها الفناء في الكون من بدء الزمن أو بدء الإنسان. لذلك ليس ثمّة **لوم** تكنّه جدّتي. أنا على خطأ أن أكون منزعجاً من عجوزٍ طاعنة في السّنّ. وتعاملني بكل ما لديها من الطّيبة.

الأمر هكذا. التمستْ جدّتي منّي أن أقلّها إلى عدد من الأماكن، لأنها لا تقود السّيّارة منذ أمد، وكانت إجابتي بالموافقة - أحياناً. (لأن جدّتي دفعتْ لي، بالتأكيد.) أقلّها إلى بيت إحدى السّيّدات العجائز، أو لتزور بعض المقعدين البائسين في دار عجزةٍ ما، وأنتظرها في الجوار، ثمّ أُعيدُها إلى البيت، ولم يكن هناك مانع من ذلك، مادمتُ حُرّاً، ولا أشغال **ناظر الأملاك** الخرائية تنتظرني في البيت، أو وظيفة من ديل تِكْ. (في الواقع، كان الفصل الدراسيّ قد انقضى، والمحاضرات قد انتهت.) ثمّ خطر لجدّتي أن تقوم بتشغيلي في أعمال الحديقة، جزّ العشب (مساحته قرابة إكْرٍ ونصف، وتقليم السياج النباتي، ورشّ السماد في مساكب الورد، إلخ. ولا مشكلة في ذلك من الناحية النظرية. كانت الجدّة تدفع لي من ٥٠ إلى ٧٥ دولاراً نقداً فقط لعمل يستغرق بضع ساعات، ولم أحتج أن أبذل كلّ

العناية، لم تأتِ أبداً لتتفحّص العمل. كانت قد أجرتْ عملية، بسبب إعتام في العين أو الاثنَتَيْن، أو ما يشبه ذلك، لهذا يحتمل أنها لم تستطع الرؤية كما يجب، ولم أتحقّق من افتراضي هذا. كانت جدّتي تدسّ لي الأوراق النقدية وهي تقول *هذا فقط بينكَ وبيني، يا كوينتين. إنه سرّنا الصغير!* هذا يعني أن أبي ومصلحة الضرائب لا يجب أن يعلموا.

لعلّ جدّتي كانت تعاني من الوحدة، وهذا يفسّر الأمر. محاولتها إبقائي لتناوُل العشاء، إلخ. كان هناك عجوز أخرى، أرملة صديقة لجدّتي، وكان عليّ في بعض الأحيان أن أقلَّ هذه العجوز الأخرى إلى منزلها، وكانت تدفع لي، هي الأخرى. قمتُ بما يشبه خدمة التاكسي. في ڤاني الفورد ولصاقةُ العَلَم الأميركيّ على زجاجه الخلفيّ.

32

حتّى قبل **سكورل** كان الفصل حافلاً بمشاريعَ عديدة! - تضجّ بها رأسي كالأفكار من الفضاء الخارجيّ! كنتُ أستيقظ في ڤاني غير واعٍ أين أنا في ساحةِ حانةٍ في مدينةٍ ما، ليست مألوفةً بالنسبة إليّ، وإنه الصباح وأشعّة شمس بغيضة ضارية في عينيّ كالأسياخ - ومن ثمّ، تفتيش هادئ بارد لمؤخّرة الڤان، لأكياس الزبالة البلاستيكية المَطوية بعناية، والأغطية البلاستيكية إلخ، وليس ثمّة دليل. أو قد أستيقظ في سَكَن **ناظر الأملاك**، لكنْ، ليس على فراشي، بل على الصوفا بكامل ملابسي بسحّابي المفتوح، وأيري المنتصب يبرز حُرّاً طليقاً، صوت التلفاز مرتفع في صباح يوم ما، ليس معلوماً بالنسبة إليّ، زجاجات أو علب بيرة فارغة تحت الأقدام، وصراصير تجوس فتات البيتزا، وأجراس تُقرع بمنتهى العذوبة من معهد الموسيقا، كأنّ شيئاً خارقاً قد حدث في أثناء نومي! صوت قال *إنْ تنزل إلى القبو، يا كوينتين، فسيكون بانتظارك.*

مَن؟ مَنْ بانتظاري؟

أنتَ تعرفُ مَنْ.

*أهو **زومبيّ**؟ أهو **زومبيّ**؟*

لكن الصوتَ تبدد في إعلانات التلفاز ووقع أقدام في الأعلى، ثمّ صوت التمديدات الصّحّيّة. وجاري في المطبخ وهو الـ بيغ بلاك غاي/ الفتى الأسود الضخم (كما أسميتُه) من زائير يضرب الصراصير بجريدة ملفوفة. رغم أني طلبتُ منه أن لا يفعل ذلك.

إذ ذاك أُدرك أن **كيو - بي** - وحيد في الكون. إذا أردتَ شيئاً أن يحدث، فافعلْه *بنفسكَ*.

33

تردّد حديثٌ عن إدراج كيو - في دورة المعهد التِّقْنِيّ الصيفية، لكن أيّام التسجيل جاءت، وانقضتْ. كنتُ قد أعلمتُ أبي وأمّي والسّيّد تي - بأنني نجحتُ في الصّفّين، وبأنني ألفتُ المعهد، لكنني لم أقرّر بعد الاستمرار. وقد أثار ذلك أبي *ليقول ماذا عن مستقبلكَ، يا بنيّ؟ - لقد تجاوزتَ الثلاثين، ولن تستطيع أن تكون ناظر أملاك طوال حياتكَ، هل تستطيع؟* وندتْ كلمة "ناظر أملاك" عن لسانه مثل خراء. وأجبتُ. وأردف أبي. وقالت أمّي إنّ الخريف لايزال بعيداً، وليس ثمّة قرار ينبغي التّسرّع به. بهذه الطريقة، انتهى النقاش في ذلك اليوم.

وصل مظروف باسم **كيو - بي** - إلى ١١٨ شارع نورث تشرش، أرجّح أنه يحتوي نسخة أصلية من درجاتي. مزّقتُه دون أن أفتحه، وألقيتُ بالمزَقِ جانباً.

34

بينما أقصّ العشب في مرج جدّتي ذات سبتٍ من شهر تموز/ يوليو، وأشذّب السياج النباتي الدائم الخضرة، سمعتُ صبية يصرخون، ويتضاحكون في مسبح بيت الجيران. **لا تنظرْ**، قال الصوتُ بهدوء. لكنه كان مهيّجاً. تراءى لي الأمر سَلَفَاً. خمسة أو ستّة من الأولاد المراهقين، بينهم فتى في حوالي الخامسة عشرة أفقدني صوابي، ينساب الماء من شورتِ سباحته حين يرتقي حافّة حوض السباحة بعد أن يغوصَ غوصاً مُتقناً، وجسده المشدود المفتول العضلات يشبه شيئاً برّاقاً، لا أستطيع أن أزيح نظري عنه. شققتُ طريقي بمحاذاة السياج الشجريّ، لألقي نظرة عن كثب، ولدى رؤية وجهه اعتراني ما يشبه دخول السّكّين. في وجهه من الملامح ما يكفي لأن يكون **توأمَ** باري! لولا أنّ باري كان أصغر في ذاكرتي بالتأكيد وأسود الشَّعْر، وهذا الصبيّ كان أكبر عمراً، طويلاً وهزيلاً وسريع الحركة وصاخباً، وشَعْره يميل إلى البنّيّ، كأنّ الشمس لوّحته.

باري، صديقي من الصّفّ السابع في مدرسة دايل سبرينغز الذي كان يسكن في بيت لا يبعد عن بيت جدّتي أكثر من ميل! - بناء الآجرّ البرتقاليّ الذي أعبره في طريقي إلى جدّتي، فقط مسافة كتلة سَكَنية عنّي.

كان باري قد غرق في حادثة في أثناء سباحته في مسبح المدرسة،

اصطدم رأسه بحافّة المسبح، وغاص وكثير من الأولاد يصرخون، وضربات الكرة الطائرة لم تجعلنا نلحظه حتّى خرجنا جميعاً على وجه التقريب من المسبح. كم من الشهور، الأعوام انقضتْ، وقد سمعتُ مصادفةً أمّي تقول لإحدى صديقاتها على الهاتف *لايزال كوينتين يرثي موت ذلك الصبيّ المسكين، لا أظنّ أنه سيبرأ من ذلك أبداً.*

قصاصات الصحف التي احتفظتُ بها لسنوات، صور باري التي يظهر بها وحده ومع أعضاء فريق السّلّة في اللقاء التذكاري المخصّص لصحيفة المدرسة، وجورب وسخ، يعود لباري، أخذتُه من خزانة المدرسة، حفظتُه في واحد من **مخابئي السّرّيّة** بين فرشتي ونوابض السرير، وذات ليلة بينما أمدّ يدي باحثاً عن الجورب، لكي أدلله، وألاطفه، اكتشفتُ أن الكنزَ قد فُقِد. كائنٌ مَن كان الذي أخذه، أمّي، أو أبي، لم يتكلّموا إليّ بشأنه. ولم أُبْدِ أيّة إشارة.

والآن ها هو باري يعود إليّ! لكنه يلمع كالذَّهَب تحت الشمس، بل في الحقيقة يضاهيه في المظهر، جذّاب بتلك الطريقة التي يبدو بها المراهقون معتدّين بأنفسهم ومتباهين بأجسادهم، ويعرضونها على الفتيات. "سكوَرِلْ"/ السنجاب كان الاسم الفوريّ الذي أطلقتُه عليه، ذلك الشَّعْر البنّيّ المشقرّ الذي لفحتْه الشمس وحيويته وإضفاؤهُ المرحَ حوْلَه وضحكه الصاخب. يا "**سكورل**" فقط أقبلْ إليّ، وهكذا كان. لن يكون هذا محض مصادفة. **كيو - بي** - مصدومٌ كَمَنْ ضُرب بمطرقة على الرأس. وثمّة تنبّه في الأير، بشكل يثير العجب.

لأن **زومبيَّ** الحقيقيّ كان هنا. لا أسئلة بعد ذلك.

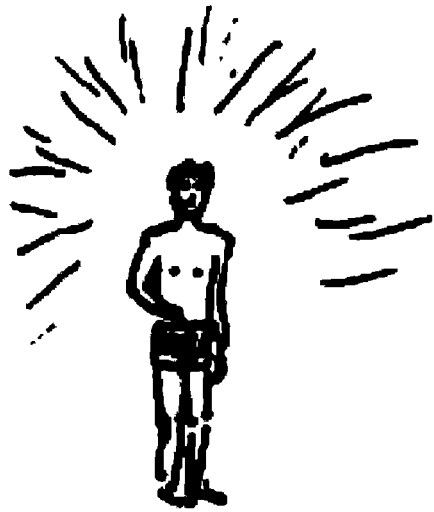

كيو - بي - هادئ ورابط الجأش رغم ذلك يعود إلى السياج، إلخ. رافعاً القصاصات، ومستأنفاً العمل. كل الأفكار للعِيِّنات حالكة الشَّعْر وحالكة البشرة، رامِد وأخيل وعبد الله والبقية تحت سقف ١١٨ شارع نورث تشرش وحتّى ڤيلڤت تونغ انزلقتْ بعيداً في تلك الثواني الخاطفة مثل الخراء في التواليت.

35

هذه الملْكية التي يعمل **كيو - بي - ناظرَ أملاكٍ** لها لماذا لا أكون كذلك طيلة حياتي، لو أردتُ ذلك؟

إنه منزل عائلة بي -، واسع بطرازه الڤيكتوري المهيب ذي الطوب الأحمر، الواقع على ١١٨ شارع نورث تشرش، ماونت ڤيرنون، ميتشيغان. لا أحد من آل بي - يسكن هنا الآن باستثناء **كيو - بي - ناظر الأملاك**.

إنه العمل الذي يلائمني. كما يقول السّيّد تي -، مسؤولية كهذه تليق برجل.

حدث بعد الحرب العالمية الثانية كما تقول جدّتي أن يونيڤيرسيتي هايتس بدأت تتغيّر. بدأ *الملوّنون* بالانتقال إليها *والبيضُ* بالانتقال خارجها بمعدّلات، يصعب التّحكّم فيها قاصدين تلك الضواحي مثل ديل سبرينغز. *آه، لن أسامح الألمان أبداً على تلك الحرب!* تقول جدّتي.

وُضع حجر أساس بيتنا عام ١٨٩٢ ولايزال وطيداً. ينقسم قبو بيتنا الذي رمّمه الجدّ بي - سنة ١٩٥٠ (كما قيلَ لي، لم أكن قد وُلدتُ حينها) إلى قسمَيْن: الجديد، والقديم. للجديد أرضية من الإسمنت المجبول، وجدران مدعّمة بالتلبيس الخفيف المضغوط. هنا فرن الغاز، سخّان الماء، علبة

الصمّامات، غسّالة، نشّافة، إلخ. طاولة شغل **ناظر الأملاك** وأدوات مثل المثقب الكهربائي والمنشار الكهربائي ماركة تشيروكي الذي تمّ شراؤه مؤخّراً. القسم القديم من القبو لم يُستخدَم من قبل. ليس بمثل مساحة الجديد، لكنه يبقى مُتَّسِعاً، تقريباً بطول وعرض المطبخ. أرضيّته من الحصى المرصوص بشدّة وعوارض السقف واطئة (تعلو عن الأرضية أقلّ من ستّ أقدام) متّسخة بشباك العناكب. الجدران غزاها النمل الأبيض، فأفسدها. باستثناء الرّشح، فإن الخزّان جافّ، بالطبع، لم يُستعمَل لأربعين عاماً. فاحت رائحة مجارٍ نفّاذة في الأشهر الماطرة، لكنني قمتُ بتركيب مضخّة ثانية. أقنعتُ أبي أنها كانت ضرورية للمحافظة على الملْكية، وهي كذلك.

لكي تتغلغل إلى عمق القبو القديم عليكَ أن تتحرّك ببطء واحتراس، منحنياً. يلزمكَ مصباح يدوي قويّ. تحتاج إلى عينَيْن ثاقبَتَيْن. يجب أن يكون بمقدوركَ حَبْس الأنفاس بشكل جزئي بسبب الرائحة. تحتاج إلى التّسلّح بإرادة، لا تُقهر بسهولة.

مضتْ أشهر إلى الآن، وتمَّ تقريباً تعديل الخزّان، وسيكون جاهزاً للاستعمال في القريب. رغم توقّعي بأنني سأشعر بشيء من الصعوبة في إدخال "طاولة العمليات" خاصّتي إليه - طاولة قابلة للطّيّ، ما يشبه منضدة، متجر المؤسّسة الخيرية الذي أتيتُ بخزانتي منه هو الخيار الأفضل.

خزانتي التي توجّب عليّ ذِكْرها في غرفتي. فُرِكتْ، ونُظِّفتْ، ورُشّتْ بـ سائل ليسول، لتُستعمل من أجل الثياب والأحذية وغيرها، بالإضافة إلى زجاجة الفورمالدِهايد التي تحتوي أثراً لحُسنِ الطالع من **بيغ غاي**، وقد غُلِّفتْ بورق الألمنيوم، ولُفَّتْ بشريط لاصق. أما المجلات والڤيديوهات والصور الفورية، إلخ. فأُبْقِيتْ على الدوام محفوظة.

القبو القديم والخزّان هما بالتأكيد المكانان المصيريان. قد يعيش **الزومبي** سليم البُنية لسنواتٍ عديدة هناك، فَمن سيدري بأمرِه؟ مَنْ سوى **كيو - بي -، ناظر الأملاك**؟ وإن أخفقتُ في **زومبيَّ** ستكون هناك الأرضية الترابية موضعاً آمناً وصحّيّاً للتّخلّص من البقايا. وهناك باب جديد بدل الباب القديم المتآكل، وفي الأسبوع الفائت، اشتريتُ قفلاً فولاذياً من أحد متاجر Sears لمزيد من الأمان.

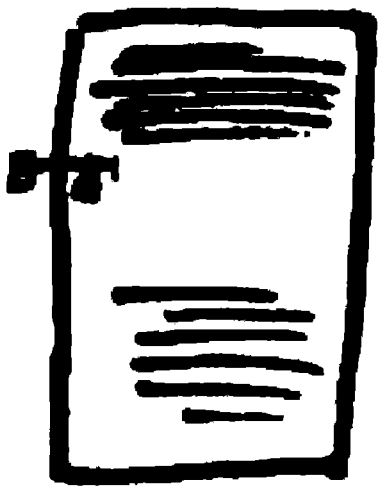

36

كيو-بي مهووس بـ سكْورِلْ

هذا ما كتبتُه بقلم تخطيط أحمر داخل مقصورة تواليت في Humpty Dumpty على شارع ليكفيو، دايل سبرينغز، حيث يعمل **سكورل** في تنظيف طاولات الطعام. فكرة تُطَيِّرُ العقلَ أن يستعمل **سكورل** التواليت، ويحتار في أمر تلك الكلمات دون أن يعلم مَن هو "**سكورل**" ناهيك عن "**كيو - بي -** "!

كم من أعين الغرباءَ ستَعلَقُ على "**كيو - بي - هائم بـ سكورل**!!!" دون أن يُدركوا ما تعنيه هذه الكلمات. يا لها من طاقة نارية تلك التي في أيري.

كان برنامج عمل مُنَظِّفِ الطاولات **سكورل** في هامبتي دامبتي (حسب ما استطعتُ أن أتوصّل إليه) هو الأربعاء - الخميس - الجمعة، من ١٢ ظهراً وحتّى ٦ مساءً. عملٌ صيفيّ كما أظنّ. ذات مساء، ركنتُ ڤاني في الباحة منتظراً **سكورل** الذي رأيتُه خارجاً من الباب الخلفيّ في الساعة ٦:٠٦ مساء، وكان هناك امرأة (لعلّها أمّه) في سيّارة ستايشن، تنتظر لكي تقلّه، لكنْ، في مرّات أخرى، ركبَ درّاجته (التي بقيت خلف المطعم مع اثنَتَيْنْ أو ثلاث من درّاجات الموظّفين، وكلّها مربوطة بالسلاسل، ومُقفلة) متّجهاً

إلى بيتِه في شارع سيدار، على بُعدِ ٢,٢ أميال. *لم يكن* **سكورل** يسكن قرب جدّتي، كما حَدَسْتُ بادئ الأمر، بل على الأغلب في ذلك البيت، يسبح في مسبحِ صديقه، ويستمع إلى موسيقا روك صاخبة، ويتحامق كما يفعل الأولاد المراهقون. (إنها بادرة خير، أن **سكورل** لم يكن جاراً يسكن قرب جدّتي. لأن الجيران هم أوّل الذين يُستَجوَبون من قِبَل الشرطة.) من السهل تَعَقُّبُ **سكورل** وهو على درّاجته في طريق عودته إلى البيت.

من السهل تعقّب أيّ امرئ تختاره إلى بيته. حتّى إنه ليس من الضرورة بمكان أن تكون **متخفّياً**.

عرفتُ اسمَ العائلة. واتّصلتُ مرّة أو اثنَتَيْن فقط، لكي أسمع الهاتف يرنّ في ذلك البيت. ردّ صوتٌ أنثويّ (أهي "أمّه"؟) وسألتُ عنه (باسمه الذي لا يناسبه، كما يجب) وتركتُ خبراً *أنا كيو - . سأتّصل به لاحقاً*. هناك، على الأقلّ، ولدان أصغر سنّاً في العائلة. والـ "ماما" والـ "بابا" في عمر يقارب الأربعين. الـ "ماما" مثل أيّ امرأة تسكن على شارعٍ مثل شارع سيدار، في دايل سبرينغز والـ "بابا" من نوع الموظّفين الإداريّين، يقود سيّارة بيويك ريڤيرا، ويحمل حقيبة يد. وبحكم ما استطعتُ أن أعلمه حتّى الآن، فإنّ **سكورل** طالب في ثانوية دايل سبرينغز، مدرسة **كيو - بي** - القديمة التي كان يمقتها، ويتمنّى لو أنها أُحرقتْ وسُوِّيتْ بالأرض. بكلّ مَن فيها.

العنوان هو ١٦٦ شارع سيدار، أما عنوان جدّتي، ف: ١٤٩ شارع آردِن. الشارعان متوازيان، وبيته بالمواصفات الكولونيالية نفسها يتوسّط أرضاً مشجّرة كبيتِ جدّتي. بيت عائلة **سكورل** كبير بعض الشيء، يحيطه سياج خشبيّ أبيض، وأشجار عملاقة - أهي الدردار؟ أم البلوط؟ - وبيت جدّتي أصغر، بواجهة جرئية من حجر المقالع. جاءت جدّتي لتسكن هنا منذ عشر

سنوات بعد موت جدّي. لتكون قريبة من من ابنها وكنّتِها. وفي اليوم التالي لليوم الذي أعدّتْ لي فيه شطائر التوت (كفطور متأخّر قبل أن أبدأ الشغل في الحديقة) خطر لي أن جدّتي سيّدة عجوز، ولن تعيش طويلاً. وبالتأكيد ستترك وراءها ملكية ما. هذا البيت، ومدّخراتها واستثماراتها، وثمّة هناك العقار المخصّص للتأجير في ١١٨ شارع نورث تشرش الذي أتساءل كم تبلغ قيمتُه؟ ٨٠٠٠٠؟ ١٠٠٠٠٠؟ بالمحصّلة، ستتركُ جدّتي ممتلكات كبيرة الحجم. لعلّها ستوصي بشيء منها لحفيدها، وربّما لحفيدتها؟ كان لديّ في الأشهر الأخيرة ما يبعث على الشعور بأنني كنتُ الأثيرَ لديها، بينما لم تعد جوني كذلك بالنسبة إليها. ولكنني قد أكون على خطأ - مع النساء، فمشاعرهن تجاه بعضهنّ عَصيّة عن أن تلمّ بها.

بالأحوال كلها، ستورّث الجدّة بي - ملكيةً ضخمة عندما تموت إلى السّيّد والسّيّدة آر - بي - ولن يعيشا للأبد بدورهما، هما الآخران.

بدا من المنطقيّ أن يرثَ **كيو - بي - ناظر الأملاك** البيت على نورث تشرش. لعلّ السّيّدة العجوز قد كوّنتْ فكرةً عن ذلك. *ليبقَ ذلك بينكَ وبيني، يا كوينتين. إنه سرّنا الصغير!*

تعتمدُ على رؤوس أصابعها، لتربّتَ على وجنتي. عجوز بدينة بعض الشيء، لكنها ضعيفة أيضاً. يقولون إنّ عظامهنّ هشّة، جوفُها متّسع وسهل القَصْم. عيناها باهتتان عديمتا اللون، لمحتُ فيهما على نحوٍ غريب صوراً مصغّرةً لـ "**كوينتيناتٍ**" عديدة، تنعكس فيهما! في الماضي أحببنكَ كأنّكَ وليدُهنّ، لحمهنّ الغريب وُلِدَ من أجسادهنّ، أو أجسادِ أولادهنّ، ستبقى أبداً الطفلَ الـ"**بيبي**" في نظرهنّ.

37

كانت الخطّةُ تترتّبُ مثل حلم بطيء، ولم أتعجّل في اتّخاذ الخطوات. رغم معرفتي بأن برنامج الصيفِ لدى **سكورل** سينتهي مع مجيء عيد العمل. فكم أسبوعاً قبلَه تبقّى أمام **كيو - بي** - ليحظى بغنيمته؟ - ربمّا قرابة الخمسة. وكان **سكورل** لا يعمل إلا ثلاثة أيّام في الأسبوع.

الآن في حرارة صيف ميتشيغان أُقْلعُ عن أدويتي بشكل نهائيّ، وأغدو أقلّ حياءً فيما يتعلّق **بالاتّصال البصريّ**، فأرى الأشياء التي لم تكن لِتُرى في الأحوال العادية. وقد غاصتْ عميقاً فيَّ، وأفرخَتْ. *الرجلُ المسؤولُ يصنعُ حظَّه الخاصّ*، كما قال أبي. مقتبساً العبارة عن أحد الفلاسفة العظماء.

منذ ذلك السبت حين كنتُ أتجسّسُ من خلال السياج الشجريّ على فريستي، أدركتُ بأنني سأحظى بـ **سكورل**. لم أشكّ للحظة. كان بإمكانه أن يُهيّجني ويهينني حين يغطس في حوض السباحة، مهلّلاً وضاحكاً وهو يجري والماء ينساب من سرواله الضّيّق، وفي هامبتي دامبتي، قد ينظرُ من خلالي كأنَّ امرءاً لامرئيّاً هو الجالس على المقعد، حيث جلستُ، لكن ذلك لن يُحبطَ ما أنا بصدد القيام به. كيو هو الشّظيّة من المُذنَّب الكبيرِ المُتفتِّت إلى كتَلٍ نارية، بسبب الانحراف الشديد باتّجاه جوبيتر وحقل

الجاذبية ذلك، ولسوف يتعارض مع هدفه وينفجر، وقد كان مُقَدَّراً أن يكون الأمر كذلك، وسيكون كذلك. منذ بدءِ الأزمان.

لكنْ: ستكون استراتيجيةُ **كيو - بي** - مختلفة ١٠٠٪ عمّا كانت عليه في الماضي. فنحن في دايل سبرينغز، وليس في مدينة داخلية، فليس هناك من امتدادٍ سَكَنيّ للطريق السريعة. إنه ولدٌ قوقازيّ أبيض من الطبقة فوق المتوسّطة، طفلٌ (كما عَدَّهُ والداه ربمّا)، وليس أسود أو خليطاً، والكثير من الناس يهتمّون لأمره، وسيُعْلَم بأمر فقدانه في الحال. وسيُخبرون الشرطة مذعورين. بكل تأكيد.

وذلك ما أثارني، أيضاً. من حيث إنه في الماضي لم يحدث على حدّ علمي أن أحد رجال الشرطة في أيّ مكان قد أُعلمَ باختفاء عَيِّنةٍ من عَيِّناتي، ناهيكَ عن البحث عنهم. وبذلك ستكون هذه المرّة مختلفة، وأظنّ بأنني سأكون في مستوى التّحدّي. بكلّ ضراوة الحاجة والجوع، يدخل **سكورل** حياتي كملاكٍ متألّق - إنه يستحقّ أن تموت لأجله، بكل تأكيد!

لأنه لا يلوحُ أن **سكورل** سيقود درّاجته دائماً في دايل سبرينغز، ولأن **كيو - بي** - لن يقود ثانَه في الجوار، ثمّة فرصة واحدٍ في المليون، **لكنني لا أستطيع الانتظارَ هذه المدّة كلها**، هل أستطيع! - لا بد من ابتداع استراتيجية أخرى. لن يصعد **سكورل** الثان بملء إرادته، يجب أن يُكْرَه **سكورل**، ويُؤْسَر، ويُرفَع إليه، وماذا عن درّاجته؟ - ربمّا. وذلك الأسْرُ ينبغي بكل تأكيد أن يتمَّ من دون شهود. الليل سيكون التوقيت الأفضل، لكنّ أمرَ المرابطة قرب بيته على شارع سيدار دون أن تعلم متى يعود، ودون أن تعلم إن كان بمفرده سيكون عسيراً. إذ إنّ الثانَ الرّمليّ اللون سوف يُلْحَظ. ففي دايل سبرينغز شرطة موثوقة، دوريات

محلّيّة. وأن تدخلَ بيتَ **سكورل** الفعليّ وخَطَرُ الإنذار من السّرقة واردٌ، إلخ. - *أيري في هذه الفكرة.*

اشتغلتُ في بيت جدّتي، ثمّ قدتُ ڤاني على شارع سيدار، تناولتُ وجبة في هامبتي دامبتي أكثر من مرّة، دون أن أستطيع إمساك نفسي عن البقاء بعيداً، وأطلتُ التفكير في **سكورل** في غيابه وحضوره. مُطيلاً التحديق في **سكورل**، وأنا أقولُ في سرّي *أحبّكَ، أريدكَ، ربّما أموتُ لأجلكَ، أنتَ شديد الروعة، فلماذا بحقّ الشراميط لا تعيرني انتباهاً؟ ولا تبتسمُ لي؟* ربمّا أهملتُ واجباتي في ١١٨ نورث تشرش، ولكنه الصيف وخمس من الغرف فقط مسكونة، وإذا لم أجرّ الزبالة إلى الرصيف هذا الأسبوع، فسأجرّها في الأسبوع القادم، بكل تأكيد. والتنظيف والصيانة تُنجزان حين الحاجة. وكذلك الرّشّ النظامي لمبيد الصراصير.

اتّصل أبي، وترك رسالة، وحسبتُ أنه يتذمّر كالعادة، لكنه بدل ذلك شَكَرَني **لِ كونكَ شديد اللطف مع جدّتكَ، يا كوين- تين!**

كان تناوُل الطعام في هامبتي دامبتي مجازفة كبيرة، لكنني لم أستطع الابتعاد. كنتُ أركن ڤانيَ في الباحة أحياناً، وأحياناً أخرى عبرَ الشارع، أو قريباً في باحة متجر أو عند الناصية، لكي أتجنّب الشبهات. لكن باحة المطعم كانت دائماً مزدحمة، باستثناء فترة ما بعد الظهيرة رغم أنني كنتُ أفضّلُ ما بعد الخامسة ب.ظ. عندما يكون هناك العديد من الزبائن من ضمنهم العائلات مع الفتيةِ، فيتضاءل احتمالُ أن يُلْحَظَ **كيو - بي**. وكنتُ أتسكّع حتّى السادسة ب.ظ. حين يبدّلُ حاملو الطلبيات ورديّاتهم، لأستطيع مراقبة مغادرة **سكورل** الفعلية، راكباً الدرّاجة باتّجاه المنزل. بوسعي أن أتذكّر الطريق التي سلكها.

أتتبّعهُ في ڤاني مع الاحتفاظ بمسافة آمنة. أو، أنعطفُ عند نهاية الكتلة السَّكَنية، لكي أركن، وأنتظره أن يمرّ بي دون أن يلحَظَني. الطريقة التي يقود بها **سكورل** درّاجته! - مسرعاً، ومَحنيّ الظهر، ودون تبديد لا طائل له للجهد. فطنٌ جدّاً وبارع وهو يشقّ طريقَه من خلال حركة المرور على بوليڤار ليكڤيو. والطريق المختصرة التي يتّخذها من شارع فرعيّ، ثمّ الزقاق وصولاً إلى مؤخّرة باحة الكنيسة. كانت قبّعة فريق تايغرز للبيسبول بالمقلوب على رأسه، وشَعْره الأشقر الضارب إلى البنّيّ الطويل بعض الشيء مربوطٌ عند مؤخّرة العنق بطريقة ذنب الخنزير، وكم لاحَ صبياً، لكنْ في الوقت نفسه رجلاً، رجلاً تقريباً، فمه الذي قد يفتر عن تكشيرة أو نخرة هزءٍ، عيناه اللتان يمكن أن تكونا حميمَتَيْن للغاية، أو حادَّتَيْن للغاية والطريقة التي يمسك بها مقبضي مقودِ الدرّاجة وبطّتا ساقيه، فخذاه وانحناء عموده الفقريّ كم بدا عمودُه الفقريّ مرناً - هذا الصبيّ الذي سلبني أنفاسي سيكون **الزومبي** خاصّتي!

ثمّ ها أنا أراقب **سكورل** في هامبتي دامبتي يحمل صينيةَ صحون متّسخة، إلخ. على كتفه. وعضلاتُه الفتية ترتعش بشكل واضح، وربطة الشَّعْر الشبيهة بذيل الخنزير على مؤخّرة عنقه -

وبمنتهى الإثارة، كان عليَّ أن أترك وجبة هامبرغر هامبتي دامبتي الخاصّة، وأمشي مترنّحاً إلى مرحاض الرجال، وأُفرغ أيري في إحدى مقصورات التواليت، وأنا أئنّ وأنشج. ***الزومبيّ الحقيقيّ*** *سيكون لي أبدَ الدهر.* ***سيركع أمامي قائلاً أحبّكَ، أيّها المعلّم، ليس إلاّكَ، أيّها المعلّم. نكني في الطّيز، أيّها المعلّم حتّى أنزف أمعاءً زرقاء.*** وأمسحُ المنيَّ اللزج بحشوات من المحارم، وأعود بها إلى الطاولة، حيث سأُبقيها ملفوفةً بمنديل، من أجل **سكورل**، لكي يلمّها دون أن يعرف.

يا زومبيَّ

لم أكن جائعاً جدّاً (كنتُ قد أكلتُ في بيت جدّتي) رغم ذلك التهمتُ شطيرتيّ تكس - مِكس، وبرغر بالجبن الذائب، وبصلاً، وورقة صلصة ساخنة وكمّيّة مُضاعفة من بطاطا هامبتي دامبتي المقلية الدسمة المغطّسة بالملح. وعبوتيَ كوكاكولا كبيرَتَيْن، وأكثر من كوب قهوة سوداء لنيل أكبر قدر ممكن من الكافيين. ومنشطات جنسيّة تعاطيتُها هذا الصباح. أنا مُصاب بالدوار والارتعاش بسبب الاستمناء القاسي، ورؤياي غائمة عاجزة عن التركيز والنّادلة التي تلوك العلكة، سألتني شيئاً ما - *ياسيّد*؟ لم يبدُ عليّ أني سمعتُ، ورفعتُ كتفَيَّ، وسرتُ متّئداً. لكنْ، أين تراه **سكورل**؟ لم أرَ **سكورل**! قصفٌ في أذنيّ وموسيقى روكْ زعقت من الأعلى، وأصوات أولاد، وضحك يتردّد صداه، كأنه داخل جمجمتي. ثمّ ظهرَ **سكورل**، وكان يساعد ساعياً آخر في تنظيف طاولة، بدتْ كأنما بضعة خنازير، كانوا يأكلون عليها، يفركها بالإسفنجة، ويلقي المناديل، أكواب الستايروفوم، إلخ. في سلّة بلاستيكية. الساعي الآخر كان في عمر **سكورل**، وكلاهما صديقان، كلاهما يبتسم. (لو شاهدا **كيو - بي**

- يراقبهما، كيف ستكون ردّة فعلهما؟) **سكورل** لمّاح وجذّاب، ويفهمها بالتأكيد. مفتول العضلات أكثر من صديقه، أيضاً. بشرته عند الفَكَّيْن شاحبة بعض الشيء، ولديه عادة تكشير وتدوير عينَيْه، تلك النظرة الساخرة التي تراها عند الأولاد في تلك السّنّ. بعض أصدقائه يأتون المطعم، وثمّة مزحة بارعة تُلقى هنا، وشتائم متبادلة هناك. *لماذا لم يحظ* **كيو - بي** *- بأصدقاء كهؤلاء، فتية يأنسون لي، فتية مثل الأخوة، التوائم؟* والآن حين تقع أنظارهم عليّ تلتمع أعينهم باللامبالاة تجاهي. مصّاصو الأير الصّغارُ لا ينظرون إليَّ على الإطلاق.

كانت يدي ترتجف! - أوقعتُ شوكتي، وقعقعتْ على الأرض، بينما كان **سكورل** يمرّ قربي. **سكورل** السّريع اللطيف أحضر لي شوكة نظيفة، حتّى إني لم أحتَجْ أن أطلبها. هذه شوكتكَ، *يا سيّد!* مع ابتسامة. وقلتُ أوكي، *شكراً*، ورغم أني ارتفعتُ بعينَيّ نحو عينَيْه إلا أنه لم يحصل اتّصال بصريّ، فقد تحرّك **سكورل** في اللحظة ذاتها. رغم ذلك، ألقيتُ لمحة خاطفة كاملة لعينَيْه الخضراوَيْن الصافيَتَيْن. لم أرَ عينَيْن مثلهما أبداً. إنه **زومبيّ**.

قطعاً لم ينتبه إليّ، أظنُّ. هذا رائع. لا يرون الناس الذين في مثل عمري، هذا رائع. لقد جُرِحتُ بالتأكيد، انزعجتُ، و *سيدفع المنيوك الصغير ثمن ذلك ذات يوم ليس ببعيد*، لكن كان ذلك رائعاً. **كيو - بي** - الرجلُ اللامرئيّ.

الملابس التي كنتُ أرتديها: شورت خاكي وقميص داخليّ ملطّخ (بمقاس كبير، لكي يغطّي أسفل بطني)، ونظّارتاي، وصندل بالٍ. ولأنني كنتُ أشتغل عند جدّتي في ذلك الحين، فقد وضعتُ عصابة رأس

حمراء حول رأسي مثل شخص أسود فاسد، كنتُ قد تعرَّقتُ عليها في الحَرّ. رائحة نفّاذة انبعثت منّي، كما أعتقد، لم يكن لديّ متّسع من الوقت، لكي أستحمّ، كما اقترحتْ جدّتي.

كانت **الوحمة** على خدّي الأيسر هي مصدر ارتباكي في ذلك اليوم. قد نُقشتْ بعصير التّوت وقلم التخطيط الأحمر. ما يشبه النجمة، بحجم قطعة العشرة سنتات. لكي تسرق التركيز عمّا لا أريدُ أن يُنتَبَه إليه.

صورة الوحمة (بالحجم الحقيقي)

أحضرت لي النادلة فاتورتي، كانت $١٦,٩٥ وتركتُ $٥ كإكرامية. قلتُ للنادلة: "تأكّدي من أن السّاعي سيحصل على جزء منها."

"عفواً؟"

"السّاعي. ذلك الصبي هناك، ذو ربطة شَعْرِ الخنزير. سأترك هذه الدولارات الخمسة كإكرامية، وأريده أن يحصلَ على حصّته."

أبطأت النادلة من مضغ علكتها، وحدّقت بي، وطرَفتْ عينُها، وتلوّنت قليلاً كأنها، بالتأكيد، قد قُبِضَ عليها متلبّسة بالسرقة. كانت "الكسُّ(*)"

(*) Cunt

تخطّط لدسّ الدولارات الخمسة في جيبها. ثمّ تقول، "نحن جميعاً نتشارك إكرامياتنا هنا، يا سيّد. إنه المتّفق عليه."

"أوكي. أنا أستفسِرُ، لا أكثر."

"إنه المتّفقُ عليه في هامبتي دامبتي، يا سيّد. نحن جميعاً نقتسم الإكراميات."

"أوكي،" قلتُ، وأنا أنسحب خارجاً من مقعد الطاولة، على قَدَمَيّ المتعثِّرَتَيْن والنظّارتان تنزلقان عن أنفي،

"هذا جيّد. هذا رائع."

لو أنّ **سكورل** كان يراقب، وينظر وراء **كيو - بي** - مغادراً ورأسه مرفوعة، مجرّد التخمين هو ما استطعتُه.

38

كيو - بي - يعيش حالة انتصاب دائم.

كثير من الغرابة تُمْطِرُ رأسي هذا الصّيف! - كمثل الـ ٢١ "لؤلؤةً مشعّةً" التابعة للنيزك وهي **تنفجر** في رأسي الواحدة تلو الأخرى! واحتمال الأكثر، **والأكثر!**

وكنتُ أُبصرُ **بأعين جديدة**، ولم أحتجْ لأكثر من ساعاتِ نومٍ قليلة، حفلت بالخطط، وذلك النشاط البدنيّ والشهية والأمل أن أصيد الطريدة، **وزومبيَّ** بانتظاري في خزّان بيت جدّي القديم!

حتّى إن الدكتور إي - الذي طالما تثاءب خلال الخمسين دقيقة التي قضاها معنا، وأزاح نظّارَتَيْه، ليفرك عينَيْه اللتَيْن لهما لون البول لحظَ ذلك. متحدّثاً عن *ارتياح* صحّيّ على بشرتي، واستفسر كيف تجري الأمور في حياتي؟ وقلتُ إن الأمور تجري على أحسن مايرام، يا دكتور، وأنا أبتسم بحياء، لكنني كنتُ أعني ما قلتُ، دون أكل خراء، وأنا فخور، ثمّ استفسر الدكتور إي - عمّا إذا كنتُ أتناول أدويتي بانتظام، مع الوجبات ثلاث مرّات في اليوم؟ وقلتُ نعم، يا دكتور، وبعدها سأل إذا كنتُ قد حلمتُ؟ أو تذكّرتُ أيّة أحلام؟ قلتُ نعم، يا دكتور حينها تطلّع إليّ وهو يرمش بعينَيْه، وكأنني كنتُ كلباً قد انتصب على قائمَتَيْه الخلفيّتَيْن، ويتحدّث الإنكليزية.

"*أنتَ*، يا كوينتين؟ *أنتَ* رأيتَ حلماً؟"

"نعم، يا دكتور."

"عمَّ كان؟"

"صيصان."

"عفواً؟"

"صيصان. فراخ الدجاج."

ثمّ ساد صمت، وركّزَ الدكتور إي - نظارَتَيْه على عَظْم أنفه، وواصل النظر إليّ. بهاتَيْن العينَيْن البوليَّتَيْن والمستغرِبَتَيْن، للمرّة الأولى خلال ستّة عشر شهراً. "حسناً - ما الذي حلمتَه عن فراخ الدجاج، يا كوينتين."

"لا أدري،" قلتُ، وهذا صحيح، في تلك اللحظة، " - إن الصّيصان كانت هناك وحسب."

بعد هنيهات، يغمرني شعور بأنني في أحسن حال، كدتُ - أقولُ كدتُ! - أن أقول للدكتور إي - إني لم أعدْ أحتاجه، وبوسعه أن يحشو طيزَه بوصفاته الخرائية.

ولاحقاً في اليوم نفسه الذي كان الثلاثاء، ولن يعمل فيه **سكورل** في هامبتي دامبتي، وكان يوماً حارّاً مُمطراً، لذلك لن يأتي إلى مسبح صديقه في البيت المجاور لبيت جدّتي، كنتُ أسير بسرعة في الحَرَم الجامعيّ متّخذاً طريقاً إجبارياً بديلاً، كما يحصلُ دائماً في محيط إيراسموس هول، وكنت أرتدي الشورت الخاكي وتي - شيرتاً فضفاضاً، يحمل شعار جامعة

ماونت ڤيرنون، وكذلك نظّارتيّ الشمسيَّتَيْن، ولاحقتني بعض الأعين الهارئة، فيما أظنّ، وأنجزتُ الموافقة على تسجيلي. كانت الدراسة الصيفية قد بدأت، والصِّبية يرتدون ملابس تشبه ملابسي. ما عدا، بالتأكيد، الأساتذة الضرطات العجائز الذين تقابلهم في الحَرَم وهم يتفرّسون فيكَ، وكأنكَ طارئ أو نازيّ. أو ربمّا أسوأ. غير أنني كنتُ أحسّ بنشوة بعد **حلم الصيصان** في الليلة الفائتة، وفي حيرة ممّا يعنيه، وأنا على ثقة بأن الإجابة ستأتي، وبأقصى سرعة.

وفي داروين هول التي لم أطأها منذ سنوات وسنوات، أرتقي الأدراج إلى الطبقة الثالثة، كأنني كنتُ أعرف إلى أين أتّجه. بحثتُ بفضول في قاعة محاضرات كبيرة، ولم تكن المنشودة. بحثتُ بفضول في مكتب قسم البيولوجيا، ولم يكن المنشود. بحثتُ بفضول في مختبر، تصدر منه رائحة نفّاذة، كانت كفيلة بأن تُخرّشَ عينَيّ، وكان ذلك المنشود. حيث رأيتُ منذ سنواتٍ خلتْ أقفاصاً فوق بعضها لقطط، أرانب، قِرَدةٍ بأقطابٍ كهربائية، تخرج من جماجمها. بعضها لا تتحرّك داخل أقفاصها، وبعضها تدورُ، وتتلوّى. بعضها أعمى رغم أن أعينها كانت تلمع. وكلّها لم تكن تبدر أدنى صوت رغم أن أفواهها مفتوحة، وتُصدِر صرخاتٍ مكتومةً، بعثت اهتزازاتٍ في الجوّ، لم تكن لِتُسمَع رغم ذلك. لا بدّ أن أبي هو الذي جاء بي؟ - أو أني تُهتُ من أبي في مكان آخر، ودفعتْني الرائحة إلى المختبر الذي عُلِّقتْ لافتةُ **فقط للطاقم المخوَّل: قسم البيولوجيا**. حتّى ذلك اليوم كان مجرّد مختبر، غرفة طويلة مجهّزة بمغاسل ومناضد وأدوات، إلخ. وجدار الأقفاص قد أُزيل. وأنثى شابّة ذات مظهر آسيوي طالبة دراسات عليا، كانت وحدها في الغرفة، رمشتْ نحوي بعينَيْها كأنما كانت خائفة منّي بعض الشيء، ممّا أزعج **كيو - بي** -، فهذا هو النوع الوحيد من الإناث الذي يمكن أن

تثق به. هكذا أسألها أين الحيوانات؟ وتُجيب أيّة حيوانات؟ وأقول كان هناك فيما مضى قطط، أرانب، وقرود في المختبر، وكنتم تُجرون التجارب عليها، وقالت متى كان ذلك؟ قلتُ منذ سنوات، وقالت إنها هنا منذ سَنَتَيْن، ولا تدري عن الأمر شيئاً، وإن الأشياء قد تغيّرتِ الآن في القسم. وكانت قد بدأت بالتراجع إلى الوراء، ورأيتُ أنها تتقهقر، لتلتصق بشاشة كمبيوتر كبيرة فوق الطاولة، وقد فَعَلَتْ، ولم تستطع التراجع أبعد من ذلك، لذلك قلتُ في نفسي **لا: لا تُنَبِّه الكسَّ**، ولم أمضِ قدماً أكثر من ذلك، بل عدّلتُ النبرة قدر الإمكان، أنا بارع حين أوضَع على المحكّ، ويتحسّن أدائي كلّ يوم. أسألها هل هي طالبة دراسات عليا في البيولوجيا؟ وتُجيب بأنها متخصّصة بالدراسات البيوجينية، وتقوم ببحثٍ لنيل الدكتوراه. وأقول إني طالب دراسات عليا في الفيزياء، أقوم ببحثٍ لدرجة الدكتوراه، أنا مساعد البروفيسور آر - بي -. تنظرُ إليّ بوجهها المسطّح وعينَيْها المائلَتَيْن السوداوَيْن، وألمح أنها لاتعرف مَنْ يكون الملعون آر - بي -! وهي المسخرة. المسخرة بعينها. فإيراسموس هول في الطرف الآخر. لذلك تضيق أنفاسي، وأُرسل يَدِي في شَعْري الدهنيّ والشبيه بالرّيش، لكنْ، دون أن أتوغل أكثر في الحديث. وأستطرد:

"أين تقع الحبال الصوتية بالضبط؟"

"عفواً؟"

"الحبال الصوتية. أين الحبال الصوتية بالضبط؟"

"الحبال الصوتية؟ كالتي— في حَنْجَرَتِكَ؟"

"الحبال الصوتية البشرية، لكنني أتحدّث عن الحيوانات،" أقولُ. أتحدّث

بهدوء، بمنطقية. مايجعلكَ تدرك أنني عالِم من خلال سلوكي. "الحبال الصوتية لحيوانات الاختبار مقطوعة، أليست مقطوعة؟ كيف يتمّ ذلك؟"

ومن جديد، تنظر إلي بنوع من الخشية والتردّد. تقول، "لا أقوم بهذا النوع من الأبحاث."

وأقول، "لا أقوم بذلك أنا أيضاً، أنا دكتور في الفيزياء، كما أسلفتُ. لكنْ، كيف يتمّ ذلك؟ أهو سهل، أمْ مُربِك؟"

وتهزّ ذات الوجه المسطّح رأسَها، وكأنها لا تفهم. وأنا أغدو أكثر انزعاجاً، لكنْ، دون أن أُبديه. أقول، "أوكي، أين حبالُكِ الصوتية بالضّبط؟"

وتضع ذات الوجه المسطّح أصابعها على حَنْجَرَتها كأنها تتأكّد من أنّ لديها حبال صوتية. "يمكنكَ أن تشعر بها،" تقول. "إنها تُصدِر اهتزازاً إذ تلمسها، وأنتَ تتكلّم."

39

المادّة القابلة للقياس الكَمّيّ وغير القابلة للقياس الكَمّيّ!

لأمدٍ طويل، كم من السنوات المنيوكة في حياة **كيو - بي** - بدتْ شبيهة ربمّا بالاختبار العلميّ، كأنها كانت مبدأ الانزياح ذات الشمال وذات اليمين على سبيل المثال، بضعة بوصاتٍ وليس أكثر. أو تغدو أكثر تطاوُلاً. والكون بأكمله سيُعيد التعديل. والآخرون قد وُلدوا مزوَّدين برادار لأجل هذا، لكن **كيو - بي** - ليس كذلك. المبدأ (رغم أنه ليس مُفَصَّلاً في الوقت الراهن، لكونه حديث النشأة) في الاندساس خلف الصِّبية في طابور المقصف، بروس وأصدقائه. أو دخول حمّامات المدرسة الثانوية في اللحظة المناسبة، بالخطوة المناسبة وزاوية الرأس والأكتاف. والبارحة تمّ شراء ثلاث دزّينات صيصان من سوق المزارعين هذا في لودينغتون، من أجل أمرٍ، *لم يقم به* **كيو - بي** - *من قبل في حياته، وأن يقوم به مرّة، فهذا يعني أنه شخص* متجدّد. أو، تلك الأشهر في جامعة شرق ميتشيغان، حيث جهدَ **كيو - بي** - **لإعادة بناء نفسي** بشراء الملابس والأحذية التي لا تلائم ذوقي، بل ذوق الآخرين، الذين تمَّ رصدُهم عن قُرب، والاستحمام مرَّتَيْن في اليوم (لفترة، إلى أن بدأت بشرتي تتقشّر مثل الحراشف) وحتّى فرض خطّ يدٍ جديد وتوقيع جديد استغرق أسابيع عديدة حتّى تكرّس. لكنه تكرّس في النهاية.

يتناوب البعضُ شمالاً، أو يميناً، أو إلى الأعلى، أو الأسفل، أو في السّمنة والنحافة، أو الرّهافة. بعض تعديل في انقباض الجِلْد، أو النّمش. أو أن تكفَّ نبرة الصوت الرجولي عن أن تكون خارجة من القصبات أو الأنف. الأشياء التي ألزمَ **كيو - بي** - نفسَه بأن **يُلفِّقها** على سبيل المثال! لكن ما بدا سهلاً جدّاً كان في الواقع في غاية الصعوبة.

لو كان لكَ قلب، فهكذا سيتفتّت.

ذلك اليوم حين كنتُ أُقلُّ أمّي وجدّتي إلى مأوى العجزة في هولاند، متشيغان، الرعوية المشيخية، حيث زارتا قريبةً عجوزاً متغضّنة، وقدّمتا لها إصّيص أزهار مصبوغة بالأزرق، وتجولتُ حينها في الرّدهة، ثمّ في الخارج في باحة ركْن السّيّارات، وهناك كانت امرأة على كرسيّ العجلات، وأفراد عائلتها بدؤوا ينظرون إليّ، وفي النهاية يقول أحدهم، شابٌّ، لكن صوته متهدّج، *لا تؤاخذني؟ هل يمكن أن تكفَّ عن تحديقكَ في والدتي؟* وفي اليوم نفسه في الحَرَم الجامعيّ، وكنتُ مشحوناً للغاية، إذ أرى **سكورل - سكورل - سكورل** في أيّ صبيّ ذي طولٍ وهيئة محدَّدَتَيْن، وكان أيري منتصباً مثل الهراوة، وشَعْري مثل الريش، وكان عليّ أن أجدَ حمّامَ الرجال، لكي أُفرغه قبل أن **ينفجرَ**. وها أنا أدفع وأدخل بعض الأبواب، وثمّة منصّة مضاءة، وبعض الشّبّان والفتيات في سراويل ملتصقة بالسيقان، أو ما يشبهها، يتدرّبون على نوع من الرقص على إيقاع الطبول والأبواق، وكانوا

مستغرقين في رقصهم حتّى إنهم لم يلحظوا عينَي **كيو - بي** - تتوهّجان تجاههم من وسط الظلال. وأخيراً تُقبلُ إحداهنّ نحوي، كسٌّ جامعيّ، أو ما يشبهه، أنثى بنظّارَتَيْن سميكَتَيْن، وتسألُ مَنْ أنتَ مِن فضلكَ؟ وأجيبُ وكأنّها الإجابة الطبيعية لسؤالٍ، يُوجّهه ثقبُ طيز، *أنا الحضورُ يقف هنا في هذه المرحلة من الزمان والحيّز - ومَنْ غيري؟*

وتلك الليلة، كنت في ڤاني الفورد الرملي موديل ١٩٨٧ بعَلَمه الأميركي الذي يغطّي نافذته الخلفية، أقودُ على شارع سيدار، دايل سبرينغز، وقد ركنتُ في الظلّ، وبمنظاري المقرّب الذي طُوِّع على اختراق أكثر النوافذ عتمةً وظلاً، قلتُ في سرّي، *إذا كان هذا المكان هو الذي انوجدتُ فيه*، فهذا ما *أنا* عليه. وهكذا كان.

40

كيف تكون معالجة الأشياء. في ٢٨ تمّوز، اتّصلتُ بمحامي أبي الذي أُوكِلَ لصالحي في السنة الفائتة، لم يحصل أي اتّصال منذ ذلك اليوم الذي خرجنا فيه من محكمة القاضي آل -. قائلاً بصوت متعجّل من فضلكَ، لا *تقلْ لأبي، أنا خائف نوعاً ما، فرجال الشرطة يتتبّعونني، يضايقونني، ليس بالتّصرّفات الفعلية، وليس بالكلام، بل تجوب سيّاراتهم بالجملة ليلاً نهاراً شارع نورث تشرش. ولديّ أسبابي التي تجعلني أظنّ أنهم استجوبوا بعض نزلاء هذا البيت. وإذا انتقلَ النزلاء من البيت*، وهنا كان صوتي يزداد ارتفاعاً، وأنا ألهثُ، *وجرّدني أبي من شغل ناظر الأملاك* - **ماذا سأفعل؟**

ابتعتُ طاولة أخرى مستعملة قابلة للطّيّ. ليس من مركز الإغاثة في مركز المدينة، بل من سوق مفروشات في غراند رابيدز. أعانني الرجل في نقلها وتحميلها إلى مؤخّرة الڤان. *ألا تريدُ الكراسي؟* - *معها أربع كراسٍ.* وأجيبه، *كراسٍ؟ لماذا؟*

اشتريتُ قفّازاتٍ مطّاطية من النوع المنزليّ العادي, النوع الذي يستعملونه في أثناء جَلي الأطباق. اشتريتُ لفّةً من الشاش من الصيدلية. لكي أُحضِّرَ كمّامة جراحية.

أطعمتُ وسقيتُ الصيصان. وثلاثة صناديق كرتونية تحوي ثقوباً للهواء. وقمتُ بتمديد وصلةٍ سلْكية إلى القبو القديم، وهو جاهز للتشغيل. نصحني المُزارعُ أن أُبقيَ **الصيصان** مُدَفَّأةً بمصابيحَ ذات ٥٠ واط، يوضَع واحدٌ منها في كل صندوق. **تُرَفْرِقُ وتُرَفْرِقُ وتُرَفْرِقُ**. مناقيرها دقيقة، وأقدامها ذات مخالب، وريشها زغبٌ أصفر، يبدو كأنه مصبوغ. لا تخطر على بالِكَ صيصان الفصح التي فقست في هذا الوقت من العام.

41

الأسبوع الأخير من تموز. قوّة إرادتي تتمثّلُ في أن أنأى عن هامبتي دامبتي أيّام الأربعاء والخميس. لكنْ، هنا المشكلة، الجمعة **وسكورل** ليس في المبنى، بحيث يمكن أن أراه. و أكاد أُخوزق. من مقعدي في الركن الأقصى قرب أبواب المطبخ الدّوّارة. وأضع على رأسي قبّعة فريق التايغرز بالمقلوب، ونظّارات شمسية سوداء فوق نظّارَتَيَ الطّبّيَّتَيْن، وهناك وحمتي الملطّخة بالتّوت، **وسكورل ليس هنا**. هل ترك العمل؟ هل ذهب؟ كيف يمكنني أن أتواصل معه من جديد؟ آه، يا يسوع. آه، يا إلهي، إن كنتَ موجوداً، مُدَّ لي يد العون الآن!

ثمّ تنفتح أبواب المطبخ الدوّارة مع هبّةِ حرارةٍ وهواء مشبع بالرائحة - **وها هو سكورل!**

الوقت ٥:٠٧ ب.ظ، تاريخ ٢٩ تموز.

أخفضتُ عينَيّ المتوثِّبَتَيْن إلى طبق دجاج الهامبتي دامبتي المقليّ والبطاطا المقلية وسلطة الكرنب منزلية الصنع، لكنني لاحقتُ **سكورل** بطرف عيني، حيث يزيح الأطباق الوسخة وغيرها عن الطاولات. رشح عَرَقٍ يلتمع على شَفَته العليا. *لو أنكَ تتطلّع إليّ، لو أنكَ تبتسم. ولو لمرّة واحدة!*

لكنه مثل باري لا يراني. مثل بروس، لا يراني. وهناك الفتيات الثلاث اللواتي يلبسنَ السراويل القصيرة والصدريات، ويرخين ستائر من شَعْر لامع على أحد المقاعد. وها هو **سكورل** المحبّب صديقهنّ. ويحمرّ خجلاً لدى إدراكه أنه يرتدي مئزره الملطّخ. نعم، لكنه يحبّه - بكل تأكيد. **زومبيَّ** يختال مثل أيرٍ متباهٍ أمام أكساسٍ كهذه! وابتسامة جانبية تجاههنّ، تُظهرُ أسنانَه اللامعة، وغمزة على خدّه الأيمن، لم ألمحها من قبل، وأبتلع ملء الفم غضروفاً، وكدتُ أغصّ، بينما الأكساس الصغيرات يهتززنَ، ويُقهقهنَ معاً، وكأنّ ثلاثتهنّ تأتيهنّ الرعشة في الوقت نفسه، وهنّ يتلوينَ بأطيازهنّ على المقعد البلاستيكي. **وسكورل** يختال في أثناء عبوره حاملاً صينية صحونٍ كبيرةً على كتفه، وهو سيّدهم.

زومبيَّ يخونني على الملأ.

في تمام الساعة ٥:٥٨ ب.ظ غادر **كيو - بي** - هامبتي دامبتي، واجتاز الشارع إلى حيث ركن الڤان بطريقة لا تبدو للعيان وراء متجر ليكڤيو، المزدحم في مساء الجمعة. وفي الڤان، أُديرُ المحرّك لدقيقة، ثمّ أتّجه مُبطئاً السّرعة باتّجاه زحمة المرور، وهناك يدلف **سكورل** على درّاجته باتّجاه الشرق على امتداد ليكڤيو. وأتبعه على خطّ المرور الأيمن محتفظاً بمسافة أمان متمهّلاً كأنني أبحث عن موضع للركن. ألحظ كيف ينعطف كالعادة جنوباً في شارع لوكَسْت الجانبيّ الضّيّق، ولا أتبعه حيث ينعطف إلى زقاق ذي اتّجاه واحد (موازٍ لـ ليكڤيو، على امتداد كتلة سَكَنية)، ويتقدم شرقاً نحو مؤخّرة كنيسة سانت إيغنس للروم الكاثوليك عابراً نقطة **الموقع زيرو** (حيث سيُركن الڤان حين الاختطاف). بدلاً من ذلك، أزيد سرعتي، وعند شارع بيرل أنعطف إلى اليمين، أي جنوباً، وأعبر الكنيسة والمقبرة

المحاذية، وهناك من خلال مرآتي الكاشفة للمؤخّرة بعد دقيقة أو نحوها، يلوْح **سكورل** مرّة أخرى وهو يقود درّاجته متغافلاً! كأنه في فيلم، ولا يعرف أنه فيه. لكنني أعرف. وأركن قرب الرصيف، وأدعه يعبرني. ساقاه القويّتان تضغطان على مداسيّ الدرّاجة، وظهرُه النحيل منحنٍ كأنه في نشوة! وأتبعه ببطء وعبر آردِنْ (حيث تسكن جدّتي على بُعد بناء واحد، إلى الشرق)، وبعد شارعَيْن باتّجاه سيدار (حيث يسكن **سكورل** عند منتصف البناء الثاني، شرقاً) ينعطف **سكورل** إلى سيدار، وأتابع طريقي جنوباً على شارع بيرل. *فقط بينكَ وبيني، يكمن سرّنا الصغير.*

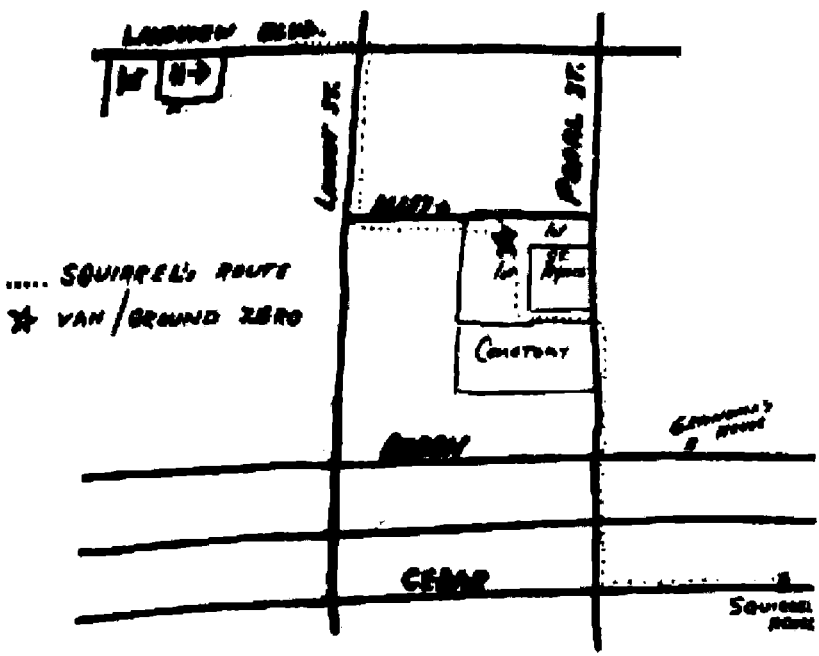

42

إنه شرطٌ مُلزِم، من قسم السجون في متشيغان، أن يأتي ضابط مراقبة السلوك لـ "يفتّش" مقرّ سَكَنكَ كلّ بضعة أسابيع، أو ربمّا أشهر. كان على السّيّد تي - الذي أجهدَه العمل الطويل (كما تذمّر) أن يُرجِئَ زيارته لمسكن **كيو - بي** - لكنه جاء أخيراً إلى ١١٨ شارع نورث تشرش يوم الثلاثاء في اليوم الثاني من شهر آب. **كيو - بي** - الذي أقرَّ بذنبه بـ "جنحة جنسية، ارتُكِبتْ بحقّ قاصر" في سنته الثانية من مراقبة السلوك وسجلّه الوظيفيّ، سلوكه وملفّه الطّبّيّ "قدوة". لدى السّيّد تي - عشر دقائق فقط، كما أوضحَ، وبدا مُكدَّراً، تحدّث من هاتف سيّارته لدقائق قبل أن يرتقي الأدراج، و *مرحّباً، يا كوينتين!* صافحَني بطريقته السريعة اللادغة وكأنه مُتبرِّئٌ من يده ووساختكَ أنتَ. رافعاً ناظرَيْه من وراء نظّارَتَيْه المزدوجَتَيْن مُبدِياً إعجابه الواضح ببيت عائلة بي - الذي يقع قرب يونيڤيرسيتي هايتس. السّيّد تي - هو خرّيج جامعة غربيّ متشيغان الحكومية في كالامازو.

فتحتُ الباب، وتقدّمني السّيّد تي - إلى الداخل قائلاً بصوت مرتفع كأنه يتحدّث إلى معتوه، *إذاً أنتَ المسؤول عن هذا كله، إه؟ يليق بكَ، يا كوين. تين.* أتحتُ له رؤية الردهة، حيث كان هناك الصوفا والكراسي والتلفاز لخدمة الساكنين. عرضتُ عليه المطبخ، حيث للساكنين "حقّ

الانتفاع". كنتُ قد غسلتُ الأطباق، بل لمّعْتُ المجلى، وكان هناك رائحة مبيد الحشرات الكريهة، لكنْ، ليس هناك ما يشير إلى وجود الصراصير. لم أفتح أبواب الخزائن، حيث حُشرت أشياء كثيرة في الداخل. فتحتُ الثلاجة كأنني أردتُ شيئاً من داخلها، وربّما تنهّد السّيّد تي - زافراً الهواء عبر أسنانه. *عظيم بمعنى الكلمة، يا كوين. تين. إذاً*، أين مكان سَكَنكَ أنتَ؟ عرضتُ عليه غرفتي في المؤخّرة. **كيو - بي - ناظر الأملاك** مكتوبة بالحبر الأسود على بطاقة بيضاء لصق الباب. كان مُكَيِّفُ النافذة يجلجل، وفتحة التهوية من دون غطاء، وأظنّ أن الغرفة لم تكن تُصدر ما يمكن أن تُصدره من رائحة نفّاذة (كانت خياشيمي معتادة على كل شيء، ولا يمكن الركون لهذه الحالة) من جواربي التي جفّ عليها العَرَقُ والملابس الداخلية التي يجب أن تُغسل، والمناشف المبلّلة وغيرها. وسخ مغسلة الحمّام الرماديّ والتواليت ومقصورة الاستحمام. لكن السرير كان قد سُوّيَ باعتناء والغطاء (الذي اشترته أمّي) الأزرق البحريّ المزركش بسفنٍ دقيقة ومراسٍ وأسماك طائرة رسمت على الوسادة الملقاة بوضعية مستقيمة. النافذة الوحيدة يجب أن تُنظَّف منَ الخارج، ولدى الإطلالة منها إلى الخارج، ستلمّح أنني لم أجزّ عشب الحديقة الخلفية لأسابيع خلتْ، بسبب الشغل المتواصل في منزل جدّتي. لكن السّيّد تي - لم ينتبه إليها إلا بشكل عابر. ولا إلى الأحجار الـ ١٢ على سطح مكيِّفِ التبريد. فتحتُ باب خزانتي طوعياً، وهناك على علاّقات الثياب، كانت - لوهلةٍ غريبةٍ رأيتُ **زومبيّاتي** المُخفقين! - ملابسي، التي لم تكن رجالية بقدر ما هي مزخرفة ونفاذة الرائحة - قبّعة **ريزينيز** جِلْدية بحافّة مَطوية على الرّفّ، وقميص يعود لـ **بيغ غاي** مخطَّط بخطوط حمار الوحش (كبير على مقاس **كيو - بي** -)، بعض ربطات العنق، أحزمة من جِلْد السحالي، سترة من جِلْد الأغنام،

وعلى الأرضية هناك غنيمتي، وهي حذاء من جِلْد الماعز، كان هدية لطيفة من روستر. أيضاً فتحتُ باب خزانتي الحديدية، وهناك كانت رزنامتي مُلصَقة على الوجه الداخلي للباب مع علاماتٍ خاصّة عليها مثل *** والتيشيرتات، سراويل العمل القصيرة، أحذية الجري، إلخ. رائحة منظِّف الـ ليسول القوية. في كيس من رقائق الألمنيوم كالذي تستعمله حين تُحضرُ فيه إلى البيت دجاجة مشوية، فتسخنّها فيه داخل الفرن، وضعتُ زجاجة الفورمالديهايد التي تحتوي تذكاري المحبّب من **بيغ غاي**، لكن الشيء كان مغلّفاً بعناية طبعاً، ولم يُصدر أيّة رائحة، أو ما يثير الريبة. لم أفتحه لألقي نظرة عليه منذ زمن طويل. كذلك الأمر بالنسبة إلى السّيّد تي - إذ لم يلقِ بالاً إلى أيٍّ منها، ولماذا يفعل. فليس لدى **كيو - بي** - ما يخفيه، السكاكين الخمس أو السّتّ ومثقاب الثلج وغيرها، والمسدّس قد أُحكِم القفل عليها في القبو. وها هو السّيّد تي - *يقول عظيم، يا كوين. نين. أنيق ونظيف للغاية. جيّد لصالحكَ، إه؟* يقول، *قليل من المسؤولية تجعل الرجل يشعر بالتّحسّن، إه؟* مجلات العضلات وأشيائي الإباحية قد أخفيتُها بعيداً. وكذلك صوري الملتَقَطة بكاميرا البولارويد الفورية. ومخطّط جولة **سكورل** على درّاجته. بدلاً من ذلك، كان هناك رزمة أنيقة من صحيفة *دايل تِك بلايز* وأكياس تسوّقٍ بنّيّة، سُوِّيتْ وطُويت بعناية على الأرضية. *تماماً مثل زوجتي*، قال السّيّد تي -. *أكياس التّسوّق اللعينة تلك!* على منضدة سريري، كان هناك مبادئ *الفيزياء الأرضية*، والتقطه السّيّد تي - وألقى عليه نظرة، فرأى الاسم. *مُستَعمَل، إه؟ كُتُبي كلها مستعملة، أيضاً. لم أستطع التّكفّل بالجديدة.* سألني عن دوامي في دايل تِك، وردّدتُ على مسامعه ما قلتُه له سابقاً، وقال إنها كُلّيّة جيّدة، ابن أخته نال درجة في الهندسة الكهربائية، وحظي بعمل ذي راتب مبدئي جيّد لدى جنرال إلكتريك في لانسينغ.

كنتُ أسير برفقة السّيّد تي - في الردهة الأمامية باتّجاه الباب الخارجي، وهناك كان عبد الله وأخيل عند صناديق البريد، وكانا يتجاذبان أطراف الحديث وأعينهما وأسنانهما تلتمع، وانسحبا بهدوء في الحال، إذ أحرجهما السّيّد تي - (وهو رجل أبيَض مندلق البطن متورّد الوجه، وفروة رأسه تميل إلى الصلع) وهو يهمس *اعذراني!* واتّخذ طريقه في الموضع الضّيّق. صعد عبد الله وأخيل الأدراج بهدوء الآن. ولم يحرْ السّيّد تي - شيئاً حتّى أصبحنا في خارج الرواق، ثمّ قال، *لا بدّ أن ذلك غريب بالنسبة إلى رجل أبيض، ناظر أملاك أبيض*، بالنسبة إليهم، *إه؟* ومُضيفاً بسرعة، *لا أعني بذلك أيّ شيء، لديّ الكثير من الأصدقاء السّود. أنا أتحدّث عن التاريخ.*

43

كان لا يزال فوق مبرّدِ الهواء الذي يخصّ مأوى **ناظر الأملاك كيو - بي** - تسع أحجارٍ صغيرة، أُخذت من الحديقة الخلفية. كانت خمس عشرة في الأصل.

والأيّام تمرّ. **والموقع زيرو** ينتظر بضعة أيّام ممّا تبقّى في شهر آب.

التاسع من آب. اتّصل أبي وأمّي، وتركا رسالة مشتركة. سيكونان مسافرَيْن لأسبوعَيْن كالمعتاد إلى جزيرة ماكيناك. *نأسف أنكَ لا تهتمّ لمرافقتنا، يا كوينتين! لكنْ، إذا حدث وغيّرتَ رأيكَ* - وضغطتُ زرَّ امسح **الرسالة**.

الحادي عشر من آب. اتّصلتْ جوني. كنتُ في القبو القديم أُجهّزُ غرفة "العمليات" داخل الخزّان، وارتقيتُ الدَّرَجَ، لآتي بعلبة بيرة، وكان صوت جوني المؤنِّب في أثناء التسجيل. تقول إنها كانت تتوقّع منّي أن أردّ اتّصالاتها، *فلماذا لم تفعل، يا كوينتين. أأنتَ على مايرام؟ هل هناك مشكلة، يا كوينتين؟ لم تعُدْ إلى الشّرب من جديد، يا كوينتين؟ أم أنكَ عدتَ؟ اتّصلْ بي، لو سمحتَ.*

أمسحُ الرسالة.

كيف تكون معالجة الأشياء؟ وهلة مُحدَّدة من **الزمن والفراغ**. وهلة محدّدة من يومٍ في الحياة، وامتداد زُقاقٍ ذي اتّجاهٍ واحد محفوف بأسيجة صمّاء، سورِ شجيراتٍ عالٍ، خلفيات أبنية. (كان الموضع الذي اخترتُه لرَكْنِ القْان والاختطاف وراء بناءٍ تجاريّ، بلافتة برسم البيع، والمدخل الخلفيّ والكراج لم يُستعمَلا من قبل. لا سَكَن خصوصي في الجوار. هناك احتمال دائم أن يمرَّ أحدهم بسيّارته في الزقاق، أولادٌ آخرون على درّاجاتهم، إلخ. لكن ذلك كان فرصة، ينبغي على **كيو - بي** - أن يستغلَّها.) **ولا رجعة**.

44

ستّ أحجارٍ متبقّية على مُكيِّف التبريد. ومن ثمّ، خمس، وبعدها أربع. **الشظيّة** كيو في أوجِ انشحانِها توشك على **الانفجار**، لكنْ: متى؟

الخميس ٢٥ آب سيكون الميعاد، قلتُ في سرّي. **الموقع زيرو** وعلى رزنامتي المُلصَقة على الوجه الداخلي لباب خزانتي الحديدية وضعتُ عليه بقلم التخطيط الأحمر علامة: *

كم مرّة ينتظر **كيو - بي** - طريدته في ڤانِه هادئاً بكل الدراية. وكم من المرّات يكون **كيو - بي** - هو **سكورل**، يركب درّاجته مسرعاً وطَروباً ورشيقاً وغافلاً عن الأخطار كلّها مثل غزالٍ يجري ويقفز، ومنظارُ الصّيّاد مُصوَّب إلى قلبه. **سكورل** بقبّعته **التايغرز** المقلوبة على شعره الأشقر المائل للبنّيّ، وكتفَيْه المَحنيَّيْن، ظهره مَحنيّ الآن فوق مقوَد درّاجته المتّجهَيْن إلى الأسفل بحزام وخصر بنطاله الجينز الضّيّق الذي بدا وكأن بوسعي أن أحيطَه بأصابعي. وربطة شَعْر الخنزير تلك! ووجهه الملفوح البَهيّ الطّلعة المشرئبّ، الجبهة ناعمةُ التّغضّن بتلك الطريقة التي تلمحها عند الأطفال، وتبعث فيكَ السرور، التفكيرُ في الصبيّ يُذْهِبُ القلق. كمثل **سكورل** الذي يعلم بأن نفسَه تنوء تحت **قدرٍ خاصّ**. ورأيتُ فقراتِ عموده الفقريّ، واعترتني القشعريرة.

إفراغ الأيرِ كل بضع ساعات، من غير الطبيعي أن أمكث ساكناً، ومن المثير أن أخرج، وأجازف بأن يراني أحدهم، ويُبلّغ عن سرعتي، أو مخالفتي في شيء ما. وتجنّب السّكّان، دون أن أردّ عندما يُدَقُّ الباب. واتّصلت أمّي من ماكيناك قائلة لماذا لم آتِ رغم كل شيء، لأمضي بضعة أيّام، والمكان هنا جميل للغاية، الماء رقراق، والهواء نقيّ. ودخل أبي على الخطّ بشكل عاطفيّ ودّيّ، وأمسح الرسالة بإبهامي. ومرّة أخرى جوني، وتركتُ الهاتف، وها هي تبدأ الشكوى. إنه ٢١ آب. ولماذا لم أردّ اتّصالاتها، فقد تركتْ لي على الأقلّ ثلاث رسائل، وهي قلقة عليّ من أجل الله! وهكذا. أتناولُ بوريتو تاكو بِلْ المثلّج بلحم العجل، وأحتسي بيرة بَدوايزر من العلبة. أتنقّل بسرعة بين قنوات التلفاز. اثنتان وخمسون قناةً، وأعود إلى البداية. أنا متوتّر، وكأنّ هناك شيئاً ما أنشدُهُ، ولا أعرف ما هو. **تتحدّث** جوني. كما اعتادت أن **تتحدّث** من قبل. الأخت الكبرى التي هي زعيمة القوم، مديرة مدرسة. مرقة غواكامول الأفوكادو الخضراء تسيل تحت ذراعي. على القناة السادسة، *هناك جثث عارية سوداء في مكانٍ ما مُهمَلٍ من أفريقيا*. على القناة التاسعة، هناك بعض الأولاد الذين يصرخون في مشفى، تمّ قَذْفه بالقنابل في هذا المكان الذي اسمه البوسنة. يخبو المشهد إلى إعلان أنه حاكم ولايتكَ يتحدّث. على القناة الحادية عشرة ثمّة إعلان عن ثانٍ يثبُ في مشهدٍ صحراء صخرية. على القناة الثانية عشرة، هناك أخبار الطقس، *يستمرّ ارتفاع الحرارة في ميتشيغان ومنطقة البحيرات العظمى*. على **MTV** هناك كسٌّ إسبانيولي[*] بشَعرٍ كهربائي، تلحسُ صاحبتُه حلمَتَي رجل

---

*) spic: تعبير عِرْقيّ في الولايات المتحدة، يُقصَد به السخرية من المتحدّرين من أصول مكسيكية ولاتينية.

كوكائين أبيض، أرداه الإدمان، وأعود إلى القناة الحادية عشرة. تتحدّث جوني بوضوح، وكأنها معي في الغرفة، *اللعنة، يا كوينتين، أنتَ هنا؟* ويردّ كيو - *وفي أيّ مكانٍ منيوكٍ سأكون، إذاً، يا جوني؟* هناك فترة صمت، وكأنّ الشرموطة قد صُفعتْ على وجهها. وأنا أحاول أن أنهي البوريتو، وأنظرُ إلى شاشة التلفاز مُدركاً أن ثمّة رسالة ما هنا، شيء ما مُلِحّ. تقول جوني إنها تودّ التّحدّث إليّ، *إنها قلقة عليّ، من تأثيرِ نوع الشّلّة الرديئة* الذي يمكن أن يلحق بي. إنه موديل جديد من سيّارة الـ دودج رامْ تسير على أرضٍ صخرية. قمرٌ كبيرٌ يسطع في السماء. أو هل هي الـ دودج رامْ على القمر، والتي تطوف هناك هي الأرض؟ تقول جوني إنني مَدِيْنٌ لأمّي وأبي بأن أحاولَ أن أعيش حياة نظيفة. *وأنا* شخصٌ متحدّرٌ من أصل طيّب وعميق *المشاعر* - هي تعرفُ ذلك. تقول إنها نفسها ليست دائماً في *حالة توازن عاطفيّ*. لديها أوقاتُها العصيبة، أيضاً. في الواقع *إنها تزورُ مُعالِجاً بدنياً نَفْسياً في آن آربر*. لكنْ، أرجوكَ لا تُخبر والدتي ووالدي، يا كوينتين؟ - فهما يظنّان أنني قوية. إنهما يعتمدان عليّ، لكي أكون معهما وقت الحاجة. فاصل صمت، ثمّ تقول كوينتين؟ *ألا تزال* معي؟ وأنخرُ نعم نعم، وأنا أتخيّل كيف أن أختكَ (أو قد تكون أخاكَ) خرجتْ من الثقب نفسه الذي خرجتَ أنتَ منه. ورُشِقتْ من القضيب نفسه. وذلك كله عماء وصدفة، وعلى الرغم من **الشيفرة الوراثية**. ولذلك تعرفكَ الأخت (أو الأخ) بتلك الطريقة التي لا تريد أن تُعرَفَ بها. ليست الطريقة التي *تعرفني* بها جوني. ليست الطريقة التي *يعرفني* بها أيّما امرئ في الكون. لكنْ، إن فَعَلَها أحدهم، فستكون جوني في حالةِ رَوْعٍ من روح **كيو - بي** -.

تُكرِّرُ جوني دعوتها لي للعشاء مساء الغد، ليس فقط لمجرّد الحديث، بل لأن برفقتها صديقة، تريدني أن ألتقيها، وأقول إني مشغول. حسناً، الليلة التي

تليها؟ - وأنا مشغول. وتقول إنها مَلّت القولَ ما الأمر الغريب في *حياتكَ*، يا كوينتين؟ لا تهزأ بي. تقول، أنتَ متورط مع - مَنْ؟ وأنا أشاهد التلفاز، ولا أسمع. وتقول، فلنكن جدّيّيْن الآن، أنتَ تدرك ممَّ أنا خائفة، يا كوينتين؟ - واحد من *سلّتكَ السّرّيّة*، واحد من جماعة المخدّرات سيؤذيكَ في يوم ما من الأيّام. هذا ما أخشاه. من أجل خاطر الوالد والوالدة. لأنكَ بريء للغاية، ولأنكَ تُولي ثقتكَ كأننا في الستينيات أو ما يشبهها؛ وأنت ناصع القلب وأكثر سذاجة من أن تعرف الأفضل ممّا يّتفق ومصالحكَ الخاصّة.

يثبُ الـ دودج رامْ في المشهد. يتلاشى، لتحلّ مجموعة ثقوب أطيازٍ في قمصان بيسبول، أستاد تايغر، ديترويت.

أنا واعٍ الآن للخطوة النهائية. ألتهم البوريتو الثانية رغم أنني لستُ في حاجة إليها، لكنني في نَهم مفترِسٍ، فمي حيٌّ بذاته، ويلتهم كلّ ما في يدي. سأكون في طريقي إلى **الموقع زيرو** بعد أربعة أيّام. مثل قطعة مفقودة من لعبة الصّورة التي تحتاج للتركيب، والآن وجدتُها وحُلَّتْ أحجيّة الصورة.

نزلتُ إلى القبو، وأغلقتُ وأصدتُ الباب خلفي. وإلى القبو القديم، وأغلقتُ وأحكمتُ المزلاج. وهناك كانت **الصيصان** كما حلمتُ بها مع فَرْق أنها كانت واقعية! **تُرَقْرِقُ وتُرَقْرِقُ وتُرَقْرِقُ**. ولا خوفَ منّي. غيّرتُ ماء الشّرب لها (في أطباق من رقائق الألمنيوم) في كلٍّ من الصناديق، وأزلتُ بعض زَرَقِها، ونثرتُ لها حبيبات خبز وحنطة. ورغم أن عمر هذه **الصيصان** لم يتجاوز الأسبوع، فإنها نقرتْ طعامَها بجوع دون أن تُخطئ الحبيبات، وباستطاعتها أن تتدبّر بقاءها مثل الطيور الكبيرة، إذ إن حياتها تتمثّل في الأكل. وهو متوفّر لها.

أحصيتُها من دون سبب وجيه لذلك. في كل صندوق، اثنا عشر **صوصاً**. ستّة وثلاثون **صوصاً** لا تزال على قيد الحياة.

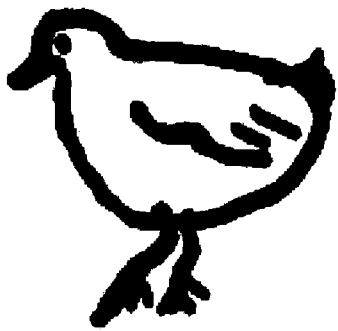

45

في اليوم التالي، سألتُ جدّتي هل يمكنني أن أقترض مبلغَ $$$؟؟؟ كدفعة أوّلية من الـ دودج رامْ؟ - الفورد القديم بالٍ للغاية، ومرآب الإصلاح يقول إن صيانته (فرامل وكاربوريتور) ستُكلِّف أكثر من قيمته. وتقول جدّتي *طبعاً، يا كوينتين!* وتبتسم ويداها بارِزتا العظام ترتعشان قليلاً، وهي تُحرّرُ الشيك. *إنه قَرْضٌ*، أقول. *سأردّه لكَ*. وتضحك جدّتي، آه، كوينتين. إنهنّ في حاجة لأن يحببنَ أحداً ما، ويعشنَ لأجلِه - النسوة. ذلك ليس مهماً بالنسبة إلى الرجل. ولوجبة الغداء تُحضِّرُ لي شطائر الجبنة الكبيرة المشوية مع رقائق لحم الخنزير المقدّد المتموّجة التي كنتُ أتوق إليها حدّ الجنون عندما كنتُ لا أزال صبياً، يزور جدَّتَه. وتصبُّ جدّتي شايَها الذي يشبه لونه البولَ، وتتناول "حبوبَ القلب" كما تسمّيها. *أشعرُ وكأنني أتعرّفُكَ للتّو، يا كوينتين. هذا الصيف. مشيئة الرّبّ تتبدّى، حيث لا نتوقّع، أليس كذلك؟!*

تُرْدِفُ، هذا بينكَ وبيني، يا كوينتين. إنه سرّنا الصغير!

أنا جائع، وأنا آكلُ. الشيك في جيب قميصي. منذ أنِ اتّخذتُ قراريَ، تملّكتْني أقوى قابليةٍ للطعام منذ سنوات، واحتجتُ ثقباً جديداً في حزامي هذا الصباح. مع جرعة المهدّئ المزدوجة، غدا قلبي هادئاً وقوياً، ويخفق بشكل مستقرّ، ونبضهُ جليٌّ في أيدي. **الموقع زيرو** قاب قوسين حتّى

ليبدو وكأنّه قد برز إلى حيّز الواقع. وحين أعود إلى ١١٨ شارع نورث تشرش سيكون **زومبيّ سكورل** بانتظاري في القبو. طعام وشراب ومرآة بالارتفاع الكامل في خدمته (وخدمة سيّده). عينا **سكورل** اللتان تستحقان العبادة، ربطة شَعْرِ ذيل الخنزير المثيرة. وذلك **الثّغر** الذي خُلِقَ من أجل التقبيل والمَصّ. وتلك الطيز التي تستحقّ العبادة. وجدّتي تقول ورجفةٌ في صوتها إنَّ الشيء الوحيد الباقي لجَعْلِ حياتها مكتملة، ثمّ تموت راضيةً بعده، أن تتزوّج جوني أو أنا، أو كلانا اللذان تحبّهما حُبّاً جمّاً، وأن نُرزَق بأطفال، وبذلك لن يختفي النَّسلُ. يا لهم أجدادُنا من رجالٍ ونسوةٍ مسيحيّيْن شرفاء ورِعين صالحين، تقول جدّتي. تستطرد:

"يا كوينتين؟ لا شيء يجعلني أسعد من ذلك."

"ما هو، يا جدّتي؟"

"قلتُ - أن لاشيء يجعلني أسعدَ، لو تزوّجتَ اليوم قبل الغد، وأنجبتَ أطفالاً." تمسح عينَيْها وتضحك بحزن، قائلةً، "أعرف أنني امرأة عجوز، ولا يحقّ لي التّدخّل في حياتكما، أيّها الشباب."

"لا، يا جدّتي، لا بأس."

"أعرف أن ذلك أكثر من أن يحقَّ لي. فقط أن تُسعِدَ عجوزاً."

"لا، يا جدّتي، لا بأس."

"أعرف - العالَم مختلفٌ جدّاً الآن."

وأنا ألعقُ بوظةَ الكرز من الملعقة، وأمرّر لساني حولها أقولُ، يا جدّتي، رويدكِ. لا تبكِ. أبداً ليس العالَمُ على هذه الدرجة من الاختلاف."

46

كيف ستكون خاتمة الأشياء. اشتريتُ الـ دودج رام، في ٢٣ آب. غُدِرْتُ في المبادلة (حصلتُ على ١٣٠٠ دولاراً فقط مقابل الفورد)، لكنْ، لم يكن هناك مجال للمساومة. طلاء بنّيّ وأخضر داكن، وهيكل متين جذّاب مرتفع عن الأرض، أكثر فحولة من الفورد، ورباعيّ الدَّفْع بالطبع. وأكثر عزماً بالأحصنة من الفورد، وأكثر اتّساعاً في الخلف. جرَّبتُ قيادته باستعمال مبدِّلات السرعة، الأضواء، إلخ. ونظام التكييف، وهو معقّد. اشتريتُ دزّينة أكياس زبالة بلاستيكية ذات لون أخضر داكن، لكي أُلصِقَها على النوافذ الخلفية من دون عَلَمٍ أمريكيّ هذه المرّة - لعلّني سأضيفُه لاحقاً. ولاصقة على **واقي الصدمات أُفضّلُ الإبحار.** أمضيتُ جلّ شهر آب وأنا أصفُّ التجهيزات في القبو والخزّان. مثقاب الثلج، حفّارات الأسنان المعدنية، سكاكين من مختلف الأحجام، وكلّها شُحِذَتْ حديثاً. اليود والشّاش والضمادات، إلخ. طعام سهل، لكي يتناوله ويهضمه **سكورل** وماء من ماركة إيڤيان وبطّانيات وأوعية تبوّل (وعاء سيراميك من السقيفة، ربمّا كان تحفة؟) ومحارم تواليت، إلخ. والمرآة بالطول الكامل (أيضاً من السقيفة). كذلك تحضير الڤان. تثبيت حاجز ألواح خشبية بين المقعد الثاني والمؤخّرة. في المقعد الخلفي، هناك تي - شيرت، بنطال جينز، صندوق فروت لوبْس، إذا دعتِ الحاجةُ إلى مزيد من النشاط، وأيضاً ماء إيڤيان

وثلاث زجاجات داغو أحمر في أكياسٍ بلاستيكية. في مؤخّرة الڤان، قفّازات وكاتمات إسفنجية ولفائف لاصقِ تغليفٍ وحبل وكيس خيشٍ. وأغطية غير نفوذة تُفرش على الأرضية، ومزيد من أكياس الزبالة. لم أكن أريد أن تتلطّخ أرضية ڤاني الجديد. (لم يكن هناك نيّة في أن يتسرّب دمٌ في الڤان، وكُلّني أمل بأن ذلك لن يحصل، لكنّ حتّى أكثر العَيِّنات شجاعةً ستغدو مسعورةً أحياناً، وتفقد السيطرة على أحشائها.) سكّيني المخصّصة لِبَشْرِ الأسماك. (سأحمل مسدّسي الـ٣٨ في جيبي.) اخترتُ شَعْرِيَ البنّيّ **الأجعد الضارب** إلى الحمرة والشاربَيْن الدقيقَيْن التي لم تُمَسّ منذ سنوات، والتي أستعملها حين أنتحل شخصيتي الأخرى تودّ كَتلرْ. تناولتُ وجبةً في برغر كينغ على الطريق، ومررتُ بحانةٍ جامعية، وشربتُ بضع زجاجات البيرة، ولم أتحدّث إلى أحد، وأويتُ مبكّراً إلى الفراش، بعد حبّة مهدّئ واحدة، ونمتُ مثل الرضيع. الخامس والعشرون من آب، استيقظتُ الساعة ٦:٢٠ ق.ظ. بحماسٍ، والأير مثل العصا المكهربة، وكان عليَّ أن أُفرغه مرَّتَيْن، وكان المنيُّ ساخناً مثل الحمم. ثمّ وجبة الإفطار الخاصّة من البرغر كينغ بـ ٣,٩٩ دولاراً، وقد أفرغتُ طبقي، وتناولتُ الكثير من القهوة، فأخذتُ حاجتي من مُنشّط الكافيين، ما جعلني أشعر بحال أفضل. الأعمال المنزلية الروتينية كالمعتاد. ألقيتُ التحيّة وما يشبهها على الفتى الأسود الضخم (الذي يتواجد دائماً في المطبخ، يقلي شيئاً ما داكناً وشحميّاً في المقلاة)، وأظنّ بأنني داهنتُه برفق. لأجعلهم يفكّرون، إذا كانوا يكرهون الأبيض، بأنكَ لستَ حقّاً أبيض، بل شيئاً آخر. اغتسلتُ، ولبستُ تي - شيرت جامعة **ماونت ڤيرنون**، القطني الأبيض بالكتابة الخضراء وشعار الفأس الهنديّ. سروال الشغل الخاكي القصير من دون حزام، الجوارب وحذاء الجري. اتّصلتُ بجدّتي كما هو مُخطَّطٌ. إنه الخميس، وفي نيّتي أن أجرَّ شطراً من المرج. لكن

جدّتي سألتني بلطف، إن كان يمكنني أن أقلّ صديقتها العزيزة السّيّدة ثاتش إلى المنزل؟ - إذ إنني فعلتُ ذلك فيما مضى، ولم أمانع. وموافَقة متلعثمة للغاية، وبذلك كان الوقت قد تأخّر للغاية. ثمّ أُقلّبُ الأمر بأن ذلك *قد يكون لصالحي: امرأتان عجوزان، وليس امرأة واحدة.* تابعتُ التحضيرات. شغّلتُ التلفاز في غرفتي، وغادرتُ، بعد أن أوصدتُ الباب. الساعة ٤:٤٠ ب.ظ. والبيت خاوٍ في تلك الساعة. نقلتُ صناديق **الصيصان** من القبو إلى مؤخّرة الڤان الذي أرجعتُه حتّى كاد يلتصق بباب البيت الخلفيّ. مضيتُ إلى دايل سبرينغز على الطريق المعتادة نفسها، وعدتُ بالسّيّدة ثاتش، من ١٢ ليلاك لاين في الساعة ٥:٠٠ ب.ظ. أربع دقائق قيادة حتّى منزل جدّتي في ١٤٩ شارع آردِن. تُثرثر العجوزُ بلا توقّف قائلةً *كم جدّتَكَ محظوظة بأن لها حفيداً رصيناً مثلكَ.* **الصيصان تُرَفْرِقُ تُرَفْرِقُ تُرَفْرِقُ**، لكنْ، خلف الحاجز وثرثرة العجوز تطغى على الزقزقة، أو أنها ربّما صمّاء. في منزل الجدّة، شربتُ عصير الليمون، وبعد دقائق عديدة غادرتُهما وهما تهذران في البيت، وعدتُ أدراجي، لأركنَ الڤان في وضعية أقرب إلى الكراج، بحيث لا يكون مَرئياً من المنزل. واعتمرتُ قبّعتي التايغرز وقفّازات الشغل، ودفعتُ بجرّازة العشب من الكراج، وبدأتُ الجزّ من آخر المرج في الساعة ٥:٢٥ ب.ظ. وأنا أُنَقِّلها جازّاً مساحاتٍ عرضانية، تبدأ من المنزل، وتنتهي عند المؤخّرة. في الساعة ٥:٣٥ ب.ظ. ركنتُ الجرّازة خلف أيكة دائمة الخضرة في منتصف المرج تقريباً، وقمتُ بتثبيتها مُبقياً المحرّكَ هادِراً، وعبرتُ إلى الكراج متستّراً، لكي لا يراني مَنْ في المنزل. في الڤان، لبستُ شَعْر **تود كتلر** المستعار والشارِبَيْن، وأيضاً قبّعة التايغرز. ونظّارَتَيْن شمسيَّتَيْن سوداوَيْن. في الساعة ٥:٥٢ ب.ظ. قدتُ ببطء من مدخلِ بيت جدّتي، واتّجهتُ غرباً نحو آردن وصولاً إلى لوكوست وشمالاً

إلى الرّقاق ذي الاتّجاه الإجباريّ الواحد قرب ليكفيو بوليڤارد، وعلى امتداد الرّقاق إلى **الموقع زيرو**، حيث ركنتُ، والمحرّك يدور. الرقاق خالٍ من المارّة. في مؤخّرة الڤان، الترتيبات النهائية. فتحتُ أحد البابَيْن الخلفيَّيْن. وفي الساعة ٦:٠٣ ب.ظ. فتحتُ الصناديق لأحرّرَ **الصيصان**. في الحال بدأت **تُرَفْرِقُ تُرَفْرِقُ تُرَفْرِقُ، وترفرف** بأجنحتها الصغيرة، وتنتشر خارج الصناديق، وتنقر في التراب غافلةً عن أيّ شيء سواه. ومكثتُ هادئاً وضابطاً نفسي. *فكلّ ما يحدث، قد حدثَ من غابر الأزمان*. زهاء الساعة ٦:٠٨ ب.ظ. لاحتْ درّاجة تنعطف إلى الرّقاق. بعد ذلك، لبثتُ لكي أتسقّطَ التوقيتَ المُحْكَم، لكنني بقيتُ ساكناً، ضابطاً النَّفْس. يخبُّ **سكورل** باتّجاهي كما في أحلامي. لكمْ كان عَصيّاً، لكمْ كان بعيد المنال. ويحدِّق **سكورل** غير مُصدِّقٍ وهو يرى صيصان الفصح الصفراء الزاهية بزغبها اللطيف في الرّقاق تسدّ طريقه، فلا يجد خياراً إلا أن يُبْطِئَ، ويكبح درّاجته. ومترجّلاً ضحك وهو يقول، مرحباً، *ماذا حدث؟ صيصان؟* و**تود كتلر** في حيرة وانزعاج يقول *إنه حادثٌ، وقد انفلتتْ، هل يمكنكَ أن تساعدني؟* من فضلكَ! ولأن **سكورل** ولدٌ ذو طبع طيّب، غير متوجّسٍ، وسعيد أن يلتجئ إليه الآخرون في طلب العون ابتسم، وركن درّاجته وهو يقول *بالتأكيد*! ينقضّ بيَدَيْه على اثنَيْن من **الصيصان** المرفرفة، ويناولهما إلى **تود كتلر** الذي انحنى على أحد الصندوقَيْن في مؤخّرة الڤان. قائلاً *كيف لكَ أن تمتلكَ هذا العدد كلّه؟ واو!* إنها جامحة! كأنها نكتة، ربمّا إحدى فانتازيات الـ **MTV**. ابتسم **تود كتلر**، وقال *أشكركَ*! واستدار **سكورل**، ليمسكَ باثنَيْن آخرَيْن قرب إطار الڤان اليمينيّ الخلفيّ، وفي تلك اللحظة، سَلَّ **تود كتلر** ساعدَه القاهرة بسرعة أفعى تحت ذقنِ الصبيّ، وبذراعه الأخرى، ثبّتَ يَدَيّ الصّبيّ المقاوِمَتَيْن **ولكمة، اثنتان، ثلاثة** على

قصبته الهوائية، كادت أن تكسر رقبته، فخانتْه قَدَمَاه، وساقاه. وفي ثوانٍ، رفعه **تود كتلر**، وزجَّ به في القان، وأُغلق البابان، ثمّ أُوصدا. وكان **تود كتلر** مستثاراً وضارياً، وقد جحظت عيناه. وأيره هائل. وهو يحشر الإسفنجة في فمِ **سكورل**، ويُثبّتها بلاصق، يلفّ رأسه وحَنَكَه. ثمّ أحاط رأس **سكورل** بكيس الخيش، وأحكمه أيضاً باللاصق. والآن غاب الوجه والرأس، ويتمدّد جسد الصبيّ وهو يرتجف مع الأنفاس. وثمّة بقعة داكنة عند مكان انفراج ساقَيْه. رائحة البول. تلمّست يدا **تود كتلر** المهتاج، ونزعتا جينز الصبيّ، فكشفتا أيره المبلّل، وفكّتا ثيابَه هو أيضاً، **وهزّة اثنتان ثلاثة** على كيس خصيَتَي الصبيّ، وتند عنه أنّةٌ، ثمّ وعيناه تتهاديان في محجرَيْهما يقذف. سادتْ حالة همود لثوانٍ، أو دقائق، لم يدرِ بالضبط. ومتمدّداً فوق الصبيّ يرتعش، ويحاول أن يهدّئَ روعَه. أعشقكَ، لا تدفعني إلى إيذائكَ. أعشقكَ أعشقكَ أعشقكَ! وسالَ بللٌ من فمه كالرّضيع. غشيت عيناه بالدموع. وفوق ذلك، كان كيس الخيش خادشاً لجِلْده الحارّ. والصبيّ ينوء بهزاله تحته، قفصه الصدريّ وترقوته. واستعاد الصبيّ بعض نشاطه، وبدأ يتأوّه من خلال الإسفنجة، ويضرب بيَدَيْه ورجلَيْه. ويُلقي **تود كتلر** بثقله فوقه، لكي يُثبّته. اهدأ، ولن يصيبكَ مكروه! اهدأ، ولن يصيبكَ مكروه! أنا صديقكَ. وغدا الصبيّ بهلعه أقوى من المتوقَّع، لكن **تود كتلر** كان أقوى منه. ينخرُ ويبسط يَدَيّ الصبيّ على جانبَيْه، ويلفّ حوله قطعة خيشٍ، ويثبّتها بحبل مثل ثوب الاعتقال. ويُوثِق ساقَيّ الصبيّ، كاحلَيْه وبَطَّتَيْه وركبَتَيْه. لم يستطع بعدها الصبي الحراك إلا لكي يتلوّى مثل دودة جريحة. رغم ذلك لا يزال يتلوّى، وعميقاً من داخل حَنْجَرَته يخرج صوتُ عويلٍ ممزوج بالأنين كطفلٍ يبكي في البعيد، وهذا الـ **تود كتلر** المنزعج الذي ركبَ عليه، وأطبقَ أصابعه حول عنق الصبيّ، حيث النبض يدقّ وهو يقول، لاهثاً: *لن يصيبكَ*

مكروه! لن يصيبكَ مكروه، أعدكَ! لكنْ، ***لا تقاومْني.*** وأطبق **تود كتلر** أصابعه، وهزّ رأس الصبيّ، ثمّ هزّه صادماً إيّاه بأرضية الڤان حتّى رأى أن الصبيّ قد همد، ولم يعد يقاوم، حينها نزل عنه. واستعاد وعيه للمكان الذي هو فيه والمهمّة التي هي مهمّته وحجم الخطر. إذ بدا أنه قد نسي الخطر. كما حدث دائماً في مرّات شبيهة. وبادئاً بساعة معصمه، ليرى أن الساعة الآن ٦:٢٣ ب.ظ. للوهلة الأولى، لم يدرك ماذا كان ذلك يعني. ثمّ يستفيق، ويزيل الشَّعْر المستعار والشارِبَيْن (اللذَيْن سقطا تقريباً، وعلقا عند شفته)، ويُسوّي سرواله الخاكي الذي فتح سحّابَه. ثمّ يفحص الصبي، ويتأكّد أنه كان يتنفّس، يعلو قفصه الصّدري، ويهبط على شكل تشنّجات. فلا بأس إذاً، ومسرعاً نزل من الڤان من جهة السائق، ثمّ إلى مقعد السائق، وتفحّص بالمرآة ما وراء الڤان، ليرى إن كان الزقاق لايزال خاوياً. وقاد الڤان (لوحة القيادة تبدو جديدة للغاية، وعجلة القيادة مُحكَمة، وحجم المركبة يفوق التّوقّع) بسرعة طفيفة في البداية، ثمّ تزداد بهدوء إلى الأمام وعبر باحة الكنيسة (التي كانت خاوية تقريباً، ولا أحد هناك ممّنْ يتطلّعون في ذلك الاتّجاه) وإلى شارع بيرل، وجنوباً إلى آردِنْ، وشرقاً إلى آردِنْ، باتّجاه منزل جدّتي. لم يكن هناك ثمّة صوت من المؤخّرة. ركنتُ الڤان كما كان. قفلتُ كافّة الأبواب بالقفل الأوتوماتيكيّ. وحاولتُ أن أتطلّع عبر النافذة إلى المؤخّرة، لكن الخطوط البلاستيكية الخضراء الداكنة حالتْ دون الرؤية. واندفعتُ باتّجاه الجرّازة التي كانت *لاتزال تهدر*. والعجوزان لا بدّ سمعتاها، وسوف لن تصدّقا أنني كنتُ بعيداً. عدتُ إلى الجرّ، وأوفيتُه حقَّه، كما يُحتمل أن تفعلَ أحياناً جيئةً وذهاباً، جيئةً وذهاباً عبر المرج. ثمّ يحصل أن تُبصرَ، وأنت تُجيل النظر حولكَ - ماذا كان؟ - **كلب يتشمّمُ الڤان! كلب!** - للحظةٍ وقفتُ أُحدّقُ، ثمّ صفّقتُ بيَدَيّ، وصحتُ فيه، لكي يبتعد،

انتصبَ وهو ينظر باتّجاهي لوهلة، وصرختُ *عُدْ إلى البيت! اغربْ من هنا!* واستدار الكلب، وهرولَ على المدخل. واختفى. وفي الساعة ٦:٤٥ ب.ظ. توقّفتُ عن الجرّ، ودفعتُ بالجرّارة إلى الكراج. تفحّصتُ القان عند المدخل، لأجد كلّ شيء على مايرام، ولا صوت يصدر من المؤخّرة. دخلتُ البيت، وقلتُ لجدتي إنني قد أنهيتُ شغل اليوم، وأن المرج الخلفيّ قد جُزَّ. كانت الساعة ٧:٠٠ ب.ظ. وكان عليّ أن أغادر. تطلّعتْ جدّتي والسّيّدة الأخرى إليّ. وقالت الجدّة، *وجهُكَ، يا كوينتين، قلتُ ما به وجهي؟* وقالت الجدّة، *تبدو كأنكَ تعرّضت لحرارة زائدة*، يا عزيزي، *لماذا لا تغسله*. لذلك غسلتُه. ورأيتُ في مرآة الحمّام **كيو - بي** - ينظر إليّ في حالة ذهول، وكأنّ وجهه لفحتْه الشمس. وثمّة وعاء دموي برز في عيني اليسرى. وانحسر مفرق الشَّعْر. *ماذا بشأن مستقبلكَ، يا بنيّ؟ - لقد تجاوزتَ الثلاثين*. وكرش البيرة، والحزام الضّيّق فيما لو لبستُ حزاماً، وهذا ما لم أفعله، مع سروال الخاكي هذا. وعدتُ إلى المطبخ حيث كانت جدّتي والعجوز الأخرى تتحدّثان عن **كيو - بي** -، كما أعلم. وعبرتْ بخاطري فكرةُ قتلِ الاثنَيْن الآن، بينما الآخر في القان، وأتخلّص من رفاتِ الثلاثة في آنٍ معاً، فذلك سيوفّر الوقت، ولن يكون عليّ أن أُفكِّرَ بذلك بعدها. تقول جدّتي، *أوه، يا كوينتين، لكنْ، لماذا لا تبقى حتّى العشاء؟* وأجيبها. وتقولُ جدّتي، *أوه، لكنني أتمنّى أن تبقى! لا أظنّكَ تأكلُ بشكل جيّد، إذ إنكَ تعيش وحدكَ. حياة العازب حياة صعبة*. وسألتُ إن كان عليّ أن أُوصِلَ السّيّدة ثاتش الآن إلى البيت والسّيّدة ثاتش كانت باقية للعشاء، كما بدا، وأجابت، أوه، لا ستستقلّ سيّارة أجرة إلى البيت. وكنتُ في طريقي إلى الباب، وصاحتْ جدّتي، *أوه، انتظر، يا كوينتين!* وأعطتْني مظروفاً ربّما يحتوي بعض المال، وتناولتُه، وشكرتُها، وغادرتُ. عند القان،

الذي هو دودج رام أخضر وبنّيّ لامع، وليس الآخر، *كان الكلب هناك مرّة أخرى* - من صنفِ هزيل متلبّد الشَّعْر، وذيله مقوَّس مثل ذيل القرد، وعيناه متحفِّزتان، *وصرختُ اغربْ! انقلع، يا ابن الشرموطة!* وصفَّقتُ بيديّ، وطوّحتُ قَدَمي نحوه، فلاذ بالفرار. أكان كلب **سكورل**؟ مسدّسي الـ ٣٨ مم في جيبي، هل عليّ أن أقتل الكلب؟ لا صوت من داخل الڤان. دخلتُه، ورجعتُ به خارجاً من المدخل بشكل موارب، ثمّ إلى المرج، لكنْ، على الشارع قدتُه بشكل أفضل، كانت عجلة القيادة قوية بعض الشيء في الڤان الجديد، وجسم الڤان غير مُتقَنٍ. لكنني راضٍ به. كانت الساعة ٧:١٢ ب.ظ. اتّجهتُ غرباً مع حركة المرور البطيئة على امتداد ليكڤيو باتّجاه البحيرة. لم يُنْجَزْ عملُ ساعات خطّةِ **كيو - بي** - هذه قبيل العودة إلى ١١٨ نورث تشرش عند الظلام بوضوحٍ، كما أدركتُ، ولم تكن إلا ضباباً. كما يحدث في الفيلم هناك **التلاشي التدريجيّ**، **والتّشكّل التدريجيّ** للتوقيت اللاحق. لكنني لم أفلح في ذلك. لم أمتلك المقدرة. كنتُ في الزمن. والساعة كانت تعوزها العقارب، ثمّ علقَتْ. يستهلك الدودج رام الوقودَ *أكثر ممّا يستهلك الفورد. قد تُفاجَأُ قليلاً، كنْ جاهزاً لسعر ملء خزّانٍ كامل حين تضخّ الوقود*، قال البائع. لكنني لم أستطع التفكير في ذلك الآن. ركنتُ في "سَمِتْ بارك" المشرف على البحيرة، وأكلتُ وجبة الفرووت لووبس، لأنني كنتُ جائعاً، وارتشفتُ شيئاً من زجاجات النبيذ محاذراً أن أُبقيها مُخبَّأة في الكيس. فماذا يحدث لو أن شرطياً رآني، وجاء ليُحقّق معي. ومسدّس الـ ٣٨ في جيبي الذي لن أتمكّن من استخدامه بأمان، لأن صوت الطلقة سيُسمَع. هنا يكمن الضعف في المسدّس، لهذا تُعَدّ السّكّين متفوّقة. لكنْ، أن تقتلَ شيئاً حيّاً باستخدام سكّين، ليس أمراً سهلاً. وستتفادى ذلك، إن كان بوسعكَ تفاديه. كانت الشمس لا تزال

عاليةً في السماء فوق البحيرة، وقلتُ في سرّي *إن الظلام لن يحلّ أبداً*. سلسلة غيوم متلبّدة، تشبه صفَّ أسنان مكسورة، كانت عند حافّة البحيرة، والسماء الأكثر صفاءً فوقها. **وزومبيَّ** عبءٌ عليَّ، ولم يمنح المتعة التي توقَّعْتُها. أنهيتُ الزجاجة الأولى، لابدّ أنني غفوتُ قليلاً خلف عجلة القيادة، وأفقتُ على صوتِ شخيرٍ، كان من حَنْجَرَتي أنا. ولا زال بقية من ضوء في النهار! والشمس تسطع أعلى سلسلة الغيوم ذاتها كعينٍ عمياء. وموجات بحيرة ميتشيغان متهادية وفاترة في هذا الحَرّ. موجاتٌ سمّيَّة كما عبّرتْ جوني. ما الذي جنيناه بحقّ الطبيعة! قالت جوني. *ستُحدِّقُ في عينيكَ، وتُدْرِك: فماذا عليكَ أن تفعل؟* التفتُّ لأتفحّصَ الحاجز الخشبيّ خلف المقعد، وكان - لا يزال هناك. ولا صوت يأتي من ورائه. ولوهلةٍ لم أستطع أن أتذكّر مَنْ كان هناك في المؤخّرة - أيّ مِنْ عَيِّناتي. فكلّ ما يحدثُ الآن، سبقَ أن حدث من قبل. وسيحدثُ مرّةً أخرى. ومن ثمّ، أستعيدُ صورة الصبيّ وهو يرتقي خارجاً من حوض السباحة - متألّقاً بالحياة. وبدأتُ أستشعرُ التّأجّجَ من جديد، والإثارة. *فهو لي* الآن، وسيكون دائماً كذلك. في المرض، وفي الصّحّة حتّى يفرّقنا الموت. لذلك أدرتُ المحرّك، وقدتُ عبر منطقة التّنزّه، العديد من الناس! العائلات! الكثير من الأولاد! رائحة اللحم المشويّ على الفحم، وببطء عبر المنتزه، ثمّ وردتْ الفكرة الغريبة هذه، *نعم حتّى الآن، لكنْ، يمكنكَ أن تُطلقَه، ألْقِ به في الغابات، وأحدٌ ما سيعثر عليه. بما أنه رأى* **تود كتلر**، *وليس* **كيو - بي** -. لكنني كنتُ منزعجاً منه. يصيبكَ الانزعاج منهم دائماً، وتريد أن تمارس القصاص. يستهزئ بي، ويسكن رأسي طوال هذه الأسابيع. ينظر عبريَ في هامبتي دامبتي كأنما لا أحد كان يجلس حيث جلستُ. ويستفزّني، بتلك الابتسامة الغامزة الجانبية والعينَيْن الخضراوَيْن. وكنتُ أقود جنوباً باتّجاه ماونت

ڤيرنون بمحاذاة البحيرة، وبدأتُ أشعرُ بنذير. فتحتُ المذياع، لأستمع إلى الأخبار، لأن الساعة كانت الآن ٨:٠٨ ب.ظ. ولا بدّ أن يكون غياب **سكورل** قد اكتُشف في هذا الحين. ولربّما قد تمَّ إبلاغ الشرطة؟ وبدؤوا البحث، ونصبوا حواجزَ طُرُقٍ؟ لم يكن هناك شيء في الأخبار. لكنها قد تكون خدعة. رغم ذلك، لم يكن بوسعي أن أصل البيت قبل الليل، والظلمة. *وهناك ستُخوزَق، يا كوين. تين، على كلّ مخطّطاتكَ.* سمعتُ التّهكّم في صوتِ أبي رغم أنني لم ألْمُهُ. ولذلك قرّرتُ فجأةً أن أنحرفَ، وأتّجهَ نحو شمال المدينة رغم كلّ شيء، على الطريق ٣١ المألوف لديّ كتقاسيم وجهي. وهكذا عبرتُ هولاند، وعبرتُ مسكيغُن، وعند الساعة ٩:٢٠ ب.ظ. وعند الظلام، كنتُ قد خلّفتُ ورائي لودينغتون، وأمسيتُ في مانيستي فورِست، وهنا شعرتُ بالارتياح، إذ أدركتُ بأنني اتّخذتُ القرار الصائب. ولو لم أفعل ذلك، فلماذا أخبرتُ محامي أبي. بأن شرطة ماونت ڤيرنون كانت تجوب شارع نورث تشرش، ويتحرّش رجالها بي. بل بدا الأمر الآن جليّاً للغاية أنه كان كذلك. دون أن أدري به. واختفاء **سكورل** في دايل سبرينغز سيلفت انتباه الشرطة إلى *مُتحرِّشين جنسيّيْن* في المنطقة. وكم عددهم هناك - عشرات، مئات. **وكيو - بي** - ضمْنَهم على الكمبيوتر. إذاً كان من الفطنة الهروب من ماونت ڤيرنون، وركنتُ بمحاذاة معبر غابةٍ، ومضيتُ إلى مؤخّرة الڤان، ولدى فَتْح الباب، اندفق الضوء، وخزتْ خياشيمي، وأثارتْني ورأيتُ الجسد، الصبيّ، مُسطّحاً على ظهره على الأرضية، الرّأس مغطّى بكيس الخيش، نصف عارٍ، وأضلاع قفصه الصّدريّ بارزة تتحرّك، *لا يزال يتنفّس! لا يزال على قيد الحياة!*. أظنّ أنني حطّمتُ شيئاً ما في حلقِه - القصبة الهوائية؟ الحَنْجَرَة؟ وهكذا أوثقتُهُ بالشريط اللاصق، وحزمتُه بحبل، وكنتُ كطفل يربط طفلاً آخر، لففتُه، ثمّ لففتُه. *مرحباً!* قلتُ. *هاي!*.

قرفصتُ فوقه، ومسستُه، ولاطفتُه، وداعبتُه، لكن الأير الصغير كان رخواً وبارداً كشيء ميّت، اعتصرتُهُ، لأبعث بعض الحياة فيه، وانتفضتْ عضلاتُه، وبدا كأنه كان يبكي من خلال الإسفنجة. انتزعتُ كيس الخيش - وها هو وجهه. وجهه هو، لكنْ، في هيئة أخرى. الآن ليس جميلاً للغاية. كان القسم الأدنى من وجهه قد أُحكِم بلاصقٍ، لكن العينَيْن ارتعدتا مفتوحَتَيْن. ها أنتَ *الآن ترى وجهي الحقيقي، تعرفُ الآن مُعلِّمَكَ*. رششتُ عليه بعض ماء الـ إيڤيان، واستقرّتْ حدقتا عينَيْه، ورأيتُ الهلع فيهما. *لن أمسّكَ بسوء، أنا صديقكَ. إذا لم تقاومني*. صوتي رقيق ومُداهن. مع ذلك، لم يبدُ أنه قد سمعَ. كان هناك ذلك الهلع في عينَيْه، والتّشنّج في جسده المشدود مثل اللوح. وَلَدٌ "تَربِيَةُ عائلةٍ" بخياشيم مدمّاة، كان غيظي منه يتصاعد. ذبلَ أيرُه حتّى غدا ضئيلاً للغاية، كأير صبيٍّ في العاشرة، بتلك النظرة في عينَيْه. ثمّ خابطاً رأسه، ومرّة أخرى يحاول أن يقاتل - يقاتلني *أنا!* - واهناً كدودةٍ مسحوقة. **زومبيٌّ. يقاتلني *أنا***. وفاقداً السيطرة على أعصابي، أقلبُه وبطنُه إلى الأسفل، وأعتليه وأنا أقبض جديلة شَعْرِه الشبيهة بذيل الخنزير مُثَبِّتاً رأسَه إلى الأرضية، وأنا أنيكُه في طيزه، وأيري هائل الحجم حتّى إنه مزّق الجِلْدَ، وأسال الدّم، أُولِجُه **مرّة اثنَتَيْن ثلاثاً** مُخترِقاً حتّى الأمعاء مثل السيف: *مَنْ هو مُعلِّمكَ؟ مَنْ هو مُعلِّمكَ؟* ***مَنْ هو مُعلِّمكَ؟***

47

هل تطفو العظام؟

إن كانت تطفو، فذلك من دون لحمٍ عالقٍ عليها، ثمّ إنّ العظام ذاتها تتفتّت، ويتبدّد بعضُها في الآخر، فأين *إمكانيّة التّعرُّف*. لا يخطر ذلك أبداً على بالي.

48

السادس والعشرون من آب، وكنتُ قد وصلتُ البيت منذ فترة وجيزة، وأنهيتُ حمّامي، لأبدأ مهمّاتي اليومية **كناظر أملاك**، لولا الطَّرْق القويّ على الباب الرئيس. وعرفتُ.

لم أكن قد استمعتُ إلى أيّة تقارير إخبارية. ولماذا يتعيّن على **كيو - بي** - أن يستمع. كانت الساعة ٧:٥٠ ق.ظ. لم أعرف شيئاً، لم أكن ألوي على شيء. لكنني كنتُ قد حلقتُ للتوّ، وشَعْري الناعم قد مُشِّطَ بشكل مصقول ومُبلّل لُصْقَ جمجمتي وعيناي مُحمرّتان، لكنهما لا تُخفيان أيّ شيء خلف نظّارتيّ بإطارهما البلاستيكي الشّفّاف. أرتدي تي - شيرتاً قطنياً أبيضَ نظيفاً، وسروال عمَلٍ عسكريّاً، صندلاً. (سيكون يوماً رطباً حارّاً آخرَ.) وسمعتُ صوت الطَّرْق على الباب الأماميّ وذلك الصوت لخشخشة جهاز لاسلكي الشرطة، وسيّارة دوريّةٍ للشرطة دلفتْ إلى زقاق البيت، وتوقّفت خلف الدودج رام. لم أنظر، لكنني أدركتُ. وسمعتُ صوت تحرير قفل الباب، ثمّ ينفتح، كان أحد الساكنين في طريقه إلى الخروج، وهناك كان عند الدرجات الأمامية ضابطان من شرطة ماونت ڤيرنون. وأصواتهما تسأل إن كان **كيو - بي** - أحد سكّان هذا المنزل؟ وقفتُ ساكناً ومشلولاً في الرّدهة متفكّراً في الخزّان! طاولة "العمليات"! أدوات الجراحة! مستودع

الطعام، والبطّانيات، والمرآة ذات الارتفاع الكامل! وفي سَكَنِ **ناظر الأملاك** هناك ذكريات بكاميرا بولارويد الفورية لسائر **زومبيّاتي** المخفقين، وذكرى من **بيغ غاي** في الفورمالديهايد، وأشياء أخرى يجب أن لا تقع عينٌ عليها أبداً إلا عين **كيو - بي** -. تمَّ التّكفّل بتطهير الدودج رام بكلّ ما أمكن من عناية، مشتغلاً عليه بشكل محموم قبل الفجر حافياً عاري الصّدر مُزيلاً أدنى دليل. إذ كان هناك بعض الدّم *داخل* القان، وقبل كل شيء البَول ورائحته النّفاذة العالقة. ملابسي المُلطّخة، الشَّعْر المستعار، إلخ. جميعها مزّقتُها، ودَفَنتُها في مواضع متفرّقة، لن يعرف **كيو - بي** - نفسه كيف يجدها على امتداد الطريق ٣١، مسدّسي الـ ٣٨، وأودعتُ سكاكيني وتذكاري الوحيد من **سكورل** في خزانة أمانات بعيدة عن ١١٨ نورث تشرش.

ومع ذلك، لم يكن هناك بدٌّ من أن تخطو إلى الأمام، وتُعلن *نعم أنا* **كيو - بي** -. وهادئاً مُتهكّماً أقترب من ضابطَي الشرطة الواقفَيْن بالباب، أحدهما في لباس الشرطة، والآخر يرتدي برّةً عادية، وربطة عنق. وجّها إليّ التّحيّة، وطلبا منّي أن أخطو إلى الخارج. لكنني لم أفعل. ولم أدعُهما للدخول. بذلك لن يكون الأمر مثلما حدث حين اعتقلوني بعد أن فرَّ الصبيّ الأسود مولولاً في الطريق عندما جرّوني خارجَ القان، وألقوا بي وبطني ووجهي إلى الأرض، وكبّلوا يديّ خلف ظهري حتّى صرختُ من الألم. هذا ليس اعتقالاً فعليّاً - أمْ أنه كان كذلك؟ إنه لا يعدو كونَه تحقيقاً. فهناك العديد من الأسماء المخزّنة على الكمبيوتر، *معروفون بأنهم ذوو جنحٍ جنسية*. من حيثِ إنهم لم يمتلكوا دليلاً، ولم يكن لديهم تفويض، وإلا لكانوا الآن في طور البحث. *لا تدعهم يدخلون البيت*، كما قال محامي أبي. *لا تذهب طوعاً برفقتهم إلى أيّ مكان. إذا استمرّوا في التّحرّش بكَ، اتّصلْ بي.* في أيّ ساعة من الليل أو النّهار - اتّصلْ بي. كانوا يسألون إن كان بإمكانهم

الدخول، وهززتُ رأسي بالنّفي، لا أظنّ أنه يمكنكم ذلك. كانوا مؤدّبين حين طلبوا منّي أن أخطو إلى الخارج، وكنتُ مؤدّباً ومنطقياً وأنا أُجيب، محاوِلاً أن لا أتلعثم، بأنني لا أظنّ ذلك. وهذا ما فاجأهم، أولئك الذين اعتادوا البلطجة مع المواطنين. سألتُهم ماذا كانوا يريدون؟ وتطلّعوا إليّ، وقال أكبرهم عمراً في البزّة وربطة العنق وهو يمصّ شَفَتَهُ، *أنتَ تعرف ما نريد، يا بنيّ*، ألا تعرف، وهززتُ رأسي نافياً، لا، لا أعرف، وصلّبتُ نفسي ناظراً في عينَيْه، ولم أرَ فيهما الثّقة، كما لم أرَها في وجه الآخر. امتدّ ذلك لدقائق عدّة. والذي كنتُ أعرفه هو أنني عرفتُ ما لايعرفونه. عرفتُ حقوقي كمواطن. ولن أذعن لتحرّشِ الشرطة برجلٍ في فترة الاختبار. والرجل الذي هو "مِثْليٌّ" ولا يذيع هذه الحقيقة، لكنه بالمقابل لا يخجل منها، ولا يشعر بالذنب تجاه أيّ شيء بسبب ذلك. أخيراً أعلنوا عن "فتىً" كان قد "اختُطف" مساء البارحة في دايل سبرينغز، وقد فُقِد، ووُجِدتْ درّاجته في زقاق، وإنهم أرادوا فقط طَرْح بعض الأسئلة عليّ، عمّا يمكن أن أعرفه عن ذلك، أو سمعتُ حوله، إلخ، إن كان هنا، أو في حدود هذه المنطقة، وإذا لم يكن لديّ مانع، فإنهما سيجولان حول المسكن لبعض الوقت. وهززتُ رأسي مُكرّراً النّفي قائلاً لا أظنّ ذلك، طلب محاميَّ إليّ الاتّصال به، إذا كان هناك أدنى نوع من المتاعب مع الشرطة، إذا تَمَّ التّحرّش بي بأيّة وسيلة، وسأتّصل به الآن.

ساد الصّمت. وقف الشرطيان، وحدّقا بي، وبقيتُ داخل العتبة دون أن أتزحزح بوصة واحدة.

قال المفتّش، *حسناً، يا بنيّ. اتّصلْ بمحاميكَ. اتّصلْ به الآن. وسننتظر في الخارج هنا.*

وهكذا اتّصلتُ بمحامي أبي في منزله. وكان صوتي صوتَ فتىً مُضطَّهَدٍ كمثل المرّة السابقة التي حكيتُ له عن التّحرّش الأخير. بسبب "اختطاف" لم أعلم عنه شيئاً، ولم يحصل أني شاهدتُ الأخبار، وهل يستطيعون القبض عليّ؟ من دون دليل، القبض عليّ؟ وتحدّثَ محامي أبي، ليُهدِّئَ من روعي مُردِّداً تلاوة حقوقي، ومع ذلك، لا يجدر بي أن أحاول مغادرة المسكن. لا شكّ بأنهم ينتظرون إذنَ تفتيش. من حيث كنتُ أقف في غرفتي، استطعتُ أن أرى كلاً منهما، بالإضافة إلى ثالث، شرطي في لباس الشّرطة الرسمي في مدخل البيت وهو يتأمّل الدودج رام الذي كان يلتمع بقوّة تحت أشعّة الشمس، يدور حولَه، ويسترق النظر عبر النافذة الخلفية (كنتُ قد أزلتُ الحاجز الخشبيّ بالتّأكيد، والواقيات البلاستيكية المخطّطة عن زجاج النوافذ) لكي يرى - ماذا؟ لا شيء. لم يكن هناك ما يراه. بل إنهم لم يتجرّؤوا على اقتحام الڤان خشية أنهم، إن عثروا على دليل، سيكونون قد حصلوا عليه بشكل غير قانونيّ، ولن يكون ذا قيمة.

قال محامي أبي بأنه سيكون هنا بلمح البصر، وطلب منّي ألا أتحدّث أكثر من ذلك مع الشرطة، وفوق ذلك ألا أتطوّع بالإدلاء بأيّة معلومات، ولا أن أُتيح لهم الدخول، وقلتُ له حسناً، وأغلقتُ السّمّاعة. كمْ تبقى لديّ من الوقت! متى سيقتحمون! أوّل ما قمتُ به هو أن تخلّصتُ من سنٍّ **نو نيم** الذهبية في التواليت، بعد أن أخرجتُها من جيبي، لتختفي للأبد. وبعدها، ممسكاً بزجاجة الفورمالديهايد في الخزانة الحديدية، وقاصداً الباب المجاور إلى داخل المطبخ، وأنا أخاطب اثنَيْن من النزلاء، ينتظران أن يغلي إبريق الشاي، بأنني سأقوم بتطهير المطبخ، وإني آسف لأنهما يجب أن يغادرا لبضع دقائق، من أجل سلامتهما، ولابأس أن يبقى الإبريق على الموقد، إلخ. بذلك خرجا، كان أخيل وطالب الكيمياء المصريّ

الشّاب، ألقيتُ بتذكار **بيغ غاي** في مجلى المطبخ، وبالاستعانة بسكّين قطّعتُها، وأدخلتُها بالقوّة عبر الثقوب إلى مطحنة نفايات المجلى، وأدرتُ المطحنة وهي تهدر على المستوى الأعلى. دلقتُ الفورمالديهايد في البالوعة الذي خرّشَ عينَيّ، وكنتُ على وشك أن أتقيّأ، ورججتُ عبوة مطهّر دتش، وصببتُها في المجلى، وفَرَكْتُه بواسطة ليفة فولاذية، وبعد ذلك، دلقتُ محلول دريانو في المطحنة، وفي زجاجة ربع الليتر أيضاً (زجاجة الفورماليهايد)، لكي أُبطلَ رائحة الكيماويات النفّاذة، وأحسبُ أن ذلك قد حقّق الغرض. ومرّة أخرى، أُدير المطحنة، لكي أطحن مجرّد فتات الصابون، وها كلّ شيء أنيق ونظيف، ويُصدر رائحة الأشياء النظيفة. وإبريق الشاي يغلي ويصفّر، لذلك تناولتُه عن الموقد، ونديتُ أخيل وصديقَه، وقلتُ إنّ رشّ المبيدات قد انتهى، ولا أظنّ أنهما الآن في خطر. بعد ذلك أعود إلى غرفتي (كان باستطاعتي رؤية أن الشرطيَّيْن لا يزالان في مدخل البناء – أيّها المنايك! وددتُ أن أصرخ بهما من النافذة، أيّها المنايك! الذين تتحرّشون بي، وتنيكون حياتي!) وأمزّق خريطة جولة درّاجةِ سكورِل والصور الفورية، ثمّ أحرقها في مجلى حمّامي، ولأغسل الرّماد في البالوعة، ومن جديد فركتُها بالليفة الفولاذية. ونزلتُ الأدراج إلى القبو القديم، وسحبتُ الطاولة من الخزّان، ثمّ إلى القبو الجديد. وضعتُ سلّة غسيلٍ فوقها. وعبوة منظّف تايد ضخمة. أحضرتُ مثقاب الثلج والسكاكين إلى المطبخ، ودسستُها في دِرجٍ مع أدواتٍ مشابهة. وأمّا نكّاشة الأسنان الفضّيّة الصغيرة التي لطشها **كيو - بي** - من عيادة الدكتور فيش، ودسّها في جيبه، فذهبتْ إلى خزانة أدويتي مع فرشاة، وخيوط تنظيف الأسنان، إلخ.، إذ إن هذا الموضع كان الموضع المنطقي الذي لا يجعلني أخسر أداةً بالغة القيمة كهذه. حيث إن العديد من العِيِّنات تنتظر من دون أدنى شكّ، ولا أريد أن يُتحرَّشَ

بي، وأُرهِبَ من قِبَل أولئك المنايك، إلى درجة أن أتنازل عن حقوقي. ذهبَتْ الضمادات، الشاش، إلخ. إلى خزانة المُعدّات في حجرة المؤن، وكذلك الأطعمة وماء الـ إيڤيان. سحبتُ المرآة إلى القبو، وأسندتّها في ركنٍ إلى جوار بعض المفروشات العتيقة. في المرآة، لاحَ **كيو - بي** مُزَيَّتَ الوجه، ومتجهّماً وشَعْره منسدل بالتأكيد، والضّوء يلتمع من نظّارَتَيْه. *الرّجلُ المسؤولُ يصنعُ حظَّه بنفسِه*. لكنني كنتُ مضطرباً.

ممّا بعث على الارتياح، أن أمّي وأبي كانا مسافرَيْن في الشمال. وحين يسمعان بهذا الإذلال، سيكون قد انقضى.

وصل محامي أبي، ليس بعد وقت طويل من وصول سيّارة دَوريّة أخرى، وكان بحوزة المنايك إذنُ تفتيش، ولم يكن بالإمكان ردعهم. بدأ اثنان بالدودج رام - لم يكن لي بدّ من مناولتهما المفاتيح - والباقون تكفّلوا بالمنزل. اشترط المحامي أن يقتصرَ البحثُ في مواضعَ معيّنةٍ فقط، من حيث أنها كانت ملكيّة مؤجّرة، وأن غرف المستأجِرين هي أماكن لها خصوصيّتها، ولا يجبُ أن يعيثَ بها التفتيش. ولذلك فتّشوا مواضعَ **ناظر الأملاك**، بالطّبع، تاركين وراءهم الفوضى، وكلّ القبو والسّقيفة، والغرف تحت الدّرج، الخزائن، إلخ. **ولم يعثروا على شيء. إذ لا شيء يمكن العثور عليه.**

أيضاً في ذلك اليوم تمَّ استجوابي بشأن الصبيّ المفقود الذي كان له اسمٌ جديد، وغير معروف لديّ - جيمس، أو "جيمي"، *والدرون*. كان محامي أبي موجوداً بالطّبع، لذلك كانت حقوقي مضمونة. لأن **كيو - بي** - لم يعرف شيئاً عن الصبيّ، ولم يكن بإمكانه إلا أن يكرّرَ بعض الوقائع القليلة. بأنني أنجزتُ أشغالَ حديقة جدّتي، من ٥ ب.ظ. لغاية ٧ ب.ظ. ثمّ قدتُ سيّارتي إلى سَمِتْ بارك لبعض الانتعاش وتناولتُ بعض الطعام

في مكدونالدز مجاور، ومن ثمّ - وقد لمع ذلك في ذهني، أنهم بكل تأكيد سيتفحّصون عدّاد الأميال في الدودج رام الجديد، وينتبهون إلى عدد الأميال - قدتُ بمحاذاة البحيرة، وفي منطقة يونيڤيرسيتي هايتس، وقتاً أطولَ، *آملاً أن أحظى ببعض الانتعاش*. في هذه الأثناء، كان محامي أبي قد اتّصل بجدّتي، لتؤكِّدَ المسز ثاتش وجودي عندها في الساعات المذكورة، وأصرّ كلاهما على حقيقة ذلك. قالت جدّتي إن حفيدَها هو أكثر الشّبّان على الأرض دماثة ورصانةً، لطالما زارها ومدَّ يدَ العونِ، ليس لها وحسب، بل لأصدقائها كلهم. وحيث إن وقت اختطاف الصبيّ قد تحدّد ما بين ٦ ب.ظ. حين غادر مكان عمله وبين ٦:٤٠ ب.ظ. ثمّ عُثرَ على درّاجته مُلقاةً في زقاقٍ، يبعدُ ميلاً واحداً عن بيته، *لا يمكن أن يكون* **كيو - بي** - متورّطاً بأيّ شكل من الأشكال.

بالإضافة إلى ذلك، كان هناك لغز الصيصان في الزّقاق. لم يتسنَّ لأيٍّ من سكّان الجوار أن يحدّدَ مصدرها، أو يدّعي امتلاكها. لم يحدث أن رأى أحدهم صيصاناً في مكان كهذا من قبل. بل لم يكن هناك ثمّة دواجن في أيّ بقعة من الجوار. تحدّثَ المفتّشُ بحَيرةٍ عن هذه الحقيقة، **ستّة وثلاثون من الصيصان** المفلوتةِ تنقرُ ترابَ الزّقاق، ودرّاجة الصبي المفقودِ غاليةُ الثمن مركونة قربها مُعتمدةً على سنّادة الرّكْنِ. الذي يشي بأنه لم يُنتَزَع عن درّاجته، بل اصطُحِبَ من قِبل خاطفه، أو سواه، بملء إرادته. ما الصّلة المحتملة بين الصبيّ المفقود **والصيصان**! *أو ربّما لم يكن هناك من صلةٍ، على الإطلاق*؟ جلس **كيو - بي** - ساكتاً ومقطّباً ودون أن ينبس بكلمة، إذ لم يكن يعلم شيئاً عن الأمر. قال المحامي مُشكّكاً، *لربّما كانت مزحةً من الصبيّ، وليس مفقوداً. نوعاً من مقلبٍ على أصدقائه.*

مَصَّ المفتّش الذي يرتدي الطّقم وربطة العنقِ شَفَتَهُ، وقال، *إن كانت كذلك، فليست طريفة. أليس كذلك؟*

فرغَ رجال الشرطة من تفتيشهم الطابق العُلويّ والسّفليّ، وخرجوا. كانت الساعة ١٢:٤٠ ب.ظ. لم أكن قد تناولتُ أيّ طعام منذ ما قبل ٦ ب.ظ. وجبة فرووت لووبس أُتبعتْ بجرعة ماء إيڤيان خرائية ساخنة، بينما أقود عائداً إلى البيت على الطريق ٣١ من مانيستي فوريست. من ذلك النّهر العميق الضّيّق سريع الجريان الذي لا اسمَ له حيث يستلقي في قاعه **سكورِل زومبيّ** المخفق عارياً مشقوق الحَنْجَرَة، لتسمح بدخول الماء، بذلك يحملُ الماءُ الدّمَ بعيداً إلى أقاصٍ، لا يمكن بلوغها، وقد أُوثِق جسدُه النحيل بأثقال الخيش والحجارة، ولن يطفوَ حتّى تنفصلَ العظامُ عن بعضها البعض، متحلّلةً من اللحم والهويّة. سيبقى هناك الجمجمة وأسنان الجمجمة التي يُقال إنه بالإمكان تحديد الهوية من خلالها - **لكنْ، يمكن أن تطفو الجمجمة؟** لا أظنّ أن الجمجمة تطفو، فهي بالغة الثّقل.

تركتُ في المكان إسفنجة الفم، لصاقات الفَكَّيْن. ففي النهاية، تصرَّفتُ بمنتهى التّعجّل.

قال المفتّش شكراً، وإلى اللقاء هذه المرّة، ولم يبدُ عليه التّهكّم، بل التّعب. وفي الخارج، في المدخل، رأيتُه يوجِّه حديثه إلى أحد الشَّابَّيْن، في البذّة الرسمية. وقاطعتُ المحامي الذي كان يتحدّثُ عن *المقاضاة، بسبب التّحرّش*، إذا تأكّدَ تماديهم في ذلك، وقال، "ربّما - أقول ربّما أمكنني أن أتحدّث معهم على الرّغم من كلّ شيء".

"عفواً؟"

"الشرطة. ربمّا أمكنني التّحدّث معهم، على الرغم من كل شيء."

كنتُ أبتلعُ ريقي بصعوبة، حَنْجَرَتي جافّة للغاية. لم **أتواصل بصرياً** مع محامي أبي. "هل لي أن أبقى وحيداً، لدَدَقيقة؟"

كان المحامي يتطلّع إلى **كيو - بي** - و كأنه لم يرني من قبل. لم يحبّ ما رآه. كانت رأسه قد اتّخذتْ شكل مصباح الضوء، شيباء، وتكاد تكون صلعاء، بقية الشعيرات توزّعتْ في صفوف مجعّدة. كان في مثل سنّ أبي، وأحسبُ أنه صديق من أصدقائه منذ عهدٍ حينما كانوا جميعاً شباباً. قال، "هل فقدتَّ صوابكَ؟ أكيد لا."

"أوكي،" قلتُ.

49

عيد العمل، بعد عدّة أيّام. اتّصلتْ جوني، وتركتْ رسالة على الشريط. هل رأيتَ جريدةَ الصّباح. يا لها من صدمة - الأخبارُ تتحدّثُ عن الدكتور أم - كي -.

سيكون بابا في حالة انهيار، قالت جوني.

لم أفكّر في الإصغاء إلى الرسالة على مدى أيّام عديدة، وإلى أن مضى وقت ظهور الجريدة. لم أكن متأكّداً ماذا كان ذلك اليوم.

50

عيد العمل، يبدأ الفصل الدراسي الخريفي في الجامعة. ومن نزلائنا التسعة، يوجد خمسة حديثون، انتقلوا منذ عهد قريب. الجميع طلاب أجانب. طلاب دراسات عليا في حقول علمية بشكل عامّ. من الهند، الصين، الباكستان، زائير، مصر، جزر الهند الغربية. يقول أبي إنهم يُعدّون أفضل النزلاء، وهو على صواب. كلّهم داكنوّ البشرة، ومهذّبون وخجلون، ويتحدّثون لغتنا بحذر. أنا **كيو - بي - ناظر الأملاك** وأقدّم لهم نفسي بهذه الصفة.

أتناول أدويتي من جديد، كما يصفها الدكتور إي - ثلاث مرّات يومياً في أثناء الطعام. ولكي تساعدني على النوم حين الحاجة. *لا ينبغي أن تتعاطى الكحول*، بينما تأخذ الليثيوم، لكن ذلك لم يكن مشكلة بالنسبة إليّ. الغرض هو أن *تُحقّقَ توازناً عاطفياً*، كما يقول الدكتور إي -.

أشعر بالإحباط في الآونة الأخيرة. منذ **الموقع زيرو**، إلخ. والخيبة تلفّني. لكنْ، لا تفكّر بذلك، فالأدوية تساعدكَ. هذا هو غرضها. ولا يسعكَ أن تلوم الآخرين، مثل أبي أو جدّتي. (كنتُ قد أوقفتُ الشغل في حديقة جدّتي في المستقبل اللامنظور. وأُقلُّ جدّتي كأنني سائق تاكسي. أيري في *تفاهة الحفيد* تلك. إنها تقودكَ إلى المتاعب، لا أكثر.).

جان - بول من جزر الهند الغربية، ذو شَعْرٍ أفريقيّ كثيف، يرتدي قميصاً أبيضَ وسروالاً وصندلاً، بشرته بنّيّة ضاربة إلى الحمرة، بلون العجول اللامعة. أقبلَ نحو **كيو - بي** - في البرغر كينغ وقال مرحباً، ودودٌ للغاية. طالب دراسات عليا وزمالة في الدراسات الاقتصادية. سريع الإيقاع وأليف حتّى إنني لم أستطع منع **الاتّصال البصريّ**. لكنّ ذلك لن يتكرّر.

لن يحصل ذلك لأيّ ممّنْ يسكن تحت هذا السقف. لن أفكّر في ذلك أبداً.

51

الاثنَيْن. الساعة ٤:٠٠ ب.ظ. – ٤:٥٠ ب.ظ. في مركز ماونت ڤيرنون الطّبّيّ الواقع على الطرف الآخر من الحَرَم الجامعيّ، أمشي في الطقس الجيّد وفي الطقس السيّئ أقود الدودج رام. يقول الدكتور إي - حسناً، *يا كوين. تين. إنّ هواء الخريف المنعش هذا لَمُنَشِّطٌ، أليس كذلك. بعد صيفِنا الطويل الحارّ.*

ثمّة معنى مزدوج في ذلك، كما أدري. *الصيف* هو وقتُ مضايقات وإذلال قسم شرطة ماونت ڤيرنون لـ **كيو - بي** -. لكنني أبتسم وأقول **نعم، يا دكتور. لا، يا دكتور.** أجلس وأبتسم وشَعْري قُصَّ، وفُرِقَ بطريقة جديدة. طلب محامي أبي تقارير من قسم متشيغان لإعادة التأهيل، وهكذا فإنه من المعلوم لدينا أن تشخيص الدكتور إي - لمريضه **كيو - بي** - هو "جيّد جدّاً". إن **كيو - بي** - "يُحرز تقدّماً".

رغم ذلك يبقى ثمّة حرج في مكتب الدكتور إي -. أجلس قبالة طاولته، وأحدّق إلى الأرض. أو إلى يَدَيّ اللتَيْن فركتُهُما بالإسفنجة. ساعة معصم **ريزينيز** تحيط بمعصمي الأيسر ووجهها البرونزيّ مخفيّ، حيث أرقبُ الأرقام الصغيرة تعكس اللون البرونزيّ. وحول معصمي الأيمن ثمّة تذكاري الوحيد من **سكورل**.

يسأل الدكتور إي - إن كان لديّ أحلامٌ أودُّ التّحدّث عنها اليوم. ثمّة هبوب لوريقاتٍ قبالة النافذة خلفَه، والسماء تُظلمُ أبكر من المعتاد. أجلس وأقطب وعَرَقٌ لزجٌ على جبهتي وشَفَتي العليا، ويسود صمتٌ طويل. ثمّ أقول، هناك *حلمٌ بأنني في مياهٍ ما*. ويقول الدكتور *إي- نعم؟ ماذا عنها؟* ولا أستطيع تذكّرَ المزيد، ويقولُ حاثّاً إيّاي، وكأنك تحثّ صبياً صغيراً على التّحدّث، *أتسبح في تلك المياه، يا كوينتين؟* أهزّ رأسي قائلاً، *لا أظنّ ذلك، ربّما أنا في المياه وحسب. والماء يغمرني، ويدفعني إلى الأمام.* يقول الدكتور إي -، *ماذا يحدث في حلمكَ، يا كوينتين؟ وأقول، لا أدري. أنا فقط هناك.*

ثمّة اطمئنان في مكتب الدكتور إي - أيضاً. يمكنك الاسترخاء فيه. أبي وأمّي مسروران بـ*تشخيص* ابنهما، ويأملان أن أتابع مع الدكتور إي - بعد انقضاء فترة إعادة التأهيل. جوني بدورها قالت بطريقة من طرقها الصارمة القاسية إن هناك تحسّناً، *لاشكّ فيه يطرأ على كوين.*

إنها الساعة ٤:٤٩ ب.ظ. أخيراً. يكتب الدكتور إي - تجديداً لوصفتي الطّبّيّة. يسأل إن كان لديّ ما أسأله، ولا يسعني التفكير في أيّ شيء، **وشكراً، يا دكتور**، وانتهت الجلسة.

52

لأن كلّ ما حدث، قد حدث. من بدءِ الزمان. أتقبّلُ ذلك.

أيّام الخميس المتناوبة الساعة ١٠ ق.ظ. السّيّد تي - ضابط مراقبة سلوكي. الثلاثاء ٧ ب.ظ. - ٨:٣٠ ب.ظ. العلاج الجماعي مع الدكتور بي -. الاثنَيْن. والخميس يوم نقل الزبالة. جرّ البراميل البلاستيكية الصفراء إلى الرصيف.

ثمّة تغيير في حياتي: لم أعد مُدْرَجاً في دايل تِكْ، بل انتقلتُ إلى مُلحَقٍ جامعيّ (مركز مدينة ماونت ڤيرنون). **المدخل إلى المحاسبة** يوم الاثنَيْن والأربعاء ٧ ب.ظ. - ٨:٢٠ ب.ظ. لأن آر - بي - عضو في هيئة الكُلّيّة الجامعية، فإن قسطي ٢٠٠ دولاراً فقط. وأنا أدفعها بنفسي.

مطعم مكدونالد جديد مع تلقّي الطلبات (ع الماشي)، سيفتتح في الشارع الثالث على بُعد بناءَيْن من ١١٨ نورث تشرش. لافتات صفراء فاقعة ترفرف في الهواء، **و قسائم ماكدونالد الكبير الخاصّة** للزبائن الأوائل. ألمح جان - بول جالساً مع امرأة على أحد المقاعد، كما أظنّ. ذات بشرة بيضاء وجان - بول هو ذلك العنابيّ الأسود. غير أنني لم أرَ بوضوح. لم أكن أنظر، ولم يرني أحد.

53

الزومبيّ الحقيقيّ سيكون لي للأبد. سينصاع لكلّ أمرٍ ونزوةٍ. قائلاً "نعم، أيّها المعلّم" و"لا، أيّها المعلّم". سيركع أمامي رافعاً عينَيْه إليّ قائلاً، "أحبّكَ، أيّها المعلّم. ليس إلاّكَ، أيّها المعلّم".

هذا ما سيجري عليه الأمر، وهذا ما سوف يكون. إذ إن **الزومبيّ** الحقيقيّ لن يقولَ شيئاً *لم* يكنْ، فقط الشيء *الذي* كان. ستكون عيناه مفتوحَتَيْن وصافيَتَيْن، لكنْ، دون شيءٍ *يُرى* داخلهما. ولاشيء *يفكّر* وراءهما. ولا شيء *يُطلق الأحكام*.

لن يكون هناك ذعر في عينَي **زومبيٍّ**. لا *ذاكرة*. إذ في غياب الذاكرة ينعدم *الذعر*.

قطعاً لن يُطلق **الزومبيّ** الأحكام. سيقول **الزومبيّ**، "بارك الله بكَ، أيّها المعلّم". سيقول، " أنتَ طيّبٌ، أيّها المعلّم. أنت لطيفٌ ورحيم". سيقول، "نِكني في الطّيز، أيّها المعلّم، حتّى أنزف أمعاءً زرقاء". سيتضرّع لنيل طعامه، وسيتضرّع لأوكسجينٍ يتنفّسه. سيُبدي الاحترام في الأوقات كلها. سيلحس بلسانه كما يُؤمَر. سيرضع بفمه، كما يؤمَر. سيفردُ فرَدَتَي طيزه، كما يؤمَر. سيعانقُ مثل دُبٍّ دميةٍ، كما يُؤمَر. سيريحُ رأسه على كتفَيّ

مثل رضيع. أو أُريحُ رأسي على كتفَيْه مثل رضيع. سنستلقي تحت الأغطية على سريري في غرفة **ناظر الأملاك**، ونحن نصغي إلى ريح تشرين، وأجراس برجِ المعهد الموسيقي ترنّ، **وسوف نعدّ الرّنّات حتّى نغطّ في النوم معاً في اللحظة ذاتها.**

54

قالت جوني، *لا تُخبر أبي بذلك. إن قلبه معطوب.*

وقالت أمّي، *لقد هرم أبوكَ عشرين عاماً! لكنْ، عندما تراه، لا تقلها.*

لم يبدُ الخبر هاماً بالنسبة إليّ، لم يكن يتجاوز الأخبار الأخرى التي تشاهدها على التلفاز أو تقرؤها في الصحيفة. في الواقع كان خبراً قديماً. الدكتور أم - كي - مات، وتجنّب المتاعب. **حامل جائزة نوبل ترأّس اختبارات الإشعاع ١٩٥٣ - ١٩٥٧. يُقارَنُ بالدكاترة "النازيّين".**

رأيتُ صورة الدكتور كي - الأشيب مشرف أبي في معهد واشنطن، وقرأتُ الفضيحة كما أسموها في وسائل الإعلام. إذ ترأّسَ الدكتور كي - فريقاً من العلماء الذين انخرطوا في تجارب سرّيّة لصالح هيئة الطاقة الذّرّيّة. في إحدى التجارب، أُعطي حليباً، يحتوي نشاطاً إشعاعياً، لستٍّ وثلاثين طفلاً من المعوقين عقلياً في مدرسة من مدارس بيتيثدا، ماريلاند. في تجربة أخرى، تمّ تعريض خصى سجناء إلى "الإشعاع المؤيّن" في جامعات مختلفة في ڤرجينيا. لماذا تُنشَر هذه الأخبار العتيقة الآن، وبعد مضيّ هذه السنوات كلها، ولماذا يتظاهر الناس بأنهم يبالون بهذا الهراء، لا أعرف. لكنْ، كان عليّ أن أضحك.

كم أنا محظوظ لأن أبي وأمّي كانا لايزالان في جزيرة ماكيناك عندما تفشّت الفضيحة. صحفٌ وتلفزيون ومجلّة *بيبول وتايم*، إلخ. كان أبي يتجنّب إحراج الذين يريدون إجراء المقابلات معه عندما يتّصلون به، ويسألونه الرأي. لاحقاً ذهبَ إلى الإطلاق قائلاً *إنه فعل بلا ضمير أن تُجري تجربة على امرئٍ من دون موافقة خطّيّة، لكنني أعرف الدكتور كي- ولا يمكنني الاقتناع بأنه ضالع في أمرٍ كهذا. لا بدّ أنّ هناك نوعاً من الخطأ*. وفي الأحاديث الخاصّة، *هذا غير عادلٍ بالنسبة إلى رجل مات!* أبي وهو يزيح نظّارَتَيْه، ويفرك عينَيْه بيَدَيْه. وبفمه الطّيزيّ الشبيه بالصّوف يتهدّل ألماً. هناك *تشويه لسمعة رجل عظيم بعد وفاته، كيف يمكنه أن يدافع عن نفسه!*

لم أتحدّث بشأن ذلك مع أبي، ولن أفعل. لا يوجد هذا النوع من الأريحية بيننا. مثل أن يتحدّث أبي معي عن مضايقات الشرطة في وقت الاستراحة في أثناء مباراة *والدرون بوي*.

غير أنّ أبي أزالَ صوره المؤطّرة مع الدكتور أم - كي - من مكتبه في الجامعة، ومن البيت. لا أدري إن كانت جدّتي لا تزال تحتفظ بصور له على حائط غرفة الجلوس. لم أقصد بيت جدّتي بعدها. ولا دايل سبرينغز إطلاقاً، باستثناء المرّات التي استدنتُ بها المال من أمّي.

55

اليوم طويل، وبذلك يطولُ الزّمن. منذ **الموقع زيرو**. أبقى قريباً من البيت **كناظر أملاك** للملكية. كما فوّضني أبي وأمّي. إلا في بعض نهايات الأسابيع حين أقود الدودج رام (الذي يسيطر على الطريق بشكل جيّد، وله هيئة تبعث على الفخر) إلى ديترويت سالكاً الطريق ٩٦ العابرة للولايات، ومرّة على امتداد بحيرة إري نحو توليدو، حيث لم أكن قد زرتُها من قبل. وآن آربر بجامعتها التي يفوق حجمها حجم جامعة ماونت ڤيرنون، إلى مهرجان اعتزاز المِثْلِيّيْنْ في تشرين الأوّل. عائداً على الطريق ٩٤ العابرة للولايات أوّلَ الفجرِ ربمّا، السماء تبرق بلون رماديّ ورديّ غريب في الطّيّات والثنيّات، وثمّة على الطريق شاخصات برتقالية فاقعة تطير باتّجاهي، **كُتب عليها أعمال إنشائية أمامكَ على خطٍّ واحد - السرعة ٤٠ ميلاً في الساعة**، لكن الوقت لايزال مبكراً للوصول إليها، والطريق السريعة خاوية. وصوت الـ **طب طب طب** على زفت الطريق مثل دقّات القلب. كأن الدودج رام **وكيو - بي** - لهما دقّات قلب واحدة، ويُفترَض أني سعيد، أو على الأقلّ في حالة سلام. وفي بعض الأحيان، هناك المسافرون العابرون. *لم أُرِدْ أن يحدث ذلك، لكن أعيننا تلاقَتْ. وكان مُنتشياً وراغباً بالجنس، ويلهث مثل حصانٍ فحل. وفي مرحاضٍ وسخٍ في منطقة استراحة، **أقذفُ** كما سفع الحمم.* وذات مرّة في تشرين الثاني، إذ كنتُ أستشعر بعض الضِّيْق، قدتُ الڤان

شمالاً على الطريق ٣١ باتّجاه مانيستي فوريست. وكانت تُثلِجُ، وبذلك كان المنظرُ قد تغيّر بشكل كُلّيّ. كأنه مكان آخر أو حتّى كوكب، حيث لم أستطع تبيّنَ اتّجاهاتي. لم أستطع العثور على الطريق التي سلكتُها مع **سكورل**، ولذلك لم أستطع أن أجد النهر. درتُ دورةً كاملة، ومخوزقاً أني أخطأتُ الشرقَ من الغرب (لكنْ، لم يكن هناك طُرُقٌ مباشرة)، ولأنتهي بـ بيغ رابيدز علىَ الطرف المعاكس من الغابة. أتناول أدويتي هذه الأيّام، كما يصفها الدكتور إي - ثلاث حبّات يومياً، مع الوجبات. هذا يسبّب لي حالة ابتلاع الكلمات أحياناً، ودواراً في أثناء القيادة، وفي **المدخل إلى المحاسبة**، حيث أجلس في آخر القاعة. لكن مزاجي على ما يرام، ولستُ منزعجاً، و**الاتّصال البصريّ** لا يُقلقني. إذا كان **عَرَضياً**، وليس متعمَّداً (من جهتي أنا). كأن يأتي أخيل مثلاً يطرق بابي وقائلاً، *اعذرني، سيّدي، هناك مشكلة ما في مرحاض الطابق الثاني، كما أظنّ.*

جان - بول الذي سكن البيتَ مؤخّراً لايكفّ عن طرح الأسئلة، مثلاً حين كان في الطابق السفليّ عند الدرج المتّجه إلى القبو، حيث توجد غسّالة ونشّافة **محظور** استعمالها للمقيمين، لكنني سمحتُ له باستعمالها ذات يوم، مع وعد أن لا يُخبر بقية المقيمين. واحتياجه **ناظر الأملاك** لتقديم العون له في كلّ خطوة يخطوها. *تعوّدتُ أن تتدبّر امرأةٌ غسيلي*، يقول جان - بول ضاحكاً.

أمضي معظم الليالي دون أن أخرج، لا أستطيع التّكفّل بتكاليف الخروج. لكوني أشحذ الفُتات المنيوك من أمّي وأبي. أتناول الوجبات الخارجية من البرغر كينغ، تاكو بِلْ، إلخ. وأتجرّع ستّ زجاجات من البيرة وأنا أشاهد أفلام الڤيديو الجنسية. أو التلفاز وأنا أقلّب قنواته. يصعب أن تشاهد قناة واحدة

لأكثر من عشرين ثانية، أو حتّى عشرة. لمرّاتٍ عديدة في الخريف، شاهدتُ السّيّد والسّيّدة *والدرون والدا "جامي" المفقود* يتابعان مناشدتهما على تلفزيون متشيغان، ومن خلال صور "جامي" ولقطات الڤيديو الواقعية، والأفلام المنزلية. وها هو **سكورل** يبتسم، ويُلوِّح لي، و**سكورل** يلعب كرة السّلّة في المدرسة، و**سكورل** يتلقّى نوعاً من كأس الفوز. وتعليق صوتيّ يقول *من فضلكم، إن كان لديكم أيّة معلومات، نرجو الاتّصال بالخطّ الساخن جامي مكافأة ٥٠٠٠٠ دولاراً، ستُمنح لمَنْ يدلي بمعلومات، تؤدّي إلى العثور عليه*، والسّيّد والسّيّدة والدرون يردّدان القول *نثق أن ابننا لايزال على قيد الحياة، نثق بأننا سنراه من جديد، حيّاً يُرزَق*، والآن تبكي السّيّدة والدرون والسّيّد والدرون يحاول ألا يبكي. وأنا أفقد السيطرة على نفسي قائلاً، بصوتٍ مرتفع وبسخط، *ماذا تعنيان بالقول- حيّ؟ لماذا ينبغي أن يكون حيّاً؟ لماذا يجب أن يكون هذا الأير حيّاً؟* ومردّداً *يا منايك، الآن أنتم تُدركون*. ثمّ مُبدّلاً القناة بكل الغضب.

في تشرين الثاني/ نوڤمبر مع اقتراب عيد الشُّكر وردت أخبار غير متوقَّعة على التلفزيون المحليّ، تفيد بأن أحدهم يدّعي أنه "لمحَ" الصبيّ المفقود يُلوّح إلى سيارة على إحدى الطُّرُق السريعة في شيكاغو. لكنْ، لم يؤتِ ذلك نتيجة على حدّ علمي.

56

كانت جوني بمعنى الكلمة الأخت الكبيرة لي طوال حياتي. تكبرني بخمس سنوات. وبطولي نفسه، ولربّما كان وزنها يقارب وزني. كادت أن تفوز بالألعاب الأولمبية في فريق السباحة الجامعيّ، وكانت نجمة في *لاكروس النساء*. الآن مديرة في مدرسة دايل سبرينغز المتوسّطة.

لطالما اهتمّتْ جوني بـ كيو - أخيها. قريبها الوحيد في العائلة. وفي المرحلة الثانوية عندما عانيتُ من بعض المشكلات العاطفية، وفي السنة التي بدأتُ فيها الدراسة في جامعة شرقي متشيغان، ثمّ فشلتُ. كانت فكرة جوني أن أدرسَ العقارات، وأن لا أعود إلى الجامعة كما كان أبي يدفعني دائماً قائلاً إن الجامعة ليست الخيار الصحيح لكل الناس. وإن بإمكان كوين أن يكون رجلَ مبيعاتٍ مذهلاً، لو أنه فقط *يفتح ذهنه*.

تركتْ رسالة على الهاتف تقول *المحاسبة فكرة عظيمة، يا كوين. فكرة أكثر واقعية بكثير من أفكار أبي.*

أمّي وأبي فخوران بـ جوني، ولطالما كانا كذلك منذ كانت في الثانوية عندما كانت عريفة الصّفّ ونجمة رياضية. تخرّجت بترتيب الخامسة في صفّها، ١٩٧٦. ثمّ نالت منحة إلى جامعة متشيغان لدراسة التعليم العامّ

والإدارة، آن آربر الكلّيّة الرفيعة، وليست الثانية أو الثالثة كما في لانسينغ وماونت ڤيرنون. وفيها أبلتْ بلاء حسناً. والآن مديرة مدرسة، وتطمح للانتقال إلى مكان آخر، تَدْرسُ صفوفاً صيفية، إلخ. في آن آربر. جوني "اجتماعية" ولديها العديد من الأصدقاء، من النوع الذي يمكنكَ أن تمارس المسير، أو التزلّج معه. عندما اشترت جوني بيتها الخاصّ، على ضفّة البحيرة في ضاحية تُعرَف بـ غرافشاب، اعترى أمّي القلق، إذاً، *لن تتزوّج جوني*. مرّت جوني بمراحل من الانزعاج الشديد، بسبب أخيها الأصغر كيو - ولم تتحدّث إليّ بذلك، وذات مرّة (وكنتُ سكراناً، أو في حالة ما لم أكن فيها واعياً ١٠٠٪، في ملابسي الجِلْدية وتسريحة شَعْر ذيل الفَرَس) حدث أنها لم تكد تعترف بأنّ هذا الشخص هو أنا عندما هُرعنا عبر الشارع لملاقاة بعضنا، لكنْ، منذ اعتقالي وسَنَتَي إعادة التأهيل عندما كانت أمّي وأبي في ذروة اضطرابهما، انبرتْ جوني للاضطلاع بدورها **كـ أختٍ كبرى** من جديد. كأنما كان وجود أخيها الأصغر *كمُتَحرِّشٍ جنسيّ* بمثابةِ تحدٍّ لها، وليست من النوع الذي يهاب التّحدّيات. كأنني أحد طلَبَتها المأزومين الذين لا يحتاجون إلا إلى الإصلاح من قِبَل أحد الراشدين. كأنني شخصٌ يمكنكَ أن تداعبه وتعاتبه بابتسامة بقولكَ *كوين، ستكون أكثر وسامةً، لو لم تَسْرَحْ وتكتئب إلى هذه الدرجة. انهضْ، بحقّ الله. ثمّ ألا يسعكَ أن تفعل شيئاً حيال شَعْرك، ولباسكَ؟*

دعتْني إلى العشاء في بيتها، قبل أسبوعَيْن من عيد الميلاد. بحضور بعض أصدقائها الذين التقيتُهم من قبل، كما أحسب، رغم أنه يُحتَمَل أن لا يكون الأصدقاء – المُدرِّسون لجوني على السّويّة نفسها. أو يتحدّثون بالسوية نفسها. وثمّة عضوة جديدة في الهيئة التدريسية في مدرسة جوني، اسمها **لوسيل**. امرأة ممتلئة أخرى بثدييْن يشبهان أغطية دواليب السّيّارة،

وذات وجه مُدَوَّرٍ باسم، والكثير من "حضور الشخصية" مثل جوني. تُدرِّسُ الصّفّ الثامن. طريقة مصافحتها تشبه مصافحة الرجال.

إنها جلسة عشاء حول الطاولة. طبق مأكولات بَحْرية كبير "بابيلا" أعدّته جوني. ونبيذ أبيض. وصلتُ في الدودج رام متأخّراً بعض الشيء، إذ إنني كنت أشرب في أثناء الرحلة، ومستشعراً بعض البهجة بسبب الحبوب وهذا الطنين الناعم في رأسي مثل طنين الهاتف. بذلك يمكنني أن أكون خليَّ الذهن، وبدا وجهي وكأنني في حالة إصغاء. كانت جوني و"لوسيل" والآخرون جميعاً منهمكين في الحديث عن السياسات في الولاية، وفي واشنطن، وبرنامج كلينتون للضمان الصّحّيّ وغيرها.. وهناك شابّ، يكاد يكون قزماً، لكنه يتحدّث بكل ثقة قائلاً إن الضمان الصّحّيّ هو القضية رَقْم واحد في زمننا، لسنا أمّة متحضّرة في الوقت الراهن، وثمّة آخرون يقولون إن الجريمة هي القضية رَقْم واحد، لقد أصبح الأمريكيون مُروَّعين من كونهم ضحايا، وهم عرضة لسياسات الجناح اليميني المهووسة والمحفوفة بالمخاطر. ومن هناك إلى تقنين السلاح، والإجهاض. وأنا على ما يرام أرتشف النبيذ، وأستطيع رؤية قبوي والخزّان اللذَيْن أعدتُهما إلى حالتهما السابقة قبل أن تأتي الشرطة، وتضايقني. طاولة الطعام عادت إلى الخزّان، وسلك التمديد الكهربائي ومصباح الـ ١٥٠ واطاً والضمادات، الشاش، إلخ. مثقاب الثلج، نكّاشة الأسنان، السّكّين، إلخ. وبانتظار مخطّط أصوغه. وأشعر بالإثارة، إذ أُدرِكُ بأنه سيُصاغ، كأنه حلم. *لا عَيِّنة تحت هذا السقف.* إنها محظورة هنا. لنقُلْ إنها بداية إجازة، أو إن أحدهم سيعود إلى الوطن بشكل دائم. إلى الهند، إلى زائير، إلى جزر الهند الغربية. رائع؟ وها هو قد حزم ما لديه من أمتعة وغرفته خالية، إلخ. ويتطوّع **كيو - بي - ناظر الأملاك** بأن يقلّه إلى المطار. ليس إلى كالامازو، بل إلى لانسينغ. المطار

الدولي. رائع؟ هذا رائع وبالغ اللطف. ولأن كلّ مَن في المنزل أو في الجامعة يعرف، أنه قد ذهب. غادر الولايات المتحدة. فلن يتذكّروه بعدها، إنه من الماضي. وفي الطريق إلى المطار، يناوله **كيو - بي** - شيئاً ما يشربه أو يأكله، فيغطّ في النوم، والثان مُعَدٌّ مرّة أخرى لمسافر في المؤخّرة، وهذا رائع. وعندما يهبط الظلام نعود إلى ١١٨ نورث تشرش. ونحن في منتصف الليل، والكلّ نائمون. ويحمل **كيو - بي - زومبيَّهُ** نازلاً إلى القبو، والباب يُغلَق من ورائه. وعلى طاولة العمليات، لن يكون الإجراء الأوّل هذه المرّة هو *الجراحة عبر الدماغية*، بل "تقطيع" الحبال الصوتية. بذلك إن كان **الزومبيّ** على ما يرام أم لم يكن، فإنه على الأقلّ سيكون ساكتاً وموثوقاً بسبب ذلك. وسأحصل على رسمٍ بياني للحَنْجَرَة، أو ما يشبهها من مكتبة البيولوجيا. ربمّا إذا استعنتُ بشفرة. بمَسٍّ خفيف. *تستطيع أن تستشعرَها. إنها تُصدرُ اهتزازاً عندما تتكلّم.*

تتحدّث جوني وأصدقاؤها عن الدِّين الآن فيما أظنّ. وأحد الرجال يقول إنّ الدِّينَ استبداد، وخديعة. ومسؤولٌ عن الكثير من وحشية الإنسان. ولوسيل تقول في غضب وانفعال، *لا* ليس الدِّين هو السبب، بل السلطة، السلطة السياسية، وأما الدِّين، *فهو حالة روحيّة، وباطنيّة*. وجوني توافقها الرأي، وتقول بدورها بانفعال إن صراع جنسنا البشري هو بين *الظاهريّ والسياسي من جهة، وبين الباطني والروحي من جهة أخرى*. وربمّا كانت الألفية القادمة هي الخلاص للإنسان العاقل. وأنا أُصغي إليهما، وأتأمّلهما. الأخت الكبرى ولوسيل. وتراودني الفكرة: إذا قطعتَ ثديَي الأنثى، فإنها لن تكون شديدة الاختلاف عن الرجل، ولنقلْ إنكَ إذا قطعتَ أيرَ الرجل، فلن يكون شديد الاختلاف عن المرأة. الثديان من الدهن - دون عظام؟ وتلمح لوسيل نظرتي إليها، وتحمرّ وجنتاها قليلاً، كما تفعل النسوة. وتَراني أطوي

سوار قميصي مرةً، ثمّ أخرى، بشكل قسريّ، تسألني ما هذا؟ - تذكاري من **سكورل** وهو شَعْرُه البنّيّ المشقرّ المأخوذ من الخصلة المربوطة على طريقة ذنب الخنزير وبعض شَعْري أنا جُدِلَتْ ببعضها بواسطة سيورٍ جِلْدية وخيطٍ أحمر.

لذلك أقول، "إنها شيء ما هنديّ. تشيبيوا. حصلتُ عليها من مَحمية هندية في الشمال."

وتقول لوسيل، وهي تلمسها، "إنها غريبة. هل تحمل أيّ معنى رمزيّ؟ أهي نوع من الـ تشيبيوا المشغولة بطلب خاصّ؟"

وأجيب، "أظنّ ذلك. لا أدري".

تُعقّبُ جوني بطريقة جافّة تقصد الإغاظة، تدنو الأخت الكبرى منّي، وتسند يدَها عليّ أيضاً، "كوين نوعٌ من الهيبّي، تعلمون؟ وُلِدَ متأخّراً ثلاثين عاماً".

تقول لوسيل وهي تبتسم، "شَعْرُه أقصر من أن يكون شَعْرَ هيبي".

وتقول جوني، "ولو أنه لم يكن كذلك".

57

اتّصلتْ أمّي، وتركت رسالة، وأصاب شريط التسجيل العطب، فأزالَ معظم ما عليه. تسألُ إن كان من المحتمل أن آتي إلى عشاء عيد الميلاد.

* * *

جويس كارول أوتس، روائية أميركية ولدت عام ١٩٣٨، في لكبورت، نيويورك. روائية وكاتبة قصة قصيرة، ومؤلفة مسرحية وناقدة ومحررة وأستاذة جامعية.

نالت الجائزة الوطنية للكتاب، جائزة O. Henry، ميدالية العلوم الإنسانية على مستوى أميركا، جائزة م. ل. روزنتال، جائزة سانت لويس الأدبية، جائزة رِيا للقصة القصيرة، جائزة برام ستوكر، جائزة بِنْ/ مالامود، ونالت جوائز بوليتزر في أعوام ١٩٧٠، ١٩٩٣، ١٩٩٥، ٢٠٠١، ٢٠١٥، كما أنها مرشحة لجائزة نوبل منذ ثلاثين عاماً.

درّست في جامعة برينستون، وتعمل الآن أستاذة الكتابة الإبداعية في جامعة روجر س. بيرلند.

لها أكثر من خمسين كتاباً.

المتوسط

يحاول كوينتن ب. وهو الشخصية المحرّكة في هذه الرواية، أن يتوصل إلى تكوين (زومبي) ذكر شاب غير مشبوه يكون طوع أمره، عن طريق عمل جراحي يعبث بموصلاته الدماغية يخلف عبداً جنسياً فاقد الذهن. وتبوء محاولاته بتخليق هذا الزومبي بالفشل، وتتعدد ضحاياه، ويزداد هوسه حتى يصل إلى القتل برغبة القتل، القتل من أجل القتل.

وعبر فصول الرواية تتكشف بنية المجتمع الأميركي بما فيه من الإجرام والتدين الأجوف والذرائعية وتفسخ البنى والقيم الإنسانية في ظل نظام رأسمالي لا يرحم شعبه ولا شعوب العالم.

ترمز كل شخصية من شخصيات الرواية إلى شريحة واسعة وفاعلة داخل هذا المجتمع؛ وسيكتشف القارئ ذلك في رواية وقحة في واقعيتها ومشهديتها القاسية، وصولاً إلى النهاية المفتوحة على اللا أمل، وعلى استمرار العنف والفصام السيكولوجي والثقافي الذي ينخر كافة هذه البنى.

قد تشي الرواية في جانب منها بالرؤية المحافظة لمسألة الجريمة والانحطاط والفساد داخل طاحون الموت الاجتماعي والسلطوي الأميركي الذي يطحن ذاته والعالم.

منشورات المتوسط

«ربما كانت زومبي أكثر ما كتبت جويس كارول أوتس قسوةً حتى الآن... أكثر رواياتها كشفاً ورعباً»

Booklist

«ما في ذهن جويس كارول أوتس يتجاوز مجرد عرض الوعي للفرد البشري المتوحش. وبمعنى عام لا لبس فيه، يفترض أن يسردَ راويها القاتل العديد من الميول والحقائق الهامة عن المجتمع الأميركي المعاصر»

New York Times

فازت (زومبي)، بجائزة برام ستوكر في ١٩٩٦، وجائزة ليلا فيسك راند التي تمنحها بوسطن ريفيو، جائزة النقاد التقديرية وجوائز عديدة أخرى، ولعل السبب الرئيس في الإطراء النقدي الكثيف الذي حظيت به الرواية يعود إلى محاولة الكاتبة الأنثى إماطة اللثام عن هاجس الجرائم المتسلسلة الوحشية للعنف الجسدي والسلوكات المرَضية عن طريق وضعها قيد المساءلة، على الأقل بمعزل عن مقولة الشر المتأصل في الطبيعة البشرية.

ISBN 978-88-85771-57-4

9 788885 771574

المتوسط